57

نادي الهوية الجغرافية

@Geo_dept_Ku

Geo_dept_Ku@live.com

الجغرافيا السياسية

د. حسام الدين جاد الرب

د/ سعيد الغريب

د/ أحمد الميلل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا سيد الخلق أجمعين ...

وبعد

تعد الجغرافيا السياسية أحد أكثر فروع الجغرافيا حيوية، نظرًا لما تتمتع به من ديناميكية فريدة من نوعها، وذلك في ظل تغير الخريطة السياسية التي شهدها العالم الحديث.

حيث شهدت معظم قارات العالم تغيرات سياسية جذرية، وكان أكثر القارات حظًا قارة أوروبا، ففي عام 1989م تم تحطيم سور برلين وتوحيد ألمانيا الشرقية والغربية في دولة واحدة عاصمتها برلين، وفي منتصف عام 1991م تفككت يوغوسلافيا إلى ست جمهوريات، ثم سبع جمهوريات في عام 2006م، كما انهار الاتحاد السوفيتي في 25 ديسمبر 1991 م وحل محله كومنولث الدول المستقلة. ويتكون هذا الكومنولث من 11 جمهورية من الجمهوريات الاثنتي عشر التي بقيت من جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد أن انفصلت جمهوريات البلطيق الثلاث (أستونيا، لاتفيا، لتوانيا) من قبل. كما انقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى جمهوريتين هما جمهوريتا التشيك وسلوفاكيا، وعلى صعيد القارة الأفريقية استقلت أريتريا عن أثيوبيا وأصبحت الأخيرة دولة حبيسة.

وإذا كان بعض المعاصرين ينادي بنعرة أن الجغرافيا السياسية قد انتهت وهي في طريقها إلى الاندثار، وذلك في ظل التقدم العلمي التكنولوجي، وما ارتبط به من تقدم صناعة السلاح في العالم بدءاً من الصواريخ عابرة القارات وانتهاء بالأسلحة الذكية والنووية. ومع ظهور ما يعرف بالعولمة أو الكوكبية Globalization والتي كانت سببًا في فتح الأسواق العالمية وسهولة انتقال السلع ورءوس الأموال والأفراد

بين الدول وبعضها البعض. وكانت ثورة الاتصالات المرتبطة بتكنولوجيا الحاسب العالمي، أو ما يعرف بشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) قد جعلت من العالم قرية صغيرة ، وقربت المسافات بين الدول وبعضها البعض. إلا أن الجغرافيا السياسية ما زالت تنبض بالحياة وسوف ينبض قلبها ، ولن يتوقف وذلك في ظل انتشار الصراعات والحروب الدولية والإقليمية والأهلية والانقلابات العسكرية، خاصة في دول العالم النامي وتغير الحدود السياسية بين بعض الدول، واستيلاء البعض الآخر على أراضي دول أخرى مجاورة. ومع تغير الأنظمة السياسية الحاكمة، واختلاف موازين القوى بين الدول، حيث انهارت قوى تقليدية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا، وصعدت أخرى وعلى رأسها دول جنوب شرق آسيا والتي من أهمها الصين الشعبية واليابان.

وقد أثرت المدرسة الجغرافية المصرية والعربية ميدان الجغرافيا السياسية بالعديد من مؤلفات الجغرافيا السياسية، ومن أبرز الكتاب الذين خاضوا مجال دراسة الجغرافيا السياسية، الأساتذة دولت صادق وآخرون: الجغرافيا السياسية، 1957، محمد متولي: الجغرافيا السياسية 1958، إبراهيم رزقانة: بعض مشكلات الجغرافيا السياسية، 1960، عبد العزيز طريح شرف: الأسس والمشكلات في الجغرافيا السياسية، 1963، أمين عبد الله: دراسات في الجغرافيا السياسية المعاصرة، 1968، محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، 1971، صلاح الدين الشامي: دراسات في الجغرافيا السياسية، 1973، محمد حجازي محمد: دراسات في أسس ومناهج الجغرافيا السياسية، 1975، محمد عبد المجيد عامر: دراسات في الجغرافيا السياسية والدولة، د.ت، عبد المنعم عبد الوهاب: جغرافية العلاقات السياسية، 1977، محمد متولي، محمود أبو العلا: الجغرافيا السياسية، 1977، عمر الفاروق: الجغرافيا السياسية، 1984 / 1985، حسين حمزة بندقجي: الدولة دراسة تحليلية في الجغرافيا السياسية، 1984، فتحي أبو عيانه، الجغرافيا

السياسية، 1985، محمد مرسي الحريري: دراسات في الجغرافيا السياسية، 1988، عمر الفاروق: قوة الدولة، دراسات جيوستراتيجية، 1992. كما قام هؤلاء الأساتذة بإعادة طبع هذه الكتب وتنقيح بعضها في إصدارات حديثة وحملت بعض هذه الإصدارات أسماء مختلفة أحيانًا.

ومما لا شك فيه أن إسهامات هؤلاء الأساتذة الكبار كانت النبراس والسراج المنير الذي اهتدينا به لوضع مؤلفنا الجغرافيا السياسية فإليهم جميعًا كل التحية والتقدير.

ومن هذا المنطلق في ظل وجود دافع شخصي وهو حبي لهذا الفرع من فروع الجغرافيا وهو الجغرافيا السياسية – فقد دفعني هذا إلى النزول في بحر هذا العلم وأحاول أن أساهم ولو بلبنة صغيرة في شجرة العائلة الجغرافية.

وقد بدأت فكرة هذا الكتاب تراودني أثناء إعارتي للعمل في كلية الآداب، جامعة قاريونس بالجماهيرية العربية الليبية، وكنت قد بدأت في تجميع المادة العلمية وأعدت تصنيفها وترتيبها، وبدأت مرحلة الكتاب في النصف الأول من العام الدراسي 2005، وتابعت مسيرة تكملة بقية الكتاب على أرض الوطن.

ويتكون الكتاب من تسعة فصول ، حيث يتعرض الفصل الأول لنشأة الجغرافيا السياسية وتعريفها ومناهجها . بينما يتناول الفصل الثاني مفهوم الدولة ونشأتها ومراحل نموها ونظامها السياسي . ويتناول الفصل الثالث الحدود السياسية من حيث مفهومها ونشأتها ووظائفها وأنواعها . أما الفصل الرابع فيتعرض لدراسة المقومات الجغرافية الطبيعية وذلك من حيث الموقع والحجم وشكل الدولة والمناخ والنبات ومظاهر السطح ، بينما يتناول الفصل الخامس المقومات الجغرافية للدولة والتي تضم السكان ، اللغة ، الدين ، التركيب الأثنوجرافي ، الموارد الاقتصادية ، والنقل والمواصلات.

ويتناول الفصل السادس الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية فى ضوء الاستراتيجية العالمية ، ويعرض هذا الفصل لمفهوم الجيوبولتيكا ومجالها والعلاقة بينها وبين الجغرافيا السياسية مع التعرض لتطور الجيوبولتيكا وأهم النظريات الجيوستراتيجية العالمية .

ويتناول الفصل السابع الجغرافيا السياسية للمضايق والممرات البحرية العالمية، حيث يعرض لدارسة أهم المضايق والقنوات البحرية العالمية . أما الفصل الثامن فيتناول دراسة تطبيقية لبعض المشكلات السياسية فى العالم ، وقد وقع الاختيار على أربع مشكلات سياسية وهى : مشكلة كشمير ، ومشكلات الحدود بين الصين والهند ، ومشكلة القرن الإفريقي ، ومشكلة الجزر الإماراتية الثلاث. أما الفصل التاسع والأخير فيتعرض لدراسة خطط إعادة رسم الشرق الأوسط من خلال رؤية جيوبولتيكية أمريكية ، وقد تعرضنا فى هذا الفصل لدارسة مفهوم الشرق الأوسط والتوزيع الجغرافي للوحدات السياسية به ، مع التعرض لمفهوم كل من الشرق الأوسط الكبير والجديد ، وأخيرًا تناولنا دراسة الملامح الجغرافية للخريطة السياسية المقترحة للشرق الأوسط الجديد .

وفي النهاية أتمنى من الله - سبحانه وتعالى - أن أكون قد وفقت في تقديم هذا العمل المتواضع خدمة للعلم والوطن، ولا أدعي الكمال فيما قدمت فالكمال لله وحده ولكنني أرجو ثواب المجتهد .

وعلى الله قصد السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير

د. حسام الدين جاد الرب

الهرم في يناير 2007

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	7
الفصل الأول	
نشأة الجغرافيا السياسية وتعريفها ومناهجها	
أولًا: نشأة الجغرافيا السياسية	18
ثانيًا: تعريف الجغرافيا السياسية	26
ثالثًا: علاقة الجغرافيا السياسية بالعلوم الأخرى	30
رابعًا: مناهج البحث في الجغرافيا السياسية	32
الفصل الثاني	
مفهوم الدولة ونشأتها ومراحل نموها ونظامها السياسي	
أولًا: مفهوم الدولة	41
ثانيًا: نشأة الدولة ومراحل نموها	42
ثالثًا: شكل النظام السياسي للدولة	54
رابعًا: تصنيف الدول	59
خامسًا: تطور عدد الوحدات السياسية في العالم	63
الفصل الثالث	
الحدود السياسية	
أولًا: ماهية الحدود	85
ثانيًا: نشأة الحدود وتطورها	88

الموضـــــوع	الصفحة
ثالثًا: وظائف الحدود	91
رابعًا: أنواع الحدود	94
الفصل الرابع	
المقومات الجغرافية الطبيعية للدولة	
1- الموقع	140
2- الحجم	147
3- شكل الدولة	151
4- المناخ والنبات	160
5- مظاهر السطح	165
الفصل الخامس	
المقومات الجغرافية البشرية للدولة	
1- السكان	173
2- اللغة	177
3- الدين	181
4- التركيب الأثنوغرافي	182
5- الموارد الاقتصادية	184
6- النقل والمواصلات	185
الفصل السادس	
الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية في ضوء الاستراتيجية العالمية	
أولًا: تعريف الجيوبولتيكا ومجالها	191
ثانيًا: العلاقة بين الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية	194
ثالثًا: تطور الجيوبولتيكا	197
رابعًا: النظريات الجيوستراتيجية العالمية	201

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل السابع	
الجغرافيا السياسية للمضايق والممرات البحرية العالمية	
أولًا: المضايق	223
1- مضيق جبل طارق	230
2- مضيق باب المندب	235
3- مضيق هرمز	237
4- المضايق التركية (البوسفور والدردنيل)	241
5- مضيق ملقا	248
6- مضيق مسينا	249
7- مضيق ماجلان	250
8- مضيق باس	250
9- مضيق كوك	250
ثانيًا: الممرات البحرية العالمية (القنوات)	253
1- قناة السويس	254
2- قناة بنما	265
3- قناة كييل	271
الفصل الثامن	
دراسة تطبيقية لبعض المشكلات السياسية في العالم	
1- مشكلة كشمير	275
2- مشكلات الحدود بين الصين والهند	293
3- مشكلة القرن الأفريقي	298
4- مشكلة الجزر الإماراتية الثلاث	312

الموضـــــوع الصفحة

الفصل التاسع

خطط إعادة رسم الشرق الأوسط رؤية جيوبولتيكية أمريكية

أولًا: مفهوم الشرق الأوسط 337

ثانيًا: التوزيع الجغرافي للوحداتّ السياسية في الشرق الأوسط 347

ثالثًا: الشرق الأوسط الكبير 352

رابعًا: الشرق الأوسط الجديد 374

خامسًا: الملامح الجغرافية للخريطة السياسية المقترحة للشرق الأوسط الجديد 376

المراجع والمصادر 387

الفصل الأول

نشأة الجغرافيا السياسية وتعـــريفها ومناهـجها

أولاً : نشأة الجغرافيا السياسية .

ثانيًا : تعريف الجغرافيا السياسية .

ثالثًا : علاقة الجغرافيا السياسية بالعلوم الأخرى .

رابعًا : مناهج البحث في الجغرافيا السياسية .

نشأة الجغرافيا السياسية وتعريفها ومناهجها

مقدمة:

تعد الجغرافيا السياسية Political Geography أحدث فروع الجغرافيا البشرية وأكثرها أهمية ، ويؤكد هذه الأهمية تلك المتغيرات الإقليمية والدولية المتسارعة في كافة أنحاء العالم، نظرا للدور الكبير الذي يؤديه عامل المكان في حياة الدولة المعاصرة وتحديد قوتها، وفي مسار العلاقات الدولية بوجه عام.

وتبحث الجغرافيا السياسية في كل ما يتعلق بالوحدات السياسية من حيث تكوينها وتطورها في ضوء معطيات الأرض من موقع ومساحة وحدود وتضاريس وشكل عام وسكان. وهي تشترك مع علم السياسة في دراسة الدولة أو الوحدة السياسية ، خصوصًا وأن الدولة هي محور علم السياسة منذ التاريخ القديم عندما كان هذا العلم مجرد أفكار سياسية عامة ، وصولا إلى تاريخنا المعاصر ، حيث علا شأن الدولة في حياة المجتمعات الإنسانية وتطورها ، وفي الأسرة الدولية التي تضم كافة الدول والوحدات السياسية المكونة لها. وبذلك تشكل الجغرافيا السياسية ميدانًا مشتركًا بين الجغرافيا البشرية وعلم السياسة ، وتزداد دراستها أهمية بعدما انتقلت من أفكار ومبادئ عامة إلى قواعد وظواهر علمية، وما تزال التطورات والمتغيرات الدولية المعاصرة دليلًا على فاعلية الجغرافيا السياسية وأهميتها العلمية داخل الجامعات والمعاهد العليا[1].

(1) عدنان السيد حسين : الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، بيروت 1994 ، ص 15 .

أولاً: نشأة الجغرافيا السياسية:

تحكي قصة تطور المجتمعات البشرية في حرفتها من الجمع والالتقاط إلى الصيد، ثم الرعي فالزراعة وأخيرًا الصناعة إنما تحكي قصة تطورها في تكوينها من عشيرة إلى قبيلة إلى أمة، ثم تتكون الدول بمعناها السياسي كوحدة سياسية لها حدودها الموضوعة، وتضم شعبًا له حكومة تدير شئونه.

وقد جاء ميلاد الجغرافيا السياسية في أواخر القرن التاسع عشر، ولكن كان لمولدها إرهاصات منذ القرون القديمة والوسطى. فنجد المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت يذكر أن: "سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها"

واعتبر أن حياة المصريين رهينة مياه النيل فقال عبارته الشهيرة: "مصر هبة النيل" في معرض دراسته لتأثير الجغرافيا في حياة الدول، وهو الذي أشار إلى أن ملك الفرس "كورش" رفض قيادة شعبه للسيطرة على مزيد من الأراضي الحقيقية خوفًا من تأثير لين المناخ على نفوس رجاله ودفعهم نحو الضعف والتراجع.

وكتب أرسطو الفيلسوف والمفكر السياسي اليوناني عن علاقة السياسة بالجغرافيا، وتناول في مؤلفه "السياسة" العلاقة بين المناخ والحرية. كما اعتبر الجغرافي اليوناني استرابو (62 ق.م – 21 م) أن عادات الناس والأقسام السياسية للدولة تتحدد بظروف طبيعية.

كما نجد أن استرابو ذكر أيضًا في كتابه "الجغرافيا" والذي يتناول الإمبراطورية الرومانية أن الدولة إذا كانت كبيرة فإنها تكون في حاجة إلى حكومة مركزية قوية يتولى السلطة فيها حاكم فرد حتى يتسنى لهذه الحكومة أداء وظيفتها على الوجه الأكمل".

كما ربط مونتسكيو Montesquieu بين الظروف المناخية وبين القدرة على التنظيم، أو القدرة على العدوان أو بينها وبين التشريعات التي تخضع لها الجماعات البشرية.

وشرح العالم العربي الكبير "عبد الرحمن بن خلدون" في كتابه المعروف «المبتدأ والخبر في أحوال من ذهب من أخبار العرب والعجم والبربر» والمعروف بمقدمة ابن خلدون التفاعل بين الجغرافيا والسياسة متحدثًا عن ميل سكان وسط أفريقيا إلى الدعة والمرح نتيجة ظروف المناخ السائدة هناك. وسبق كثيرًا من العلماء في حديثه عن أهمية العامل الجغرافي للعاصمة - أو مركز الدولة - متوقفًا عند دور العاصمة في السلم والحرب.[1]

كما ظهرت في كتابات "أفلاطون" و "أرسطو" و" جان جاك روسو" و "بودان" إشارات وملاحظات حول الدولة ولكن لا يوجد واحد منهم تناول الموضوع كفرع قائم بذاته.

وكان الألمان أكثر العلماء اهتمامًا بالجغرافيا السياسية، وقد تطور هذا العلم على أيديهم تطورًا كبيرًا، حتى أصبح أداة من أدوات الحكم في الدولة، فقد كانت ألمانيا في مطلع القرن العشرين تعاني ضيقًا في أرضها وتضخمًا في سكنها، وكانت في الوقت ذاته محاطة بجيران أقوياء لا يفصل بينهم أية حدود قوية، كما أن عددًا كبيرًا من أبنائها كان يعيش خارج حدودها، ومن أجل هذا اتجه التفكير السياسي في ألمانيا إلى العناية بكل ما يساعد الدولة على أن تقوى وتنهض، وحددت أهدافها على هذا الأساس، وأخذت تعمل جاهدة على تحقيقها وكان سبيلها إلى ذلك أمرين:

الأمر الأول: هو توسيع الدولة حتى تضم العناصر الألمانية جميعًا.

الأمر الثاني: هو تقوية الدولة حتى تصبح قوة عظمى.

ومع مرور الوقت زاد اهتمام ألمانيا بالقوة إلى أن أصبح التفكير في القوة العسكرية الألمانية مرضًا يصيب الألمان جميعًا. وربما كان للألمان عذر في ذلك؛ لأنهم بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) حاولوا أن يبحثوا في

(1) المرجع السابق، ص 16.

أسباب هزيمتهم في تلك الحرب، فقادهم البحث إلى التعمق في الدراسات الجغرافية السياسية[1].

ويعد فردريك راتزل Firedrich Ratizel العالم الألماني (1844 – 1904) أبا الجغرافيا السياسية والمؤسس الحقيقي لها وقد ترك بصمة كبيرة في مجال الجغرافيا السياسية في هذه المرحلة التاريخية المبكرة، حيث ركز على العلاقة بين السياسة والبيئة الطبيعية وخاصة الأرض والمناخ[2].

وكان راتزل من أنصار المدرسة الحتمية الجغرافية فضلًا عن تأثره بكتابات داروين التي ترى أن البقاء للأصلح، وقد رأى أن الدولة هي كائن عضوي حي وأن نجاحها يتوقف لدرجة كبيرة على مقدرتها لاكتساب الأرض وعلى أنها تعبيرًا للرابطة بين الإنسان والأرض، كما كان يرى أن الدولة مثلها مثل الكائنات الحية تخضع لقوانين الانتخاب الطبيعي، ولا يبقى منها في النهاية إلا الأصلح للبقاء. وقد لاقت أراؤه قبولاً في أماكن كثيرة في العالم حيث كانت غير خاضعة للجدل، كما أن محاولته لوضع معلومات الجغرافيا السياسية المعاصرة في نظام قد ظهرت في عام 1897[3].

وكتاب راتزل في الجغرافيا السياسية Politische Geographie أوضح فيه أن العوامل الجغرافية تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، وأن حدود الدولة قابلة للنمو والزحزحة حتى تبلغ حدودها الطبيعية، وتتعداها إن لم تجد مقاومة من الجيران،

(1) محمد متولي، محمود أبو العلا: الجغرافيا السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1977، ص ص 25- 26.

(2) Drysdale, A. & Blake, G., The Middle East and North Africa, The political Geography, oxford university press 1985,pp3-4

(3) يسري الجوهري: الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية 1997، ص 9.

وبذلك كان نمو مفهوم المجال الحيوي Lebensraum من صنع راتزل أيضًا[1] وتعتبر أراء راتزل همزة وصل ونقطة بداية لكل من الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك Geopolitcs، رغم أن العلمين لم يتعايشا معًا في توافق وتوائم بعد وفاته. أما ما بعد راتزل فقد أخذت الجغرافيا السياسية تتقدم بخطي وئيدة متعثرة بالرغم من أن أعمالا ذات قيمة قد صدرت في فترات مختلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين، ولكنها لم تقدم إضافة تذكر للأسس التي وضعها راتزل من قبل. وكان على رأس من ساهموا في تلك الأعمال" إسحاق بومان Isaac Bowman " في كتابه "العالم الجديد" The New world و " ديرونت وتيلسي Derwent whittlessey في كتابه " الأرض والدولة" The Earth and state. وكان بومان كأخصائي إقليمي أمريكي في مؤتمر فرساي للسلام، وثيق الصلة بالسياسة والجغرافيا معًا وساهم في تسوية مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)، فقدم تصورًا رسميًا حياديًا لعالم جديد بدأ يظهر من بين ركام تلك الحرب[2].

بينما ركز كتاب ويتلسي Whittlessey على معلومات منهجية وعلى العلاقة الدولية التي ترتكز على المستوى المحلي.

وقد أدخل العالم السويدي رودلف كيلين Rudolf Kiellen (1864 – 1922) بعض التعديلات على الفكرة التي تقول بأن الدولة كائن حي، حيث رأى كيلين أن الدولة ليست كائنًا حيًا وحسب، بل هي أيضًا كائنًا ذا شعور مزدوج بقدرات

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا السياسية المعاصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2003، ص2.

(2) أمين محمود عبد الله: دراسات في الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار طيبة للطباعة والنشر والتوزيع، أسيوط 2000، ص 18.

فكرية وأخلاقية عظيمة، وتمثل الأرض التي يعيش عليها هذا الكائن بالجسد، وتكون العاصمة القلب والرئتين وتمثل الطرق والأنهار الأوردة الشرايين، ومناطق التعدين والإنتاج الزراعي هي بمثابة الأطراف. وهو بهذا يكون قد خطا خطوة في التفكير جعلته يتفوق على راتزل، وإن كان يتفق معه في أن الهدف النهائي الذي تسعى الدولة لتحقيقه هو أن تكون دولة قوية يهابها الجميع ويضعونها في الحسبان.

ويعد رودلف كيلين أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيكا[1] Geopolitik والتي عرفها بأنها البيئة الطبيعية للدولة، وإن أهم ما تعني به الدولة هو القوة. كما أن حياة الدولة تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان، وقد رأى أن الجغرافيا ينبغي أن تسخر لخدمة الدولة وذلك هو الغرض الأسمى للدراسة وبذلك تتحول الجغرافيا في مجملها إلى جيوبوليتيكا[2].

وإذا كان كيلين قد حظي بفضل السبق في استخدام مفهوم الجيوبوليتيكا التي عرفها بأنها البيئة الطبيعية للدولة فإن هذا المفهوم قد تطور بعد ذلك خاصة عند الألمان بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ساد مبدأ الدولة كائن حي، ويعد كارل هاوسهوفر K. Houshofer (1869 – 1946) مؤسس الجيوبوليتيك الألمانية، وقد بدأ حياته ضابطًا في الجيش الألماني، وذهب إلى اليابان سنة 1908 م، ودرس الكثير عن الشرق الأقصى والمحيط الهادي، ثم تولى تدريس الجغرافيا السياسية والعلوم العسكرية في ألمانيا بعد حصوله على الدكتوراه سنة 1911م، وقد أسهم في سنة 1924م في تأسيس معهد ميونيخ للجيوبوليتيكا وحملة السياسة، وقد تبوأ مكانة كبيرة هو ومعاصروه في المعهد المذكور في عهد هتلر في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية الألمانية[3].

(1) يطلق البعض على مصطلح الجيوبولتيكا أوالجيوبولتيك Geopolitik علم السياسة الجغرافية.
(2) محمد رياض: الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا، دار النهضة العربية، بيروت 1974، ص 89.
(3) فتحي محمد أبو عيانه: الجغرافيا السياسية، دار المعرفة الجماعية، الإسكندرية 1995، ص ص 8 – 9.

وقد ساهمت أفكار هاوسهوفر في مزيد من دراسة عوامل قوة الدولة وارتباط ذلك بالموقع الجغرافي، خصوصًا وأن هذا العالم الألماني اتصل بقيادة الحركة النازية منذ سنة 1923 م، وانشغل بمستقبل الرايخ الألماني ودوره في العالم.

وبذلك فقد طوع الجغرافيون الألمان علم الجيوبوليتيكا لخدمة الحزب النازي الألماني تحت زعامة " هتلر" والتخطيط لاستراتيجية الحرب التوسعية لتهيئة الرأي العام للإعداد للحرب. ولهذا فقد أثارت الجيوبوليتيكا النازية رد فعل عميق من الاشمئزاز العالمي، بل وفي داخل ألمانيا نفسها. فقد التزم بعض الجغرافيين الألمان جانب الحياد ولم يستجيبوا إلى هذه السياسة العدوانية ومن بينهم "رونكاجلي" Roncagli الذي عبر عن ذلك بقوله : "إن الجغرافيين الألمان قد حاولوا أن يجعلوا من الجغرافيا أداة طيعة تستخدمها الحكومة الألمانية في تنفيذ خططها للسيطرة على العالم.

وفي عام 1932 م كتب الجغرافي الفرنسي "ديمانجون" Demangeon " نستطيع أن نقرر أن الجيوبوليتيكا الألمانية قد نبذت عن عمد الروح العلمية كلية، فمنذ راتزل لم تحقق أي تقدم وإنما تحولت إلى ساحة للجدل العقيم والأحقاد الوطنية. ويذكر بومان : "ليس هناك علم حقيقي لكي يخرجنا من النفق المظلم لهذه المشكلة الدولية – إن الجيوبوليتيكا، بالصورة التي ظهرت بها في السياسة والمنشورات الألمانية ليست إلا وهما ومهزلة ومبررًا للسرقة والاغتصاب"[1].

ثم ظهر هالفورد ماكندر H. Mackinder وكان يعمل أستاذا للجغرافيا في جامعة لندن وهو أحد مؤسسي المدرسة الإنجليزية في الجغرافيا، وكان ينظر إلى المشاكل الاقتصادية والسياسية على نطاق عالمي، حيث خرج على العالم بنظريته المعروفة بنظرية "قلب العالم" Heartland، حيث فسر حركة التاريخ في ضوء

(1) أمين محمود عبد الله: دراسات في الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 19 – 20.

الصراع بين قوى البر والبحر . وإذا كانت أفكار بعض الأوروبيين حيال الجغرافيا السياسية مرتبطة بشكل أو بآخر بالتوسع الاستعماري وسياسة القوة ، فإن ذلك لا يلغي حقيقة التأثيرات الجغرافية في حياة الدول وسياستها، وهي مسألة جديرة بالاهتمام والدراسة. ومن الملاحظ أن الدور الأمريكي في هذا المجال انطلق في أواخر القرن التاسع عشر مع ارتفاع درجة التأثير السياسي للولايات المتحدة الأمريكية في مسار السياسة الدولية، ويعد مدير الكلية الحربية البحرية في "نيوبورت" New Port ألفرد ماهان A- Mahan (1840 – 1914) من أهم أساتذة الجيوبوليتيك في الولايات المتحدة الأمريكية وهو الذي كتب عن القوة البحرية وعلاقة ذلك بالسيادة العالمية، أو السيطرة العالمية، واعتبر أن الموقع الجغرافي البحري للولايات المتحدة هو موقع متميز[1] ويأتي في طليعة العلماء الأمريكيين المحدثين نيكولاس سبيكمان N-spkman مدير معهد "ييل" yale، وهو الذي درس العلاقات بين موقع الدول وسياساتها الخارجية، ووجد أن المنطقة السياسية تتحدد بالعوامل الجغرافية، وأن القوة هي الوسيلة التي تستعملها الدول الكبرى لإرساء السلم الدولي.

كما أشار فيفلد وبيرسي في كتابيهما الجيوبوليتيكا[2] أن الجيوبوليتيكا تهتم بما يأتي:

أ – النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض.

ب– تبحث في المنظمات السياسية للمجال الأرضي.

جـ– فن العمل السياسي للدولة للحصول على مجالها الحيوي.

(1) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره ، ص 21 .

(2) رسل هـ فيفلد ، ج إتزل بيرسي الجيولوليتيكا، ترجمة : يوسف مجلي ويوسف إسكندر، سلسلة الألف كتاب، الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص12 .

ويجمل أمين عبد الله مظاهر الاختلاف بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في النقاط التالية[1] :

1- إن الجيوبوليتيكا تدرس خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما الجغرافيا السياسية تدرس كيان الدولة كما هو في الواقع.

2- إن الجيوبوليتيكا ترسم حالة الدولة في المستقبل، بينما تقتصر الجغرافيا السياسية على رسم صورة الدولة في الماضي والحاضر.

3- إن الجيوبوليتيكا متطورة متحركة Dynamic ، بينما الجغرافيا السياسية أميل إلى أن تكون ثابتة static .

4- إن الجيوبوليتيكا تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة، بينما الجغرافيا السياسية مرآة للدولة تعكس صورتها الحقيقية.

5- إن الجيوبوليتيكا تدرس العلاقة بين الأرض والدولة ،كما تدرس السياسة العالمية من وجهة نظر قومية محلية ومغرضة، بينما الجغرافيا السياسية علم حكيم وحذر وتقوم دراسته على أساس موضوعي.

6- إن الجيوبوليتيكا تعتنق فلسفة القوة وترسم الخطط الاستراتيجية التي تحقق سياسة السيطرة ، بينما الجغرافيا السياسية تدرس مقومات القوة متجردة غير متأثرة بدوافع معينة.

7- الجيوبوليتيكا لا تعترف بحدود ثابتة، بينما تعترف الجغرافيا السياسية بالحدود القائمة للدول.

(1) أمين محمود عبد الله ، مرجع سبق ذكره، ص 35 .

ثانيا: تعريف الجغرافيا السياسية:

نظرًا لحداثة نشأة الجغرافيا السياسية فقد اختلف معظم المفكرين والعلماء بما فيهم الجغرافيون في تعريف هذا العلم، كما أن مدلوله ومجاله كعلم له ضوابط لا يزال محل خلاف بين الباحثين .

وأهم تعريفات الجغرافيا السياسية هي :

أشهر هذه التعاريف ذلك التعريف الذي تقدم به الأستاذ هارتسهورن R. Hartshorne ، حيث عرف الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يهتم بدراسة التشابه أو الاختلاف بين الشخصية السياسية للدولة والإقليم السياسي وبين نظيراتها في الدول والأقاليم السياسية الأخرى في العالم . ولكي نفسر الاختلافات الإقليمية في صورة الملامح السياسية لابد من دراسة علاقاتها المترابطة مع جميع الاختلافات الإقليمية الأخرى المتصلة بها، سواء أكانت ذات أصل طبيعي أم حيوي أم ثقافي[1] .

ويعرفها باوندز Pounds,n في كتابه الجغرافيا السياسية بأنها "العلم الذي يهتم بدراسة الدولة، وأن الدولة توجد عادة للقيام بوظيفة خاصة هي حماية ورعاية كيانها وتفكيرها الأيديولوجي، كما أنها تعمل على أن توفر لشعبها ما يصبو إليه من رفاهية وحرية واستقلال"[2] .

كما يعرفها ألكسندر Alexander بأنها "دراسة الأقاليم السياسية كظواهر موجودة على سطح الأرض. وأن طبيعة ومدى هذه الأقاليم السياسية مرهونة باختلاف الظواهر السياسية الموجودة في العالم[3] .

(1) Hartshorne, R., Political Geography in perston E, James and clarence F., Jones(eds), American Geography: Inventory and prospect, Syracause university press 1954, p. 178.

(2) pounds,N. "political Geography" Mc Graw Hill, New York 1963, P.6

(3) Alexander, L.M., "world political patterns" 2nd ed. Rand Mcc Nally, Chicago, p. 36

أما الأستاذ جاكسون D, Jackson فيعرف الجغرافيا السياسية بقوله : "هي دراسة الظاهرات السياسية في إطارها المكاني من خلال تحليلها للحدود ومشاكلها للتنظيمات الجغرافية الناتجة عن تطبيق السلطة الحكومية أو الوجود السياسي للدولة[1] . وقد ذكر جاكسون في عام 1958م أن معظم الدارسين يركزون على العوامل الجغرافية في حين يهملون العامل البشري .

وفي عام 1971م عرف كوهين Cohen وروزنتال Rosenthal الجغرافيا السياسية "بأنها العلم الذي يركز على العلاقات المكانية وأثرها في العمليات السياسية"[2] .

كما ذكر الكاتبان أن الجغرافيا السياسية تحتاج إلى جهود ضخمة لتطوير وتقدم هذا الفرع من فروع الجغرافيا، ومطلوب من الجغرافيين مواجهة المشكلات التي تعترض هذا الفرع سواء أكانت مشكلات عملية أم نظرية، ويأتي على رأس هذه المشكلات الحدود الصناعية التي رسمها الإنسان[3] .

كما يعرف كاسبرسون Kasperson, R وجوليان Julian, M الجغرافيا السياسية بأنها "ذلك العلم الذي يتناول دراسة رقعة الدولة ، والتفاعل بينها وبين النظم السياسية، كما يركزان على العلاقات الدولية والمشكلات السياسية والاقتصادية والسكانية داخل الدولة وأثر ذلك في توجيه العلاقات الخارجية لها"[4] .

ويعرف مودي Moodie, A.E الجغرافيا السياسية، بأنها تحليل العلاقات بين الدول وتكوينها الداخلي وفق ظروف بيئتها، كما أنها تتناول دراسة القوى والنظم السياسية"[5] .

(1) Jackson, D., politics and Geographic Relationships, prentic - Hall, Inc, Engle - wood cliffs, New Jersey 1964, P. 91.
نقلًا عن: عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 22

(2) Muir. R., Modern Political Geography, 2 nd edition, Macmillan press Ltd, London 1992

(3) Ibid., PP. 2 - 3

(4) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في الجغرافيا السياسية والدولة، مرجع سبق ذكره ص، 23.

(5) أ. أ. مودي: الجغرافيا من وراء السياسية، ترجمة : روفائيل جرجس، سلسلة الألف كتاب رقم 420، دار الهلال، القاهرة د.ت، ص 18.

كما يرى ويتلسي D., Whittlessey بأن الوحدة السياسية هي نواة الجغرافيا السياسية، وأن القيمة السياسية لأية دولة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالظروف المناخية للمناطق التي تشغلها الدولة وبأشكال سطح الأرض وبالموارد الطبيعية في تلك المناطق.

كما يعرف فان فالكنبرج Van Valkenberg الجغرافيا السياسية بقوله : "بأنها جغرافية الوحدات السياسية التي تشتمل على دراسة كل وحدة ذات كيان سياسي خاص يتسم بخصائص معينة في الإنتاج والاستهلاك وفي القدرة على تلبية احتياجات سكانه والمساهمة في الوقت نفسه في رخاء العالم وأمنه، كما تدرس أيضًا المقومات المختلفة التي يتوقف عليها تقدم الوحدة السياسية وقوتها وتفسر العلاقات القائمة بينها وبين غيرها على أساس جغرافي" .

ويعرف كريسي Cressey الجغرافيا السياسية بقوله : " هي تطبيق المبادئ الجغرافية على مشكلات السياسة الداخلية الدولية، فهي بذلك تبحث في الحقائق المتعلقة بالموقع والحدود والمساحة والتماسك أو التجانس الداخلي من حيث علاقاتها برخاء الأمم وتقدمها" .

ومن أشهر تعريفات الجغرافيا السياسية أنها "جغرافية الدول أو جغرافية الوحدات السياسية" .

كما عرف كارل ساور[1] Carl Saur وهو من أبرز المفكرين الجغرافيين الجغرافيا السياسية ذات مرة بعبارة اشتهرت به، وظلت تتردد كثيرًا كلما دعت الحاجة إلى تعريف الجغرافيا السياسية قال كارل ساور : « إن الجغرافيا السياسية هي الطفل غير الشرعي لمجموعة العلوم الجغرافية» .

(1) Saur, C.,Recent Developments in cuiturai Geoelopments in charles, A. Ellwood (eds), Recent Developments in social sciences, philadelphia, I. Blippincott and co. 1927, p. 207.

"Wayward child of the Geographical Sciences" ومهما كان لهذه العبارة من تقليل لمكانة هذا النوع من فروع الدراسات الجغرافية، فإن الجغرافيا السياسية قد قدمت للجغرافيا بلا شك الكثير من الأفكار والمفكرين، وساهمت في بزوغ دراسات جديدة ومفيدة في الفكر الجغرافي خلال القرن الماضي. ومازال الكثيرون يتحدثون عن الجغرافيا السياسية وعن أسسها ومشكلاتها ومقتضياتها، وكثيرًا ما يشار إلى ما يسمى بمقتضيات الجغرافيا السياسية لإقليم ما أو لدولة ما كلما أثيرت مشكلة سياسية هنا أو هناك، أو عندما ما تريد دولة من الدول أن تبرر إجراء اتخذته، أو تعطي شرعية أو تضيف وزنا وتأثيرًا لحدث من الأحداث، عندئذ فقط يشار إلى مقتضيات الجغرافيا السياسية، ويتحدث عنها السياسيون والحكام والمعلقون ولعله لهذه الأسباب وجب أن نعطي لهذا الفرع من فروع الدراسات الجغرافية حقه من الدراسة والتحليل[1] .

ويضع متولي وأبو العلا تعريفًا مشتركًا للجغرافيا السياسية هو "أنها جغرافية الدول أو الوحدات السياسية، ومهمتها دراسة كل دولة من دول العالم كوحدة قائمة بذاتها، لها كيانها السياسي الخاص، ولها صفاتها المميزة، ولها أهميتها من حيث مقدرتها على المساهمة في المحافظة على الأمن والسلام العالمي. كما أنها تتناول المقومات المختلفة التي يتوقف عليها نهوض الدولة وتقدمها، وتفسر العلاقات القائمة بينها وبين الدول الأخرى على أساس جغرافي" .

من خلال العرض السابق لمجموعة التعريفات الخاصة بالجغرافيا السياسية يمكن أن نعرف الجغرافيا السياسية بأنها فرع حديث من فروع الجغرافيا البشرية يتناول دراسة الدولة أو الإقليم السياسي والحدود السياسية لهذه الدول أو الأقاليم وما يرتبط بها من ظاهرات سياسية ، وذلك في إطار مكاني" .

(1) محمد حجازي محمد: دراسات في أسس ومناج الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص5.

ثالثًا : علاقة الجغرافيا السياسية بالعلوم الأخرى:

ترتبط الجغرافيا السياسية بمجموعة من العلوم المتشعبة التي تستقي منها مادتها العلمية ؛ بعضها جغرافية وأخرى غير جغرافية وهي كالآتي[1] :

أ- علاقة الجغرافيا السياسية بفروع الجغرافيا:

تعتبر الأوضاع الطبيعية التي تتناولها أفرع الجغرافيا الطبيعية، والكيان البشري أيضًا مهمة جدًّا لفهم الحقيقة للدولة أو لأي وحدة سياسية في العالم فمشكلات الحدود السياسية تحتاج إلمامًا دقيقًا بالجغرافيا الطبيعية، والثروات الاقتصادية في باطن الأرض وموارد المياه على السطح، وأهمية كل ذلك في النواحي الإستراتيجية والاقتصادية فلا يمكن دراسة مشكلة فلسطين أو مشكلة كشمير دون الإلمام بكافة العناصر الطبيعية والبشرية .

ب- علاقة الجغرافيا السياسية بعلم السياسة:

يبحث علم السياسة في النظريات التي تبني عليها السياسات الداخلية والخارجية للدولة، وهي تتغير من وقت لآخر مثل المعاهدات الدولية أيضًا، وقد يحدث هذا التغير بشكل مفاجئ بسبب الثورات أو الانقلابات التي يتغير بسببها نظام الحكم في بعض الأحيان بعكس العناصر والظروف الطبيعية من سطح ومناخ. وإذا كان علم السياسة يدرس الظواهر السياسية للإنسان والمجتمعات، فإن الجغرافيا السياسية تفسر جانبًا من هذه الظواهر في ضوء المؤثرات الجغرافية، كما تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة التنظيمات السياسية وبناء هذه السياسة في الدولة لها دور كبير جدًّا في تكوين الأنماط الجغرافية للعلاقات السياسة.

(1) عبد العزيز طريح شرف: الأسس والمشكلات في الجغرافيا السياسية، الجزء الأول، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية 1963، ص ص 4 - 5 .

جـ- علاقة الجغرافيا السياسية بعلم التاريخ:

هناك علاقة بين الجغرافيا السياسية وعلم التاريخ خاصة التاريخ الحديث؛ لأن تاريخ الدولة، أو تاريخ المنطقة يلقي دائمًا الضوء على الأسس التاريخية لبعض المشكلات التي تواجهها الدولة، مثل مشكلة فلسطين من أجل فهمها لابد من دراسة تاريخ فلسطين لبحث مشكلة هذه الدولة.

كما ينبغي على دارس الجغرافيا السياسية أن يستشهد بصفحات التاريخ وأحداثه في صياغة المبادئ ووضع الأسس لتفسير المشكلات الجارية وتحليلها.

د- علاقة الجغرافيا السياسية بعلم العلاقات الدولية:

علم العلاقات الدولية هو العلم الذي يدرس القوانين والاتفاقيات الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول. مثال ذلك المعاهدات الخاصة باستخدام القنوات الملاحية الدولية، المضايق الدولية، أسس تحديد المياه الإقليمية، القوانين الدولية المنظمة للملاحة البحرية والجوية، وموارد الثروة في مناطق الحدود الدولية، فهي كلها تساعد على حل المشكلات الدولية وتيسر فهم كل دولة لحقوقها.

هـ- علاقة الجغرافيا السياسية بعلم الديموجرافيا:

ترتبط الجغرافيا السياسية بدراسة علم الديموجرافيا أو السكان من زاوية دراسة سكان الدولة وحركتهم على الأرض، لمعرفة الكثير من الحقائق والمعلومات، ولذلك ينبغي لفهم أوضاع الدولة ومشكلاتها الإلمام بكل ما يمس سكان الدولة من حيث الإحصاءات الحيوية (المواليد، الوفيات، الزواج، الطلاق) ونمو السكان والتركيب العمري والنوعي لهم، فضلا عن موضوع الهجرة.

مما سبق يتضح أن سياسة أي دولة تخضع لنوعين من العوامل:

1- عوامل ثابتة: مثل مظاهر الجغرافيا الطبيعية والبشرية التي تتميز بها الدولة.

2- عوامل متغيرة: وأهمها النظريات والمذاهب السياسية التي يقوم عليها نظام الحكم، وكذلك القوانين والاتفاقيات والمعاهدات التي تنظم العلاقات بين الدول بعضها البعض.

رابعًا: مناهج البحث في الجغرافيا السياسية:

تتعدد مناهج البحث والدراسة في الجغرافيا السياسية على الرغم من حداثة نشأة هذا العلم وأهم هذه المناهج هي:

1- المنهج الإقليمي.

2- المنهج المورفولوجي.

3- المنهج التاريخي.

4- منهج تحليل قوة الدولة.

5- المنهج الوظيفي.

6- منهج أو نظرية جونز Jones للمجال الموحد.

7- المنهج السياسي – الإيكولوجي لماك كول .

وفيما يلي دارسة لهذه المناهج:

1- المنهج الإقليمي : Regional Approach

وهو الذي يتناول دراسة الوحدة السياسية (الدولة) أو الإقليم السياسي من خلال عناصرها الجغرافية والتي تشمل الموقع والشكل والمساحة والحدود والمناخ والموارد والسكان.

وكان بومان Bowman في كتابه «العالم الجديد the New world » أول من اتبع هذا المنهج، كما اتبعه الكثيرون من بعده، على أن بعض الباحثين لا يأخذ به ويرون أن الباحث ربما انزلق – دون قصد إلى ميدان الجغرافيا الإقليمية، كما يرون

أن هذا المنهج لا يعطي صورة صادقة لتطور الدولة أو الإقليم السياسي ، إنما يربطها بظروفها الطبيعية والبشرية بصورة قد تصل إلى الحتمية، وإذا كانت الظروف الطبيعية لا تتغير فإن الظروف البشرية كثيرًا ما تتغير مما يؤثر كثيرًا في وضع ووزن الدولة أو الإقليم السياسي[1].

لذلك ينبغي على الباحث في الجغرافيا السياسية أن ينتقي ما يفيده من الدراسة الإقليمية بالطريقة التي تفيده والتي تؤدي إلى تفهم المشكلة موضوع الدراسة.

2- المنهج المورفولوجي : Morphological Approach

وهو يقوم على دراسة الظاهرات السياسية في الدولة من حيث شكل الدولة وتركيبها أو نمط هذه الظاهرات. فمن حيث شكل الدولة وتركيبها فإن هذا المنهج يقوم على تحليل التركيب الداخلي لإقليم الدولة أو الوحدة السياسية تحليلًا وصفيًا وتعليليًا على أساس جغرافي، ويضم التركيب الداخلي الخصائص المورفولوجية الداخلية المتمثلة في مناطق القلب أو النواة والعاصمة والمناطق الحضارية أو الثقافية داخل الدولة، بينما يضم التركيب الخارجي الخصائص المورفولوجية الخارجية المتمثلة في الحجم والشكل والموقع والحدود. وقد استخدم هارتسهورن هذا المنهج عام 1935 م ، ولكنه تخلى عنه بعد ذلك باعتباره منهجا جامدًا عقيمًا، ولهذا فقد استبدله عام 1950 م بالمنهج الوظيفي [2].

وأكد كل من كنج King وكول Cole أن المنهج المورفولوجي يمكن تطبيقه على بنجلاديش وانفصالها عن باكستان[3].

(1) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في أسس الجغرافيا السياسية والأوضاع العالمية الجديدة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية 1994، ص 28 .

(2) أمين عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 15.

(3) Muir, R., Modern Political Geography, op. cit., P.3 .

أما من حيث دراسة النمط فينبغي أن تشير هذه الدراسة إلى الإشكالات التنظيمية التي تؤدي إلى الارتباط السياسي للدولة في المنظمات والتكتلات الإقليمية والدولية.

3- **المنهج التاريخي**: Historical Approach

يتناول هذا المنهج نشأة الدولة وتطورها حتى بلغت بناءها السياسي الحالي، وقد يكون هذا المنهج مفيدًا في بعض الحالات الخاصة بتطور بعض الدول، فمثلًا ظهور دولة لوكسمبورج لا بد له من تفسير لتطور هذه الدوقية، وأثر هذا النمو على شكلها الحالي. ويعيب هذا المنهج انزلاق الباحث في الجغرافيا السياسية وسط خضم من الأحداث التاريخية تبعده عن اتجاهه، ويصبح في هذه الحالة مميزًا عن باحث التاريخ السياسي، كما يعيبه أيضًا خشية الخروج بأحكام عامة، أو مبادئ نتيجة دراسة حالات خاصة. وقد كتب الكثيرون فيما مضى أمثال راتزل وكيلين وهاوسهوفر عن الدولة ككائن حي والقوانين التي تتحكم في نموها، ورغم أن التطور التاريخي لكل وحدة سياسية قد يكون فريدًا بحيث يصبح من الصعب التعميم، فعلى سبيل المثال هذا المدخل التاريخي للدولة قد يفيد في تحليل هذه الأقاليم كظاهرات سياسية معاصرة على سطح الأرض[1].

4- **منهج تحليل قوة الدولة**: power Analysis Approach

هذا المنهج يفضله غير المشتغلين بالدراسات الجغرافية فمن ينظرون إلى الجغرافيا كأحد العوامل التي تسهم في تحديد الكيان السياسي للدولة، وهؤلاء يرون أن قوة الدولة ترجع إلى خمسة عوامل هي: العامل الجغرافي، العامل العسكري، العامل الاقتصادي، العامل الاجتماعي، والعامل السياسي.

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 10.

وقد قام كوهين S. cohen بحصر العناصر الجغرافية المؤثرة في قوة الدولة وقسمها، إلى خمسة عناصر هي[1]:

1- البيئة الطبيعية للدولة وتشمل السطح والمناخ والتربة والنبات والمسطحات المائية.

2- الحركة وتشمل وسائل النقل اللازمة لنقل السلع والناس، ثم وسائل الاتصال المختلفة التي تقوم بنقل الأفكار، والاتصال بين أقاليم الدولة.

3- الخامات المستغلة والكامنة، والمواد نصف المصنعة والسلع الكاملة التصنيع.

4- السكان من حيث حجمهم وخصائصهم ونوعياتهم وأيديولوجياتهم.

5- الأسلوب السياسي، ويقصد به الأشكال الإدارية والعقائد والأيديولوجيات المختلفة في أهدافها ومثلها في ضوء الإطار المكاني الذي توجد فيه الدولة.

والمنهج التحليلي هو منهج دراسة مقارنة عام، وقد طبق على دراسة الدولة الواحدة، ويمكن تطبيقه على مجموعة دول في منظومة إقليمية أو في منطقة واسعة[2].

ويرى الكثيرون من الجغرافيين أن هذا المنهج لا يعتد به في دراسة الجغرافيا السياسية بحكم أنه موضوعًا أصيلًا أكثر منه منهجًا.

5- **المنهج الوظيفي**: Functional Approach

يتناول هذا المنهج دراسة الدولة أو الإقليم السياسي في ضوء علاقاته الداخلية والخارجية؛ أي كيف استطاع الإقليم أن يحافظ على ذاته داخليًا كوحدة سياسية

(1) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في أسس الجغرافيا السياسية والأوضاع العالمية مرجع سبق ذكره، ص 36.

(2) محمد رياض: الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا، دار النهضة العربية، بيروت 1979، ص ص 28 – 41.

متكاملة، وما هو أثر العوامل أو القوى غير السياسية مثل المناخ والجبال أو وجود مجموعات عرقية مختلفة على أوجه النشاط السياسي للدولة ، وبالتالي ما هو أثر القوى السياسية على مثل هذه الملامح مثل أنماط العمران واستخدام الموارد أو حتى تنمية شبكات النقل الداخلي ، وهل الحكومة مستقلة أو خاضعة لنفوذ أجنبي، وهل هناك مشكلات قائمة مع الدول المجاورة ، وهل يعتمد الاقتصاد والناتج المحلي للدولة على دولة أخرى ، ومعنى ذلك أن هذا المنهج يدرس عنصر الوظيفة أكثر من التطور أو التركيب، وهو بذلك يمكن الباحث من تحديد أوجه الارتباط بين الظاهرات المهمة في الدولة في ضوء هدف محدد يتمثل في الأسلوب الذي تمارس به الدولة وظيفتها لتحقيق أغراضها المشروعة[1].

6- منهج أو نظرية جونز للمجال الموحد: Unified Field theory

اقترح جونز S. jones نظرية أطلق عليها "نظرية المجال الموحد" وتقوم هذه النظرية على تحليل الدولة من وجهة نظر الجغرافيا السياسية على عناصر محددة متشابكة، وتتمثل هذه العناصر في: الفكرة السياسية، القرار، الحركة، المجال، والمنطقة أو الرقعة السياسية وسوف نتناول كلًّا من هذه العناصر على حدة:

الفكرة السياسية political Idea : تشمل فكرة إنشاء الدولة وتوجيهها السياسي والأيديولوجي، وقد تخرج هذه الفكرة إلى حيز الوجود والتنفيذ وقد لا يكتب لها النجاح.

القرار Decision :

وهو من العناصر الضرورية لتنفيذ أي فكرة سياسية، وقد يكون هذا القرار برلمانيا، أو ربما اتخذته جماعة سياسية أو حزب سياسي.

الحركة Movement :

وهي ترتبط في تكوينها أو تغيرها أو تقييدها بالقرارات السياسية.

(1) فتحي أبو عيانة، مرجع سبق ذكره، ص ص 12 – 13 .

المجال Field :

يتم تحديد المجال بناء على الحركة التي تصدر عن دوافع سياسية، ويؤدي نقل المساعدات العسكرية إلى حيوية هذا المجال.

المنطقة أو الرقعة السياسية Area :

وهي محصلة تفاعل العناصر الأربعة السابق الإشارة إليها ويتناول هذه المنطقة بالدراسة كل من رجل السياسة والباحث في الجغرافيا السياسية ، كل من وجهة نظره الخاصة .

وتجدر الإشارة إلى أن أي تغيير يطرأ على أحد العناصر الخمسة لنظرية جونز يؤثر في بقية العناصر الأخرى لارتباطه الوثيق بها، حتى أن جونز شبهها بسلسلة تتكون من خمس حلقات متشابكة ومتداخلة[1].

وينبغي أن نشير إلى أنه مهما تعددت مناهج دراسة الجغرافية السياسية فأنها تلتقي حول عنصر أساسي هو المكان. فالمكان هو العنصر الحاسم في الجغرافيا والسياسة معًا، ولكنه عنصر متحرك وليس عنصرًا جامدًا ؛ لأنه يرتبط بحركة الإنسان المستمرة دائمًا.

كما قام موير Muir بتطبيق نظرية جونز على ليبيريا وبنجلاديش وذلك على النحو التالي[2].

	بنجلاديش	ليبيريا
الفكرة السياسية	قامت الحكومة في باكستان الشرقية باتباع سياسة التمييز ضد سكان باكستان الغربية .	إلغاء تجارة الرقيق .

(1) محمد عبد المجيد عامر، دراسات في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ص 69 – 70 .

(2) Muir, R. Op. cit., P. 27

	بنجلاديش	ليبيريا
القرار	أصدر الشيخ مجيب الرحمن برنامج النقاط الست من أجل المساواة والاستقلال .	الثورة ضد الاستعمار للمطالبة بعودة الرقيق إلى وطنهم .
الحركة	قامت القوات المسلحة في باكستان بطرد اللاجئين إلى الهند وتدخل الجيش الهندي .	نقل الرقيق المحررين إلى غرب أفريقيا .
المجال	باكستان الشرقية .	شراء منطقة لتوطين الرقيق المحررين .
المنطقة السياسية	استقلال دولة بنجلاديش .	قيام دولة ليبيريا .

وأخيرا يرى عامر أن المناهج المثلى للبحث في الجغرافيا السياسية هي: المنهج الإقليمي، والمنهج التاريخي، المنهج المورفولوجي[1] .

7- **المنهج السياسي – الايكولوجي لماك كول :**

Mc-coll's political Ecological Approach

على الرغم من عدم وضوح هذا المنهج وأنه لم يقدم الكثير للجغرافيين السياسيين عبر الزمن، إلا أن هذا المنهج يعتمد على الوصف والتحليل والتقييم، والربط بين الجغرافيا والسياسة.

ومعظم النماذج الجغرافية لتنظيم السياسة قد افترضها كوهين وروزنتال ، حيث ذكرا أن الجغرافيا السياسية تدرس العلاقات المكانية للعمليات السياسية واستخدامها في توزيع العمليات السياسية والعلاقات المكانية في إطار منهج النظم.

(1) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 75 .

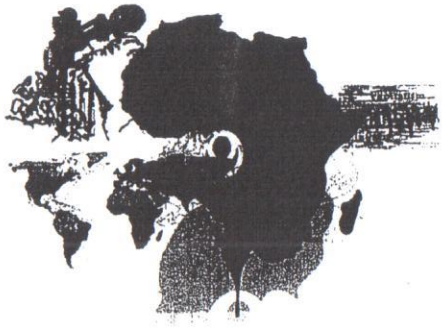

الفصل الثاني

مفهوم الدولة ونشأتها ومراحل نموها ونظامها السياسي

أولاً : مفهوم الدولة .

ثانيًا : نشأة الدولة ومراحل نموها .

ثالثًا : شكل النظام السياسي للدولة .

رابعًا : تصنيف الدول .

خامسًا : تطور عدد الوحدات السياسية في العالم .

مفهوم الدولة ونشأتها ومراحل نموها ونظامها السياسي

أولاً : مفهوم الدولة:

سبق أن ذكرنا أن محور الجغرافيا السياسية هي الدولة[1] ، وأن الدولة أو الوحدة السياسية هي عبارة عن رقعة من الأرض موحدة ومنظمة سياسيًا مسكونة من قبل سكان أصليين ، لها حكومة وطنية ذات سيادة على جميع أطراف الدولة ولديها القوة الكافية لحماية هذه الدولة.

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ الدولة State يثير بادئ ذي بدء فكرة السلطة السلطة – الفعالة والمحمية والمنظمة – ، إن الدولة هي نوع من التنظيم الاحتياطي الذي يضمن أمنه وأمن الرعية ضد الأخطار الخارجية أو الداخلية، ولهذا الغرض فهو يتمتع بقوة مسلحة وعدة أجهزة للردع[2] .

وقد عرف فيفلد وبيرسي الدولة State بأنها الدولة التي تحكم نفسها ولها كافة حقوق السيادة[3] .

كما عرفها هارم دوبليه (بأنها أرض أو إقليم طبيعي محدد، وشعب متميز يسكن تلك الأرض، وحكومة أو نظام سياسي له سلطة، وإن هذه العناصر (الأرض، الشعب، النظام السياسي) متفق عليها بين جميع المعنيين.

وتتعرض الدول للزوال أو الانقسام وظهور دول أخرى وذلك بسبب الحروب ، فقد تختفي دولة من الوجود مثل الدولة الرومانية، وقد تندمج بعض

(1) سوف نستخدم كلمتي الدولة أو الوحدة السياسية في هذا الكتاب كمترادفين يؤديان نفس المعني.
(2) جاك دونديو دوفابر: الدولة، ترجمة : سموحي فوق العادة، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت 1970، ص6 .
(3) فيفلد وبيرسي، مرجع سبق ذكره، ص 18 .

الدول في أخرى مثل ألمانيا والتي ظهرت كدولة واحدة عام 1991 بعد اتحاد كل من ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، وقد تظهر دول لم تكن موجودة من مثل مجموعة الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق وهي جمهوريات أوكرانيا، تركمانستان ، أوزبكستان، أرمينيا، جورجيا، روسيا البيضاء (بيلا روسيا)، الشيشان، كازاخستان ، قرغيزيا[1] ، وانضمت هذه الدول إلى عضوية الأمم المتحدة بعد أن انفرط عقد الاتحاد، هذا فضلا عن دويلات البلطيق الثلاث وهي (استونيا، لاتفيا، ولتوانيا) والتي سبق أن استقلت من قبل استقلال هذه الجمهوريات، كما تكونت الآن جمهورية روسيا الاتحادية من فلول الاتحاد السوفيتي.

أما الدول التي اختفت ولم يعد لها وجود فهي: الدولة الرومانية، الدولة العثمانية (إمبراطورية النمسا، إمبراطورية المجر)، الكومنولث البريطاني، الاتحاد الفرنسي، إمبراطورية غانا ، الإمبراطورية الهندية.

ثانيا: نشأة الدولة ومراحل نموها:

كانت الجماعات البشرية – في المراحل الأولى – تختار كل منها لنفسها منطقة خاصة تتوفر لها أسباب الحماية الطبيعية من حولها، وتزاول ألوان النشاط على أرضها، وكانت الجماعات تنفصل عن بعضها بفواصل أو تخوم طبيعية من جبال أو غابات أو مستنقعات أو بحيرات[2] .

وقد أصبح الرأي السائد اليوم أن الدولة لا توجد إلا حيث تكون الجماعة السياسية قد وصلت إلى درجة من التنظيم يجعل لها وجودًا مستقلا عن شخصيات الحكام الذين يمارسون السلطة فيها، الأمر الذي لا يتحقق إلا بعد الوصول إلى مرتبة معينة من المدنية ، وعلى الرغم مما وجد في إمبراطوريات الشرق القديم

(1) أحيانًا يعبر عنها باسم قيرغيزستان .

(2) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 83.

خصوصًا في مصر والعراق وبلاد فارس، من تنظيمات سياسية وقانونية فإن الكثيرين ينكرون على تلك الإمبراطوريات صفة الدولة بمفهومها الحديث، ويسمونها إمارات أو ممالك Dominions or imperia[1] .

غير أن المدن السياسية القديمة الإغريقية والرومانية كانت لها نفس الخصائص ونفس السمات الاجتماعية والقانونية التي للدولة الحديثة، ومن ثم يمكن أن نطلق على تلك المدن اسم الدولة، فالفوارق بينها و بين الدولة الحديثة لم تكن فوارق في الطبيعة وإنما فوارق في الدرجة فقط. وعلى ذلك يمكن أن نرجع بتاريخ ظهور فكرة الدولة بوصفها كيانا مستقلا عن الأشخاص الحكام الذين بيدهم السلطة السياسية، إلى تاريخ ظهور المدنية السياسية المستقلة في بلاد الإغريق.

ومع ذلك فقد انهارت فكرة الدولة في أوروبا بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وغزو القبائل الجرمانية. ولم تعرف العصور الوسطى المسيحية فكرة إسناد السلطة السياسية إلى شخص مجرد عن أشخاص الحكام، بل كان الفرد يعد تابعًا للسيد الإقطاعي تبعية شخصية[2] .

ولكن الإسلام قد عرف فكرة الدولة المستقلة صاحبة السيادة عن أشخاص الحكام وكان يعد الحاكم – أي الخليفة – بمثابة أمين على السلطة يمارسها بصورة مؤقتة، ونيابة عن الأمة. وقد أخذت فكرة الدولة تنبت من جديد في بلاد أوروبا المسيحية منذ القرن الثالث عشر حتى وضحت معالمها، وتحددت عناصرها، في أوائل القرن السادس عشر في كل من فرنسا وإنجلترا وأسبانيا ففي ذلك الوقت ظهرت التفرقة بين صاحب السلطة ومن يمارسها، وقام الفصل بين الحاكم وسلطة

(1) ثروت بدوي: النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة 2005، ص 23 .

(2) ثروت بدوي: أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة 1967، ص ص 109 – 110.

الحكم هو ما يسميه "هو ريو"تأسيس السلطة" بمعنى أن الدولة صاحبة للسلطة السياسية، وأن الحاكم قد أصبح مجرد أداة في يد الدولة تمارس عن طريقه سلطتها.

وقد لاحظ الأستاذ فالكنبرج Valkenberg أن الدول تمر في نموها بعدة مراحل أو أطوار تشبه المراحل التي تمر بها الأنهار في تطورها، أو الأطوار التي يمر بها الإنسان خلال دورة الحياة. فالدولة تبدأ بطور النشأة ، ثم تنتقل إلى طور الشباب، ثم إلى مرحلة النضج ، ثم تنتهي بمرحلة الشيخوخة أو الهرم، بحيث تتميز كل مرحلة بمجموعة من الخصائص تميزها عن المراحل الأخرى، وهذه المراحل هي[1] :

أ- مرحلة النمو:

حيث تتجه الدول في هذه المرحلة إلى نمو البناء الداخلي وتنظيم شئونها الداخلية، وتنمية مواردها المحلية، وربط أجزائها البشرية بعضها ببعض ، والدولة هنا تلتزم سياسة الدفاع ولا تفكر في التوسع الخارجي، وقد تضطر إلى الهجوم لحماية نفسها أو لاستعادة أرض مغتصبة وتميل الدولة في هذه المرحلة إلى حل مشكلاتها مع الدول الأخرى بالطرق السلمية . ومن أمثلة الدول التي تمر بهذه المرحلة الدول العربية، وجمهوريات أمريكا اللاتينية، والدول الأفريقية الحديثة الاستقلال ؛ أي الدول النامية بوجه عام.

ب- مرحلة الشباب:

تصل إليها الدولة بعد أن تنتهي من البناء الداخلي وترسيخ وحدتها الإقليمية وتوفير استقرارها ورخائها الاقتصادي باستغلال مواردها وبذلك تكون قد استكملت أسباب نموها وقوتها. وقد يصبح للدولة فائض من هذه القوة يمكن أن

(1) أمين محمود عبد الله: في أصول الجغرافيا السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1977 ، ص ص 40 - 41 .

توجهه إلى العدوان والتوسع، فتظهر فكرة الاستعمار وتكوين إمبراطورية لها فيما وراء البحار.

وقد مرت كل من ألمانيا وإيطاليا بهذه المرحلة بعد الوحدة في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، ومرت اليابان بهذه المرحلة في الثلث الأول من القرن العشرين، وهي الدولة التي كانت بمسلكها العدواني سببًا في إشعال الحرب العالمية الثانية، ولهذا تعتبر هذه المرحلة أخطر مراحل نمو الدولة، فهي عدوانية مثل مرحلة المراهقة والشباب عند الإنسان.

جـ- مرحلة النضج والاستقرار:

وتبدأ بعد وصول الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية، فتحتاج إلى فترة هدوء واستقرار تتيح لها الفرصة لكي تجني ثمارها واستغلالها والدفاع عنها. لذا تميل الدولة في هذه المرحلة إلى المسالمة، وحل المشكلات بالطرق الدبلوماسية الهادئة، وقد تقدم بعض التنازلات في سبيل ذلك. ومع ذلك فإن الدولة في هذه المرحلة لا تتردد في إشعال الحرب إذا أحست بخطر يهددها أو يهدد ممتلكاتها وقد كانت دول الحلفاء وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، قبل الحرب العالمية الثانية أمثلة لهذا الطور من النمو.

د- مرحلة الشيخوخة:

فبعد أن تصل الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية، أو الاستقرار قد يحدث أن تضعف قوتها وتأخذ في الانحلال والاضمحلال نتيجة لعوامل خارجية أو داخلية، وفي هذه المرحلة تصبح الدولة عاجزة عن الاحتفاظ بإمبراطوريتها التي وصلت إليها في مرحلة الشباب، وبالتالي تصبح نهبًا لمطامع الغير. مثال ذلك إمبراطورية النمسا، والإمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) The Sick Man في القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، وانتهت هذه المرحلة بسقوطها في الحرب العالمية الأولى .

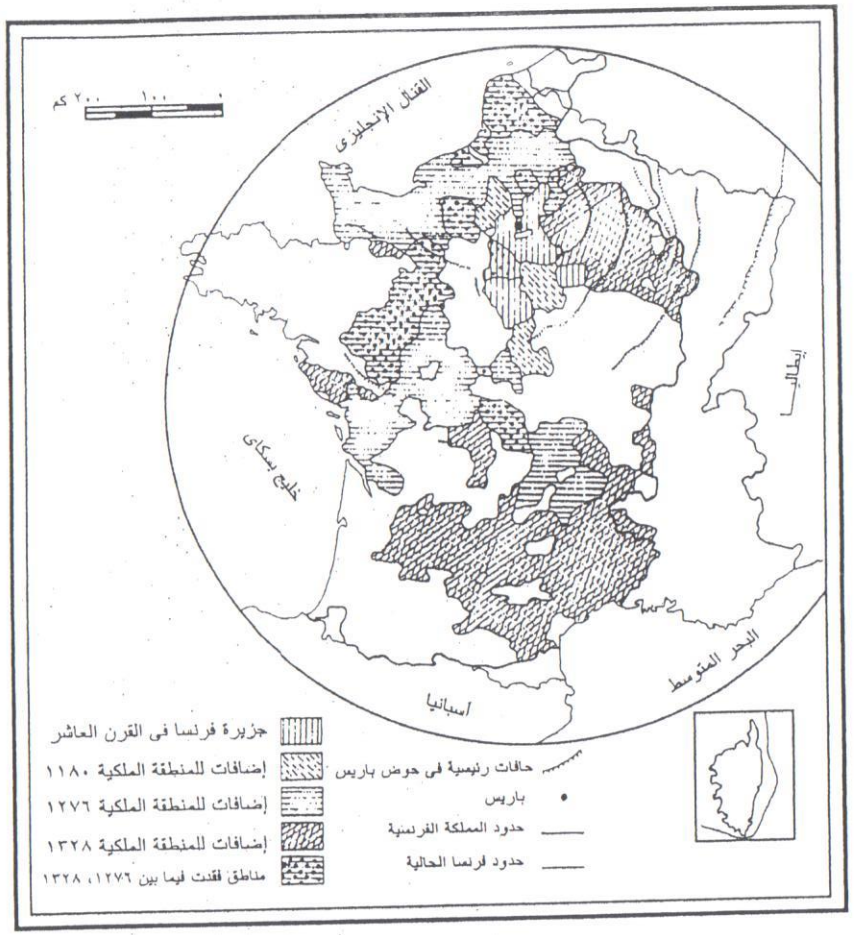

شكل (١) : التوسع الإقليمي لفرنسا

بتصرف عن: حسن عبد العزيز حسن

ولا تزال كل من الإمبراطورية البريطانية والفرنسية تمر بهذه المرحلة. ولكن دورة النمو للدولة -كما يرى (فالكنبرج)- قد لا تكتمل حتى نهايتها -؛ فقد تنقطع عند مرحلة الشباب كما حدث لألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، ووقد تبلغ مرحلة النضج أو الشيخوخة ، ثم تنقلب مرة أخرى إلى مرحلة الشباب فيتجدد نشاطها وتستعيد نزعتها إلى العدوان.

وتتوقف كل مرحلة من المراحل السابقة على مدى التجانس أو التنافر بين عوامل بنائها الداخلي ؛ أي بين القوى الجانبية والنابذة فيها.

مظاهر نمو الدولة:

إن المظهر السياسي على سطح الأرض هو أحد الآثار التي صنعها الإنسان، والأقاليم السياسية تظهر تباينًا من مكان لآخر، كما أنها عرضة للتغير أو الاختلاف الفجائي سواء في تركيبها الداخلي أو في شكلها الخارجي، بل إنه يمكن أن تظهر دولة فجأة إلى حيز الوجود، وقد تختفي من الوجود بنفس السرعة، وعامة فإن جميع الدول عندما تستكمل نموها فإنها تشترك في خصائص تقليدية عامة[1].

وأهم هذه الخصائص هي:

أ- منطقة النواة أو القلب Core Area :

معظم الدول والإمبراطوريات لا تخلق فجأة وإنما تولد في مكان ، ثم تنمو ببطء، فعملية النمو تحتاج إلى العديد من السنين إلى أن تصل حدودها إلى حدود دول أقوى وأكبر فحينئذ يتوقف نموها وتأخذ الشكل والحجم الذي استطاعت أن تصل إليه. من أجل ذلك اختلفت أشكال وأحجام دول العالم. غير أنه يجب أن

(1) المرجع السابق، ص ص 29 – 30 .

يلاحظ أن هناك الكثير من الدول التي نمت وتوسعت، ثم وقف نموها لا لضعف منها في الحصول على المزيد من الأراضي وإنما لرغبتها في عدم إدخال أقليات كبيرة إلى جسم الدولة، كما أن هناك دولا خرجت إلى الوجود ليس بناء على رغبة سكانها وإنما نزولا عند رغبة الدول العظمى والتي كانت تهدف إلى تفكيك وحدة دولة من الدول. وخير مثل على ذلك هو تقسيم كوريا إلى دولتين: شمالية وجنوبية. وتقسيم فيتنام إلى دولتين: شمالية وجنوبيا ومهما كانت الظروف التي تسببت في إخراج أي دولة إلى حيز الوجود فإن معظم الدول التي تأسست إنما نشأت في أول أمرها في منطقة صغيرة تعرف باسم منطقة النواة Core Area من هذه المنطقة بدأت الحكومة المكونة لفكرة الدولة تنطلق في جميع الاتجاهات، ويطلق على المنطقة التي تتولد فيها الدولة اسم النواة المركزية أو منطقة القلب أو (النواة).

تتميز منطقة النواة عن غيرها من جميع أجزاء الدولة بصفات خاصة. فغالبًا ما تشتهر بخصوبة أرضها ووفرة إنتاجها وحصانتها الدفاعية وموقعها الجغرافي على مفترق الطرق الرئيسية، ومن مظاهر منطقة النواة أنها تعتمد على التخصص الإقليمي في إنتاج السلع. وبهذا فإن حجم التبادل التجاري يزداد مع المناطق المجاورة فيرتفع مستوى المعيشة في منطقة النواة عن المناطق المجاورة بتطور الإقليم ونمو شبكة المواصلات فإن منطقة النواة تزدهر ويكثر عدد سكانها فتتحول إلى منطقة صناعية[1].

ولا تظهر النواة إلا وتظهر معها درجة من الحضر أعلى منها في بقية أجزاء الدولة، أحيانا تشغل نواة الدولة مركزًا حضاريًا ضخمًا، كما هي الحال في باريس ولندن وموسكو والقاهرة، وأحيانا تشغل عدة مراكز حضرية كما هي الحال في شرق الولايات المتحدة الأمريكية[2].

(1) حسين حمزة بندقجي: الدولة، دراسة تحليلية في الجغرافيا السياسية، ص ص 10 – 11.
(2) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 34 – 35.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الدول ليست لها مناطق نواة على الإطلاق، لأنها خرجت إلى حيز الوجود بواسطة عوامل خارجية (الاستعمار) دون الرجوع إلى رغبة تلك الشعوب في الاستقلال فمثلا ألبانيا ظهرت على الخريطة من فوق طاولة مؤتمر لندن عام 1913م. وظهرت غانا نتيجة اتفاق تم بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا لاقتسام المستعمرات الأفريقية. ولقد تكررت هذه العملية في كل من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط. فبعض دول هذه المناطق خرجت إلى حيز الوجود دون أن يكون لها مناطق نواه أو دون أن ترغب شعوبها في الانفصال وتكوين دولة مستقلة. غير أن العامل التاريخي قد أوجد شعورًا بالقومية لدى شعوب هذه الدول فاتخذوا من عواصم دولهم المصطنعة مناطق تجمعوا حولها[1].

ب - العاصمة:

للعاصمة دور كبير في حياة الدولة، وفي مركز السلطة السياسي والسلطات الإدارية المركزية. وللعاصمة دور ثقافي وتجاري وإعلامي مميز، وهي عقدة الاتصالات والمواصلات، وقد اختيرت بعض العواصم على أساس العلاقات المكانية، نتيجة لموقعها الممتاز في وسط أراضي الدولة كما هي الحال في مدريد عاصمة أسبانيا التي تعتبر عاصمة مثالية، وبرن عاصمة سويسرا، ووارسو عاصمة بولندا، وبودابست عاصمة المجر، وبروكسل عاصمة بلجيكا، وأنقرة عاصمة تركيا. وهناك عواصم محددة بسبب مواقعها كمرافيء بحرية مثل أوسلو (النرويج) بوينس أيرس (الأرجنتين)، هافانا (كوبا) كراكاس (فنزويلا)، أمستردام (هولندا)، لشبونة (البرتغال)، وطوكيو (اليابان)، وتحتاج مثل هذه العواصم للحماية البحرية أثناء الحروب، فقط سقطت أوسلو عاصمة النرويج على سبيل المثال – أمام الغزو البحري الألماني سنة 1940 م في الحرب العالمية الثانية.

(1) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، ص 19.

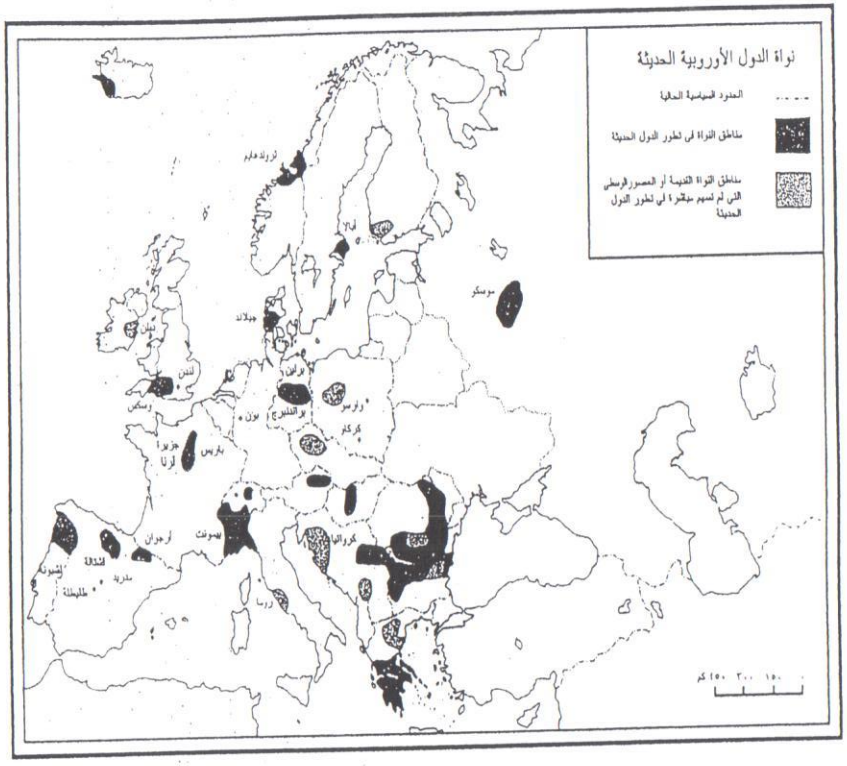

شكل (2) : نواة الدول الأوروبية الحديثة

بتصرف عن: حسن عبد العزيز حسن

وقد حاول سبيت O.spate أن يميز بين العواصم الطبيعية Natural Capitals ، والتي تطورت للوصول إلى مراكز العاصمة، والعواصم الصناعية Artificial capitals والتي شيدت في العادة لتخدم وظيفة العاصمة، فقد يكون من المجدي من النواحي الطبيعية أن تشيد مدينة جديدة على أن تأخذ واحدة باستثماراتها ووظيفتها الموجودة[1] .

وهناك عواصم مختارة لأسباب سياسية وإستراتيجية مثل برلين وما ترمز إليه ألمانيا، وأوتاوا الواقعة عند التقاء المستعمرات الإنجليزية والفرنسية في كندا، ونيودلهي ، حيث تتمركز القوات البريطانية في شبة القارة الهندية.

ويمكن أن تتغير العاصمة بإرادة سياسية أو نتيجة تغيرات سياسية مثل ريودي جانيرو (البرازيل) كراتشي (باكستان). ويمكن أن تظهر عواصم جديدة لأسباب سياسية عدة مثل هانوي (فيتنام). ومن المعروف أن تركيا غيرت عاصمتها من إسطنبول إلى أنقرة بعدما خسرت ممتلكاتها الأوروبية، فآثرت نقل موقع العاصمة إلى الداخل[2].

وتجدر الإشارة إلى أن معظم عواصم العالم تتمثل في مدينة واحدة تختص بجميع الوظائف السابقة غير أن هناك حالات شاذة في بعض الدول. فهولندا مثلا اختارت أمستردام لتكون العاصمة الرسمية للدولة، بينما نجد أن أمور الدولة تقرر بواسطة البرلمان الهولندي في مدينة لاهاي، وكذلك بوليفيا فإن عاصمتها الرسمية مدينة لاباز Lapaz ، بينما نجد أن أمور الدولة تدار من مدينة سوكر Sucre.

(1) Spate, o .K., Factors in the Development of Capital Cities Geography Review, Vol. 22, 1942, pp 622- 631
نقلًا عن: يسري الجوهري: الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية 1997 ، ص99 .

(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره ، ص ص 28 – 29 .

والجمهورية جنوب أفريقيا وضع شاذ، فلهذه الدولة ثلاث عواصم بدلا من واحدة لكل منها اختصاص محدد ، حيث السلطة التنفيذية في بريتوريا Pretoria والسلطة التشريعية في كيب تاون Cape town والسلطة القضائية في بلوم فونيتن[1]. أما الغرض من هذا التقسيم هو إرضاء القوميات المتعددة التي تعيش في جمهورية جنوب أفريقيا في كل من كيب تاون والأورانج الحرة والترانسفال.

وأخيرًا هناك نوع آخر من العواصم وهي العواصم الفيدرالية المحايدة بين الولايات التي تمثلها. ففي الولايات المتحدة الأمريكية اقتطعت 100 ميل مربع من ولاية فرجينيا Virginia و100 ميل مربع من ولاية ماريلاند Maryland لتكون مدينة واشنطن Washington D.C. العاصمة الفيدرالية على شرط أن تكون محايدة حتى أن سكانها ليس لهم ممثلون في الكونجرس الأمريكي[2]. كما أن أحد أسباب اختيار مدينة واشنطن عاصمة للولايات المتحدة هو تقديرًا لجورج واشنطون محرر ومؤسس الولايات المتحدة.

جـ - الأقاليم الداخلية:

تلجأ الحكومات إلى تقسيم الإقليم السياسي أو الدولة إلى أقاليم داخلية فرعية بغية تنظيم شؤونها الإدارية والسياسية، باستثناء الدول القزمية أو المتناهية في صغر المساحة. إن هذه الأقاليم الداخلية والتي يعبر عنها الجغرافيون بالأقسام الإدارية وهي في نفس الوقت أقسام مندمجة في كيان الدولة كما هي الحال في فرنسا المكونة من 90 قسمًا ، وفي أسبانيا المكونة من 50 مقاطعة، وفي اليابان الموزعة على 46 قسمًا

(1) عاطف علي: الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية الجيوبولتيكيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1989، ص 302.

(2) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، 1989، ص 27 .

إداريًا، وفي مصر التي تضم 26 محافظة[1] ، وتفوض هذه الأقاليم الداخلية بعض الصلاحيات الإدارية من جانب الحكومة المركزية.

على صعيد الأقاليم السياسية الفرعية، نجد بعض الدول الفيدرالية موزعة في بعض الصلاحيات والسلطات السياسية على أقاليم سياسية وإدارية معًا، بحيث أن كل إقليم يمارس نوعًا من الحكم الذاتي كما هو في النظام الفيدرالي في الولايات المتحدة الأمريكية، ونظام الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي السابق، ونظام الكانتونات في سويسرا ، وتوجد في المملكة المتحدة أقسام أو أقاليم داخلية تتمتع بالاستقلال الذاتي، ولو بنسب متفاوتة، وهي إنجلترا، ويلز، أيرلندا الشمالية، واسكتلندا ومن المعروف أن لإيرلندا الشمالية برلمانًا خاصًا ووظائف تدخل عادة في اختصاص الحكومة المركزية، غير أن السياسية الخارجية لهذه الأقاليم موحدة وترسمها الحكومة البريطانية في لندن[2].

د - الحدود السياسية Political Boundaris:

يعرف الحد الدولي International Boundary بأنه الخط الذي يحدد نطاق سيادة الدولة فوق مساحة من الأرض، وهو يعين أطراف الدولة، والذي عنده تنتهي سيادة وقوانين دولة لتبدأ سيادة وقوانين دولة أخرى.

وتعد الحدود السياسية الحالية للدول وليدة العصر الحديث ، حيث كانت قديما تظهر في شكل تخوم أو مناطق انتقالية تفصل بين قبيلتين أو إمبراطوريتين أو مملكتين.

وتشمل الحدود السياسية للدولة، بالإضافة إلى الأرض التي تقوم عليها المسطحات المائية المتاخمة لها إلى امتدادات معينة تختلف من دولة إلى أخرى ويطلق

(1) أمين عبد الله: دراسات في الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 63.

(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 30 .

ويمكن أن نميز بين الدول من حيث تركيب السلطة فيها إلى عدة أشكال هي[1] :

1- الاتحاد الشخصي personal Union

هو أضعف صور الاتحاد بين الدول ويتم باجتماع دولتين تحت عرش واحد مع احتفاظ كل منهما بكامل سيادتها واستقلالها، ويكون عادة نتيجة حادث عارض وهو مصادفة اجتماع حق وراثة عرش دولتين في أسرة ملكية واحدة المظهر الوحيد للاتحاد بين الدول الداخلة في اتحاد شخصي، هو وحدة رئيس الدولة فقط، الأمر الذي يجعل منه اتحادًا مؤقتًا وعرضيًا فالاتحاد يزول بمجرد اختلاف شخص رئيس الدولة، سواء بسبب اختلاف قوانين الوراثة في الدول الداخلة في الاتحاد، أو بسبب عدم اختيارها لنفس الرئيس ولا يتولد عن الاتحاد الشخصي خلق دولة جديدة، بل تستبقى الدول المكونة له كامل شخصيتها وسيادتها في المجالين الداخلي والخارجي ومن أمثلة هذه الاتحاد ذلك الاتحاد الذي قام بين إيطاليا واليابان من سنة 1939 م إلى سنة 1943م . والاتحاد الذي قام بين كل من بيرو وكولومبيا وفنزويلا في أمريكا الجنوبية وكان يترأس الجمهورية الرئيس بوليفار خلال الفترة (1813 م ، 1816م).

2- الاتحاد الحقيقي أو الفعلي Real Union

ويربط هذا النوع من الاتحاد الدول الداخلة فيه بروابط أشد قوة وإحكامًا، وأكثر تماسكًا ودوامًا من الاتحاد الشخصي، حيث تجتمع هذه الدول تحت لواء عرش واحد أو تحت حكم رئيس واحد، ويخصها لهيئات واحدة تتولى أمورها الخارجية وعلى الخصوص المسائل الدبلوماسية والحربية، مع احتفاظ كل منها بدستورها وتشريعها وإدارتها الداخلية. وقد لا يقف اختصاص الاتحاد عند حد

(1) ثروت بدوي: النظم السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ص 51 – 68 .

المسائل الدبلوماسية والحربية، بل يمتد إلى بعض الشئون المالية كذلك. وتفقد الدول الداخلة في الاتحاد الحقيقي شخصيتها الدولية تمامًا، وتقوم شخصية دولية واحدة جديدة، وهي شخصية الاتحاد. ومن أمثلة هذا الاتحاد ذلك الاتحاد الذي قام بين النمسا والمجر (1867 م – 1918م) واتخذ اسم إمبراطورية النمسا والمجر ، وقد اختفى هذا الاتحاد بهزيمة النمسا والمجر في الحرب العالمية الأولى، وتمزيق أجزائه بين تشيكوسلوفاكيا وإيطاليا ورومانيا وبولندا ثم تقسيم الباقي إلى دولتين: النمسا والمجر.

3- الاتحاد الكونفدرالي أوالاستقلالي

ويطلق عليه أيضًا الاتحاد التعاهدي Confederation Union

يعد الصورة الثالثة من صور الاتحاد بين الدول. وهو يعد صورة وسطى بين الاتحاد الشخصي .

حيث تحتفظ الدول الداخلة فيه بكامل شخصيتها وسيادتها في المجالين الدولي والداخلي ، والاتحاد الحقيقي الذي تفقد الدول الأعضاء شخصيتها الدولية ويقيم شخصية واحدة في المجال الدولي هي شخصية الاتحاد.

والاتحاد الاستقلالي يبقي على شخصية واستقلال الدول الأعضاء في المجالين الخارجي والداخلي. ولكنه مع ذلك ومع احتفاظ الدول الأعضاء بكامل شخصيتها الدولية فإنه (أي الاتحاد الاستقلالي) يربط بينها على أساس تنازل كل منها عن جزء من اختصاصاتها الخارجية لصالح هيئة اتحادية مشتركة، تسمى الجمعية أو المؤتمر، وتكون من أعضاء يمثلون حكومات الدول المشتركة في الاتحاد.

ويترتب على احتفاظ الدول الأعضاء في الاتحاد الاستقلالي بسيادتها الخارجية، إمكان كل منها إقامة علاقات دبلوماسية خاصة مع الدول الأجنبية.

ومن أمثلة الاتحاد الاستقلالي :

- اتحاد الولايات المتحدة الأمريكية (1776 - 1787) .
- الاتحاد السويسري (1815- 1848) .
- الاتحاد الجرماني(1815- 1866) .
- ويتمثل الاتحاد الكونفدرالي حاليا في الاتحاد الأوروبي والذي ظهر إلى الوجود في عام 1992 .

4- الاتحاد الفيدرالي أو المركزي Federal union :

الاتحاد الفيدرالي أو المركزي يتكون من عدد من الدول الصغيرة أو الولايات تندمج معًا ، وينشأ عن هذا الاندماج دولة واحدة ؛ أي دولة مركبة تتكون من عدد من الولايات اتحدت معًا. ولئن كانت الدول الأعضاء تفقد سيادتها في المجال الخارجي، فإنها- على العكس- تحتفظ بجانب كبير منها في المجال الداخلي، فيكون لكل ولاية أو دولة دستور خاص، وقوانين خاصة، ومجالس نيابية خاصة، ومحاكم خاصة ؛ وجهاز إداري خاص. ولكن الدول الأعضاء لا تحتفظ بكامل سيادتها الداخلية، بل تفقد جانبًا منها لمصلحة دولة الاتحاد المركزية. فإلي جانب الهيئات المحلية والقوانين المحلية الخاصة لكل دولة من الدول الأعضاء، تقوم هيئات أخرى تابعة لدولة الاتحاد المركزية ، ويكون لها سلطاتها المباشرة على الإقليم والرعايا في الولايات المختلفة. وتسري القوانين التي تصدرها الهيئات المركزية على جميع سكان الولايات أو الدويلات التي تتكون منها الدولة.

ويمثل هذا الاتحاد الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نجد البرلمان الاتحادي (الكونجرس) في الولايات المتحدة الأمريكية يتكون من مجلسين هما: **مجلس النواب** الذي يمثل الشعب في مجموعه. **ومجلس الشيوخ** الذي يتكون من ممثلي الولايات ،

بنسبة عضوين عن كل ولاية مهما كانت مساحتها أو عدد سكانها. كذلك في سويسرا يشمل البرلمان الاتحادي مجلسين **أحدهما** : مجلس الأمة الذي ينتخبه الشعب في مجموعه. **وثانيهما** : مجلس المقاطعات الذي يضم 44 عضوًا يمثلون اثنين وعشرين مقاطعة، على أساس أن كل مقاطعة تنتخب عضوين لتمثيلها، تستوي في ذلك المقاطعات الكبيرة والمقاطعات الصغيرة[1] .

رابعًا: تصنيف الدول: Classification of States

هناك عدة تصنيفات للدول، كأن يجري تصنيف دول العالم إلى ثلاث مجموعات هي: دول العالم الأول وتشمل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة وهي دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، ودول العالم الثاني وتشمل دول الكتلة الشرقية وعلى رأسها روسيا ودول شرق أوروبا ودول العالم الثالث ؛ أي الدول النامية.

أما إذا أخذنا بتقسيم جان لوك Jean Luc **فهو يقسم الدول إلى أربع فئات:** قوي كبري ومتوسطة وصغيرة وقزمية ، وهذه الأخيرة تقسم إلى درجة أولي ودرجة ثانية[2]. والمؤشران الرئيسيان اللذان يستخدمهما لوك لتحديد **حجم الدولة هما:** السكان والناتج المحلي الإجمالي، حيث يقوم أولًا بتحديد مراتب كافة الدول حسب حجم سكانها، ثم استنادًا إلى ناتجها المحلي. ثم يضاف إلى اللائحتين منحي لوغارتمي لانتماءات هذه الدول إلى المنظمات الدولية.

(1) المرجع السابق ، ص 71 .

(2) Luc, J., " small states and the problem of war and peace: some consequence of the Emergence of smaller states in Africa, Journal of peace Research, No. 4., 1967, P. 254 .

نقلا عن : حسن على الإبراهيم: الدول الصغيرة والنظام الدولي: الكويت والخليج، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1982 ، ص ص 70 –71 .

ويمكن أن نجمل تصنيف لوك فيما يلي[1] :

1- **الدول الكبرى**: وهي تلك الدول التي تحتل المراتب العليا على الأقل بالنسبة لثلاثة من المؤشرات التالية: السكان (100مليون نسمة أو أكثر)، الناتج المحلي الإجمالي (25 ألف مليون دولار أو أكثر)، وتتمتع هذه الدول بأوضاع سياسية خاصة(حق النقض – الفيتو – في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة)، ويصل حجم القوة العسكرية (300 ألف جندي أو أكثر).

2- **الدول المتوسطة**: وهي تلك الدول التي يكون لها على الأقل مؤشر واحد من الاثنين (السكان والناتج المحلي الإجمالي) موجودا في الثلث الأعلى اللوغارتمي الخاص به ؛ أي لا يقل عدد سكانها عن 50 مليون نسمة، كما لا يقل الناتج المحلي الإجمالي عن 10 آلاف مليون دولار.

3- **الدول الصغيرة**: وهي تلك الدول التي يكون لها على الأقل مؤشر واحد في النصف الأعلى من التدرج اللوغارتمي، حيث لا يقل عدد سكانها عن 10مليون نسمة، كما يبلغ ناتجها المحلي الإجمالي 2000 مليون دولار أو أكثر.

4- **الدول القزمية** : وهي تصنف إلى فئتين دول قزمية من الدرجة الأولى وهي التي يبلغ عدد سكانها 5 مليون نسمة أو أكثر ويصل ناتجها المحلي الإجمالي 1000 مليون دولار على الأقل. أما الفئة الثانية من الدول القزمية فتقع دون الدرجة الأولى في المؤشرين كليهما.

ويوجد تصنيف آخر يقسم الدول إلى مجموعة دول متقاربة في النضج كالدول الناشئة والدول الشابة والدول الناضجة والدول الهرمة. ويكاد يتلاءم هذا

(1) المرجع السابق ، ص ص 70-71 .

التصنيف مع نظرة راتزل إلى حيوية الدولة واعتبارها كائنًا حيًّا يولد وينمو ويكبر وقد يندثر ويموت. ويقسم هذا التصنيف الدول إلى المجموعات التالية[1] :

1- **دول ناشئة**: لا تسعى للتوسع الخارجي وتلتزم سياسة دفاعية، وتهتم بتنظيم شؤونها المحلية وتنمية مواردها،كالدول العربية وجمهوريات أمريكا اللاتينية.

2- **دول شابة**: انتهت من تحقيق استقرارها الداخلي السياسي والاقتصادي، وتسعى إلى تحقيق طموحاتها عبر الحدود. تمامًا كما كانت حال ألمانيا وإيطاليا في أواخر القرن التاسع عشر، وكما كانت حال اليابان في ثلاثينيات القرن العشرين. وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل نمو الدول وتطورها.

3- **دولة ناضجة**: حققت توسعًا إقليميًّا وتحتاج إلى استقرار أمني وسياسي بغية استغلال مواردها والدفاع عنها. بلغت الصين هذه المرحلة في أواخر القرن التاسع عشر، وبلغتها دول الحلفاء قبيل الحرب العالمية الثانية.

4- **دول هرمة**: تمر في حالة ضعف وتراجع لأسباب داخلية أو خارجية، وتصبح عاجزة عن الاحتفاظ بإمبراطوريتها وممتلكاتها. هذا ما مرت به الإمبراطورية النمساوية المجرية والإمبراطوريتان الفرنسية و البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية.

إن هذا التصنيف ليس جامدًا وثابتًا ، فقد تبلغ دولة ما مرحلة النضج أو الكهولة ثم تعود إلى مرحلة الشباب فتجدد قوتها نتيجة عوامل خارجية طارئة.

كما أن طول كل مرحلة من مراحل نمو الدولة يتوقف على مدى توافر عوامل القوة.

(1) عدنان السيد حسين ، مرجع سبق ذكره، ص 45 .

وهناك معيار أخر للتصنيف بين الدول يقوم على أساس نظام الحكم السائد، هل هو نظام جمهوري أم ملكي أم إمبراطوري؟ غير أن هذا التصنيف غير ثابت وغير دقيق، فهناك أشكال عدة من الملكيات المطلقة والدستورية، كما أن هذه المجموعة قد تضم الإمارات والسلطنات والمشيخات، وهناك أشكال مختلفة في النظم الجمهورية كالرئاسية والبرلمانية والمجلسية.

وهناك تصنيف يقسم الدول حسب قوتها السياسية وتأثيرها في المجتمع الدولي والمحيط العالمي

ويمكن تصنيف الدول من حيث القوة السياسية إلى الفئات الآتية:

1- دول ينحصر نفوذها السياسي داخل حدودها السياسية ويدخل تحت هذه الفئة معظم دول العالم ويمكن أن توصف بأن نفوذها محلي مثل: فنزويلا، رومانيا، سوريا، النيجر.

2- دول يتسع نفوذها السياسي ليشمل إقليمًا بعينه، ومن أمثلة هذه الدول: جمهورية مصر العربية فتأثيرها السياسي يشمل الوطن العربي كله.

3- دول يتسع نفوذها السياسي فيشمل العالم كله، وكانت هذه الفئة تضم دولتين هما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلا أنها حاليا لا تضم سوى الدولة الأولى وذلك بعد انهيار الدولة الثانية عام 1991م.

أما تصنيف الدول على أساس القوة فقد تعرض للنقد؛ لأن عوامل القوة متعددة ومتبدلة ومنذ بداية القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الثانية كانت هناك ثماني دول رئيسية في العالم: فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، روسيا، النمسا، المجر، الولايات المتحدة، إيطاليا، واليابان. وبعدها تتوالي الدول الثانوية في القوة مثل: أسبانيا، الصين، هولندا، تركيا، أستراليا، الأرجنتين، بولندا، البرازيل، ويوغسلافيا. لكن

الحرب العالمية الثانية غيرت هذا التصنيف فقدمت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق إلى قمة النظام العالمي وتراجعت فرنسا وبريطانيا وسقطت ألمانيا واليابان. وهاهي ألمانيا تعود في نهايات القرن العشرين إلى احتلال أسباب القوة، وكذلك اليابان. كما تحاول الصين أن تبني لها مركزًا دوليًا مميزًا، وسعت المجموعة الأوروبية إلى تكريس اتحادها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في سنة 1991 م، حيث ظهر إلى الوجود الاتحاد الأوروبي عام 1992 م، في الوقت الذي تحاول الولايات المتحدة تثبيت موقعها الأول في تصنيف الدول على أساس القوة[1]، وقد تحقق لها ما أرادت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

خامسًا: تطور عدد الوحدات السياسية في العالم:

زاد عدد الدول المستقلة في العالم، وكان لا يتجاوز 51 دولة عند تأسيس الأمم المتحدة في عام 1945. ثم ارتفع تدريجيا مع قيام الدول المستقلة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ليصل إلى 160 دولة في نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين.

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي كدولة اتحادية عام 1991 م ظهرت عدة دول مستقلة وأهم هذه الدول هي: أذربيجان- أرمينيا- الشيشان- تركمانستان- أوزبكستان- أوكرانيا- روسيا البيضاء (بيلاروسيا) - كازاخستان- قيرغيزستان- طاجكيستان- جورجيا، كذلك الحال زاد عدد هذه الدول بعد انهيار الاتحاد اليوغسلافي من منتصف 1991 م في منطقة البلقان، حيث انقسمت إلى عدة دول أهمها: صربيا والجبل الأسود[2] (يوغسلافيا الحالية) البوسنة والهرسك- كرواتيا- سلوفينيا- مقدونيا - كما انقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى جمهوريتين بعد تفتت الاتحاد

(1) المرجع السابق، ص 46.

(2) انقسمت صربيا والجبل الأسود أو فيما يعرف باسم صربيا ومونتنجرو إلى دولتين هما: صربيا، الجبل الأسود (مونتنجرو).

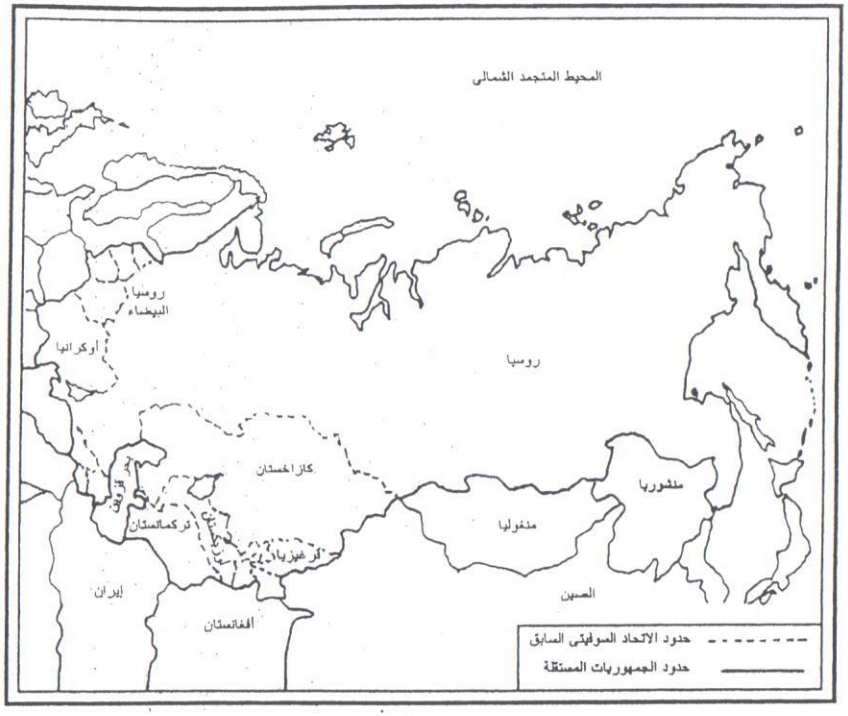

شكل (3) : الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق

بتصرف عن: عدنان السيد

السوفيتي وهما جمهورية سلوفاكيا وجمهورية التشيك[1] .. وانضمت معظم الدول المستقلة إلى منظمة الأمم المتحدة حيث بلغ عدد الدول الأعضاء حتى نهاية عام 2006 م نحو 193 دولة بما فيها تايوان والفاتيكان ، وكل ذلك يدل على أهمية الدولة كوحدة سياسية في الأسرة الدولية على الرغم من قيام المنظمات والتكتلات الدولية المتعددة المواقع والأهداف.

ويوضح الجدول التالي أهم الوحدات السياسية في العالم عام 2005 م .

(1) حسام الدين جاد الرب: جغرافية أوروبا الجديدة ، دراسة إقليمية ، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة 2004 ، ص44 .

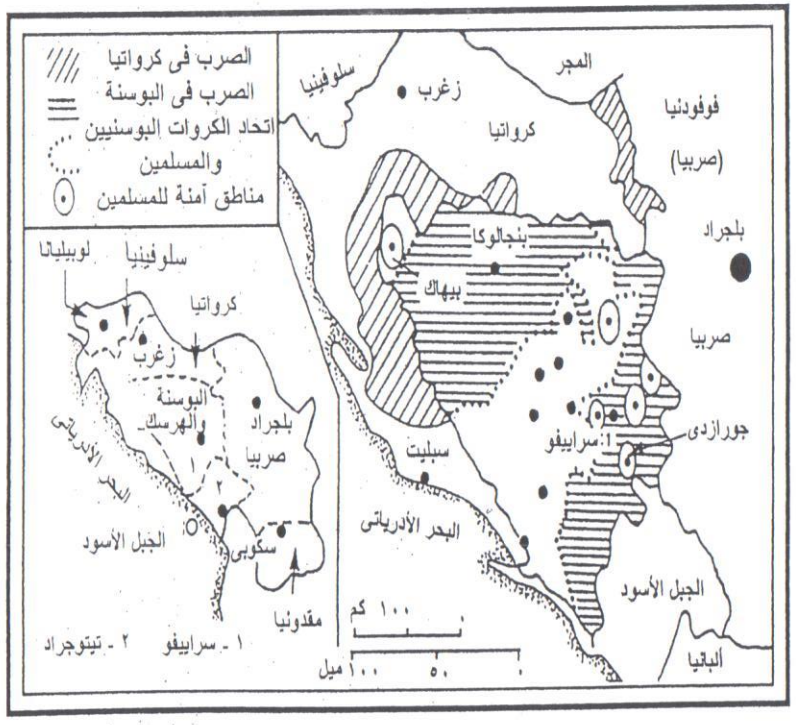

شكل (4) : يوغسلافيا بعد الانقسام عام 1991/ 1992

عن : حسام جاد الرب

جدول (1) : أهم الوحدات السياسية المستقلة في العالم عام 2005 (*)

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
أفغانستان	كابول	647.500	29.928.987
ألبانيا	تيرانا	28.748	3.563.112
الجزائر	الجزائر	2.381.740	32.531.553
أندورا	أندورا – لا – فيلا	468	70.549
أنجولا	لواندا	1.246.700	11.190.786
أنتيجوا وبربادوس	سانت جونز	443	68.722
الأرجنتين	بوينس أيرس	2.766.890	39.537.943
أرمينيا	برفان	29.800	2.982.904
أستراليا	كانبرا	7.686.850	20.090.437
النمسا	فيينا	83.858	8.184.691
أذربيجان	باكو	86.600	7.911.974
البهاما	ناساو	13.940	301.790
البحرين	المنامة	665	688.345
بنجلاديش	دكا	144.000	144.319.628
بربادوس	بريدج تاون	431	279.254
بيلاروسيا	ميسك	207.600	10.300.483
بلجيكا	بروكسل	30.510	10.364.388
بليز	بيلموبان	22.966	279.457
بنين	بورتونوفو	112.620	7.460.025
بوتان	كيمبو	47.000	2.232.291
بوليفيا	لاباز	1.098.580	8.857.870
البوسنة والهرسك	سراييفو	51.129	4.025.476
بتسوانا	جابروني	600.370	1.640.115
البرازيل	برازيليا	8.511.965	186.112.794
بروناي	بندرسيري	5.770	372.361

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
بلغاريا	صوفيا	110.910	7.518.000
بوركينا فاسو	واجادوجو	274.200	13.925.313
بورندي	بوجمبورا	27.830	6.370.609
كمبوديا	بنوم بنه	181.040	13.667.069
الكميرون	ياوندي	475.440	16.380.005
كندا	أوتاوا	9.976.140	32.805.041
الرأس الأخضر	برايا	4.033	418.224
جمهورية أفريقيا الوسطي	بانجوي	622.984	3.799.897
تشاد	نيجامينا	1.284.000	9.826.419
شيلي	سنتياجو	756.950	15.980.912
الصين الشعبية	بكين	9.596.960	1.306.311.812
كولومبيا	بوجونا	1.138.910	42.954.279
جزر القمر	موردوني	2.170	671.247
الكونغو الديمقراطية	كينشاسا	2.345.410	60.085.804
جمهورية الكونغو	برازافيل	342.000	3.039.126
كوستاريكا	سان جوزيف	51.100	4.016.173
كوت ديفوار	أبيدجان	322.460	17.298.040
كرواتيا	زغرب	56.542	4.495.904
كوبا	هافانا	110.860	11.346.670
قبرص	نيقوسيا	9.250	780.133
جمهورية التشيك	براغ	78.866	10.241.138
الدانمارك	كوبنهاجن	43.094	5.432.335
جيبوتي	جيبوتي	23.000	476.703
دومينيكا	روسياد	754	69.029
جمهورية الدومينكان	سانت دومينجو	48.730	8.950.034
تيمور الشرقية	ديلي	15.007	1.019.300
إكوادور	كويتو	238.560	13.363.593

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
مصر	القاهرة	1.001.450	77.505.756
السلفادور	سان سلفادور	21.040	6.704.932
غينيا الاستوائية	مالابو	28.051	535.881
إرتيريا	أسمره	121.320	4.561.599
استونيا	تالين	45.226	1.332.893
أثيوبيا	أديس أبابا	1.127.127	73.053.286
فيجي	سوفا	18.0270	893.354
فنلندا	هلسنكي	337.030	5.223.442
فرنسا	باريس	547.030	60.656.178
الجابون	ليبرفيل	267.667	1.389.201
جامبيا	بانجول	11.300	1.593.256
جورجيا	تبليسي	69.700	4.677.401
ألمانيا	برلين	357.021	82.431.390
غانا	أكرا	239.460	21.029.853
اليونان	أثينا	131.940	10.668.354
جرينادا	سانت جورج	344	89.502
جواتيمالا	جواتيمالا	108.890	14.655.189
غينيا	كوناكري	254.857	9.467.866
غينيا بيسار	بيساو	36.120	1.416.027
جويانا	جورج تاون	214.970	765.283
هاييتي	بورت-أو-برنس	27.750	8.121.622
إكوادور	كويتو	238.560	13.363.593
مصر	القاهرة	1.001.450	77.505.756
السلفادور	سان سلفادور	21.040	6.704.932
غينيا الاستوائية	مالابو	28.051	535.881
هندوراس	تيجو سيجالبا	112.090	6.975.204
المجر	بودابست	93.030	1.006.835

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
أيسلندا	ريكجافيك	103.000	296.737
الهند	نيودلهي	3.287.590	1.080.264.388
إندونيسيا	جاكرتا	1.919.440	241.973.879
إيران	طهران	1.648.00	68.017.860
العراق	بغداد	437.072	26.074.906
إيرلندا	دبلن	70.280	4.015.676
فلسطين	القدس	6,220	3.761.904
إيطاليا	روما	301.230	58.103.033
جاميكا	كنجستون	10.991	2.731.832
اليابان	طوكيو	377.835	127.417.244
الأردن	عمان	92.300	5.759.732
كازاخستان	استانا	2.717.300	15.185.844
كينيا	نيروبي	582.650	33.829.590
كيريباتي	تاروا	811	103.092
كوريا الشمالية	بيونج يانج	120.540	22.912.177
كوريا الجنوبية	سيول	98.480	48.422.644
الكويت	الكويت	17.820	2.335.648
قيرغيزستان	بشكك	198.500	5.146.281
لاوس	فينتيان	236.800	6.217.141
لاتفيا	ريجا	64.589	2.290.237
لبنان	بيروت	10.400	3.826.018
ليسوتو	ماسيرو	30.355	1.867.035
ليبيريا	منروفيا	111.370	3.482.211
ليبيا	طرابلس	1.759.540	5.765.563
ليختنشتين	فادوز	160	33.717
لتوانيا	فيلنيوس	65.200	3.596.617
مقدونيا	سكوبي	25.333	2.045.262

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
مدغشقر (ملاجاش)	تناناريف	587.040	18.040.341
مالاوي	ليلونجوي	118.480	12.158.924
ماليزيا	كوالالمبور	329.750	23.953.136
مالديف	مالي	300	349.106
مالي	باماكو	1.240.000	12.291.529
مالطا	فاليتا	316	398.534
جزر مارشال	ماجورة	181	59.071
موريتانيا	نواكشوط	1.030.700	3.086.589
مورشيوس	بورت لويس	2.040	1.230.602
المكسيك	مكسيكوسيتي	1.927.550	106.202.903
ميكرونزيا المتحدة	باليكير	702	108.105
مولدوفا	شيسيناو	33.843	4.455.421
موناكو	موناكو	2	32.409
منغوليا	أولان باتار	1.505.000	2.791.272
المغرب	الرباط.	446.550	32.725.847
موزمبيق	مايوتو.	801.590	19.406.703
ميانمار (بورما)	يانجون	678.500	42.909.464
ناميبيا	ويندهوك	825.418	2.030.92
ناورو	يارن	21	13.048
نيبال	كاتمندو	140.800	27.676.547
هولندا	أمستردام	41.526	16.407.491
نيوزيلندا	ويلنجتون	268.680	4.035.461
نيكارجو	مانجوا	129.494	5.465.100
النيجر	نيامي	1.267.000	11.665.937
نيجيريا	أبوجا	923.768	128.771.988
النرويج	أوسلو	324.220	4.593.041
سلطنة عمان	مسقط	212.460	3.001.583

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
باكستان	إسلام أباد	803.940	162.419.946
بالو	كورور	458	20.303
بنما	بنما	78.200	3.039.150
بابوانيوغينيا	بورت مورسيبي	462.840	5.545.268
باراجوي	اسنسيون	406.750	6.347.884
بيرو	ليما	1.285.220	27.925.628
الفليبين	مانيلا	300.000	87.857.473
بولندا	وارسو	312.685	38.635.144
البرتغال	لشبونة	92.391	10.566.212
قطر	الدوحة	11.437	863.051
رومانيا	بوخارست	237.500	22.329.977
روسيا	موسكو	17.075.200	143.420.309
رواندا	كيجالي	26.338	8.440.820
سانت كيتس ونفيس	باسيتيري	261	38.958
سانت لوسيان	كاستريس	616	166.312
سانت فنست وجرينادا	كنجستون	389	117.534
ساموا	أبيا	2.944	177.287
سان مارينو	سان مارينو	61	28.880
ساوتومي وبرنسيب	ساوتومي	1.001	187.410
المملكة العربية السعودية	الرياض	2.150.000	26.417.599
السنغال	داكار	196.190	11.126.832
صربيا والجبل الأسود	بلغراد	102.350	10.829.175
سيشل	فكتوريا	455	81.188
سيراليون	فريتاون	71.740	6.017.643
سنغافورة	سنغافورة	693	4.425.720
سلوفاكيا	براتسلافا	48.845	5.413.363
سلوفينيا	لوجيليجانا	20.273	2.011.070

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
جزر سولمون	هونيارا	28.450	538.032
الصومال	مقديسيو	637.657	8.591.629
جمهورية جنوب أفريقيا	بريتوريا/ كيب تاون	1.219.912	44.344.136
أسبانيا	مدريد	504.782	40.341.462
سريلايكا	كولومبو	65.610	20.064.776
السودان	الخرطوم	2.505.810	40.187.486
سورينام	بارماريبو	163.270	438.144
سوازيلاند	مباباني	17.363	1.173.900
السويد	استكهولهم	449.964	9.001.774
سويسرا	برن	41.290	7.489.370
سوريا	دمشق	185.180	18.448.752
تايوان	تايبيه	35.980	22.894.384
طاجكستان	دوشانبي	143.100	7.163.506
تنزانيا	دارالسلام / دوما	945.087	36.766.356
تايلاند	بانكوك	514.000	65.444.371
توجو	لومي	56.785	5.681.519
تونجا	نوكولوفا	748	112.422
ترينداد وتوباجو	بورت أوف سبين	5.128	1.088.644
تونس	تونس	163.610	10.074.951
تركيا	أنقرة	780.580	69.660.559
تركمانستان	عشق أباد	488.100	4.952.081
توفالو	فياكو	26	11.636
أوغندا	كمبالا	236.040	27.269.482
أوكرانيا	كييف	603.700	47.425.336
الإمارات العربية المتحدة	أبو ظبي	82.880	2.563.212
الولايات المتحدة الأمريكية	واشنطن	9.629.091	295.734.134

الدولة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان نسمة
أورجواي	مونتيفيدو	176.220	3.415.920
أوزبكستان	طشقند	447.400	26.851.195
فانواتو	بورت فيلا	12.200	205.754
فنزويلا	كراكاس	912.050	25.375.281
فيتنام	هانوس	329.560	83.535.576
الفاتيكان	مدينة الفاتيكان	1	920
اليمن	صنعاء	527.970	20.727.063
زامبيا	لوساكا	752.614	11.261.795
زيمبابوي	هراري	390.580	12.746.990
المملكة المتحدة	لندن	244.820	60.441.457

كما توجد بعض الأقاليم والمستعمرات أو المحميات أو مناطق الوصايا أو المناطق الدولية أو الحكم الثنائي (الكوندومينوم)، ومازالت هذه المناطق تقع تحت السيطرة السياسية للدول الاستعمارية الكبرى.

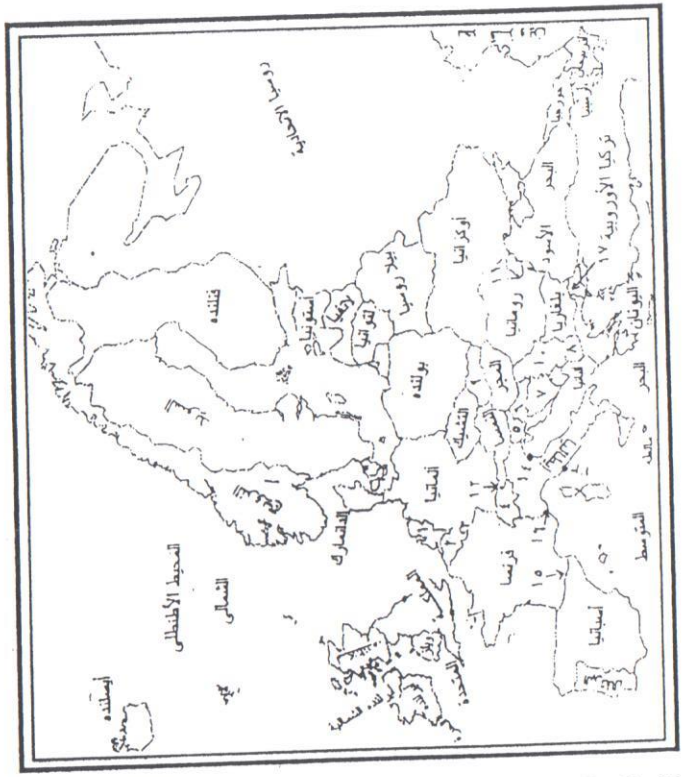

شكل (5) الخريطة السياسية لقارة أوروبا

عن : حسام الدين جاد الرب

(1) هولندا
(2) بلجيكا
(3) لوكسمبورج
(4) سويسرا
(5) سلوفينيا
(6) كرواتيا
(7) البوسنة والهرسك
(8) مقدونيا
(9) سلوفاكيا
(10) صربيا والجبل الأسود
(11) مولدوفا
(12) ليختنشتين
(13) الفاتيكان
(14) سان مارينو
(15) أندورا
(16) موناكو
(17) تركيا الأوروبية

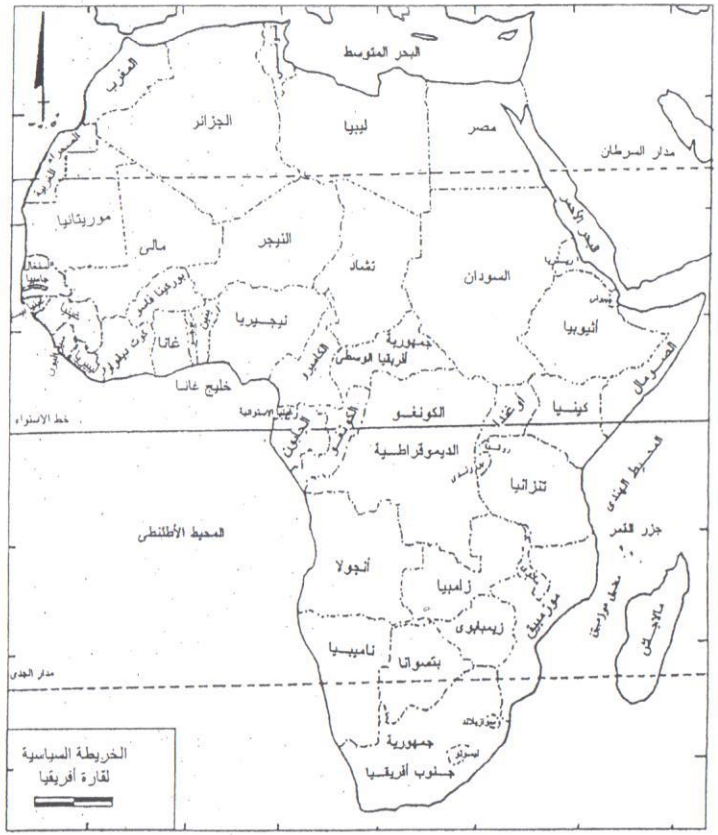

شكل (6) : خريطة أفريقيا السياسية

عن: حسام الدين جاد الرب .

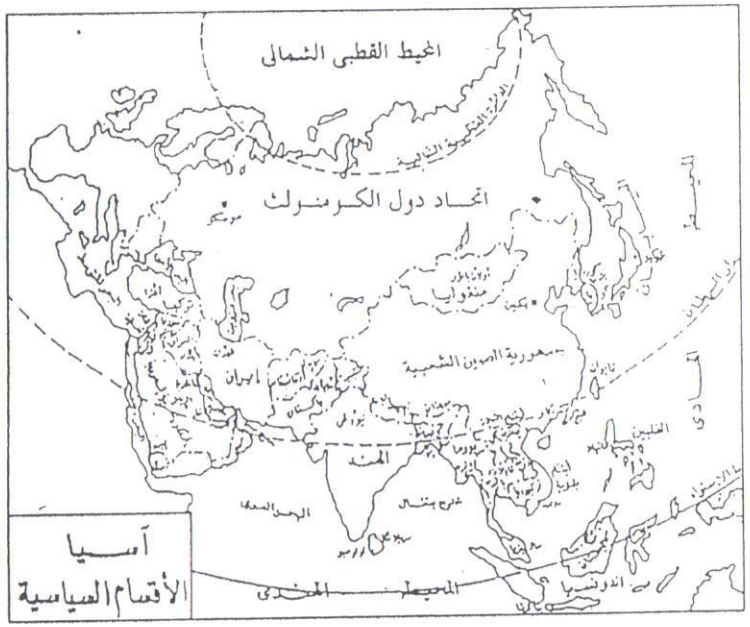

شكل (7) : خريطة أسيا السياسية

عن: جودة حسنين جودة .

والمحمية هي منطقة مستعمرة ولها حاكم يناط بالدفاع والشؤون الخارجية والأمور المختلفة للدول المسيطرة والتي تتوالي أيضا تعيين الحاكم العام.

والمستعمرات هي مناطق محددة من سطح الأرض تمارس دولة أخري السيطرة المباشرة عليها ، ولا يملك سكانها حق تقرير المصير أو تصريف شؤونهم إلا على المستويات المحلية فقط. ويرتبط اقتصادها باقتصاد الدولة الحاكمة والتي غالبًا ما توجه اقتصاد المستعمرات لصالحها، وقد تتمتع مناطق المستعمرات بنوع من الحكم الذاتي من الدولة المسيطرة كما هي الحال بالنسبة لبورتوريكو التي منحت الحكم الذاتي مع بقاء مسؤوليات الدفاع والسياسة الخارجية في يد الولايات المتحدة، وبوجه عام فإن الحكم الذاتي في كثير من الأحيان خطوة سابقة لاستقلال كامل يعقب ذلك

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المستعمرات أو المحميات هي عبارة عن جزر ودويلات صغيرة غير مأهولة بالسكان أو يقطنها عدد من سكان البلاد الأصليين، وقد بلغ عدد المستعمرات في العالم حتى عام 2005 نحو 39 مستعمرة والتي يوضحها الجدول رقم (2) .

جدول (2) : أهم المستعمرات في العالم حتى عام 2005

المستعمرة	العاصمة	المساحة (كم^2)	عدد السكان (نسمة)	الدول المستعمرة
ساموا الأمريكية	باجو باجو	199	57.900	الولايات المتحدة
انجوليا	زفالي	102	13.000	بريطانيا
أروبا	أورانجيستاد	193	71.566	هولندا
برمودا	هاملتون	53	65.365	بريطانيا
جزر فرجين البريطانية	رودتاون	153	22.643	بريطانيا
جزر كايمان	جورج تاون	262	44.270	بريطانيا
جزر كوك	آفاروا	240	21.288	هولندا
جزر فوكلاند	ستانلي	12.173	2.967	بريطانيا
جزر فارو	تورشافان	1.399	46.962	الدانمارك
غينيا الفرنسية	كاينيي	91.000	195.506	فرنسا
جبل طارق	جبل طارق	6	27.884	بريطانيا
جرينلند	نوك	2.166.086	56.375	الدانمارك
جوادالوب	باسي- تيري	1.780	448.713	فرنسا
جورانسي	سانت بيتربورت	78	65.228	بريطانيا
هونج كونج	فكتوريا	1.092	6.898.686	الصين
جرايسي	سانت هيلير	116	90.500	بريطانيا
مكاو	مكاو	25	449.498	الصين
جزر مان	دوجلاس	572	75.049	بريطانيا
المارتنيك	فورت دي فرانس	1.100	432.900	فرنسا

المستعمرة	العاصمة	المساحة (كم²)	عدد السكان (نسمة)	الدول المستعمرة
مايوتي	دزودزي	374	193.633	فرنسا
مونستريت	بليموث	102	9.341	بريطانيا
الأنتيل الهولندية	وليمستاد	960	219.958	هولندا
نيوكاليدونيا	نوميا	19.060	216.494	فرنسا
نوي	ألوفي	260	2.166	هولندا
جوام	أجان	549	168.564	الولايات المتحدة
جزر نورفولك	كنجستون	35	1.828	النمسا
ماريانا الشمالية	جاربان	477	80.362	الولايات المتحدة
بيتكيرن	أدمنستون	47	46	بريطانيا
بورتوريكو	سان جوان	9.104	3.916.632	الولايات المتحدة
ريئيون	سانت دينس	2.517	776.948	فرنسا
سانت هيلانة	جيمس تاون	410	7.460	بريطانيا
سانت بيروميكون	سانت بيير	242	7.012	فرنسا
سفالبارد	لونج بيربايين	62.049	2.701	النرويج
توكيلو		10	1.405	هولندا
جزر القوقاز	كوك بورن تاون	430	20.000	بريطانيا
جزر أمريكا	شارلوت أمالي	352	108.800	الولايات المتحدة
واليس فوتونا	ماتا-يوتو	274	15.900	فرنسا
الصحراء الغربية	العيون	266.000	267.400	حكم ذاتي
بولونيزيا الفرنسية	دابيتي	4.167	266.300	فرنسا

ولكي تتضح الصورة أكثر ينبغي توضيح أهم الدول المستعمرة والأهمية النسبية لهذه المستعمرات والتي يوضحها الجدول رقم (3) .

جدول (3) : الأهمية النسبية للمستعمرات في العالم عام 2005

الدول المستعمرة	عدد المستعمرات	الأهمية النسبية	الرتبة
بريطانيا	13	33.3	1
فرنسا	9	23.1	2
هولندا	5	12.8	3
الولايات المتحدة	5	12.8	4
الدانمارك	2	5.1	5
الصين	2	5.1	6
النرويج	1	2.6	7
النمسا	1	2.6	8
أخرى	1	2.6	9
الإجمالي	**39**	**100**	-

يتضح من الجدول السابق أن أكثر الدول امتلاكا للمستعمرات على مستوى العالم هي بريطانيا ، حيث بلغ عدد مستعمراتها 13 مستعمرة ويرجع ذلك إلى أنها كانت أكثر دول العالم من حيث القوة حيث كانت تلقب بسيدة البحار ، وكونت بريطانيا إمبراطورية ضخمة أطلق عليها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. ويليها فرنسا ، حيث جاءت في المركز الثاني وبلغ عدد مستعمراتها 9 مستعمرات، وكانت فرنسا القوة الثانية المنافسة لبريطانيا، فضلا عن الولايات المتحدة والتي ظهرت كقوة كبيرة وخاصة في القرن الثامن عشر، ثم جاءت كل من الدانمارك والصين في المركزين الخامس والسادس ولكل منها مستعمرتين، بينما جاءت كل من النرويج والنمسا في المركزين السابع والثامن ولكل منها مستعمرة، في حين لا يوجد سوى مستعمرة. واحدة في العالم تمارس نوعا من الحكم الذاتي وهي الصحراء الغربية والتي قامت بها دولة هي الجمهورية الصحراوية الديمقراطية عاصمتها العيون والتي اعترفت بها بعض الدول في حين لم يعترف بها معظم دول العالم.

الفصل الثالث

الحدود السياسية

أولاً : ماهية الحدود .

ثانيًا : نشأة الحدود وتطورها .

ثالثًا : وظائف الحدود .

رابعًا : أنواع الحدود .

الحـــدود السياسية

أولاً: ماهية الحدود :

لم يكن الإنسان يعرف حين انتشر على سطح الأرض حدودًا فاصلة بين جماعاته وقبائله التي كانت تشتغل بالحرف البدائية مثل الصيد والجمع والالتقاط وتتجول في مساحات واسعة في ذلك الزمن البعيد.

والحدود في اللغة تعني الفاصل أيًا كان هذا الفاصل، خطًا أو منطقة متسعة من الأرض.

ومعنى الحدود المصطلح عليها في الجغرافيا السياسية هي الخطوط التي تحدد الأبعاد الجغرافية للدولة ورقعتها المساحية كدولة مستقلة ذات سيادة ، والتي عندها تنتهي سيادة وقوانين دولة لتبدأ سيادة وقوانين دولة أخرى. ويدخل ضمن إطار هذه الحدود المسطحات المائية التي تشرف عليها أراضي الدولة والتي تعرف بالمياه الإقليمية، كما يدخل فيها طبقات الجو العليا التي تغطي أرضها ومياهها الإقليمية فيما يعرف بالمجال الجوي.

أي أن الحدود موضع جغرافي تلتقي عنده قوى دولتين ، وتنتهي عند هذه الحدود نفوذ كل منهما وقوانينهما.

وهذه الحدود ترسم على خرائط لتبين مساراتها بين الدولتين المتجاورتين، على الطبيعة تحدد بأسلاك شائكة أو علامات من قطع الأحجار تغرس في الأرض، وهناك نقاط حراسة على مسافات متباعدة على طول الحدود، وهناك أيضا نقاط جمارك حيث يسهل عبورها، ولكل دولة على الجانبين نقاط جمارك خاصة بها، وتقع على مسافات قريبة من الحدود على الجانبين[1] .

(1) محمد عبد المجيد عامر: دراسات في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 303 .

ويخلط الكثير من السياسيين والمؤرخين بين التخوم Frontiers والحدود Boundaries ويعتبرونهما مترادفين ، ولكن في الحقيقة هناك اختلاف بين المصطلحين ، فالتخوم Frontiers هي مساحات من الأرض، بينما الحدود عبارة عن خطوط ، ويستخدم بعض الجغرافيين كلمة تخوم على أنها مناطق الحدود تمييزًا لها عن كلمة الحدود التي تعني في نظرهم خطوط الحدود، ولكن المعنى اللغوي لا يؤدي إلى هذا التمييز.

والتخوم بمفهومها المتعارف عليه هي عبارة عن مناطق حدية فاصلة كانت أكثر شيوعًا في الماضي خاصة في العصور القديمة والوسطى، وكانت مناطق التخوم تظهر غالبًا في المناطق بين مجال نفوذ الدول الكبيرة مثل مناطق التخوم بين الدول العربية الإسلامية والدول البيزنطية، وبين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية ، حين كانت هناك مساحات كبيرة وكثيرة من سطح الأرض خالية بسبب عدم صلاحيتها لسكني الإنسان في تلك الأوقات، مثل الصحاري والغابات والمستنقعات. فمثل هذه المناطق كانت تترك على أساس أنها حواجز واقية، ومن خلالها وفي ظل حمايتها تستطيع الأمم والشعوب أن تنظم نفسها سياسيًا، وهذه الأراضي غالبًا ما تكون مناطق انتقال وتداخل بين أراضٍ وشعوب مختلفة . ولا شك أنه مع تزايد كثافة السكان، وتقدم وسائل المواصلات والاتصالات، وقيام الدولة المركزية القادرة على ممارسة سيادتها الكاملة على الإقليم، ومع زيادة معلومات الإنسان الجغرافية عن سطح الأرض وتقدم فن المساحة .. كان لا بد أن تنكمش مناطق التخوم وتتحول إلى خطوط حدية لا يتعدى عرضها سنتميترات؛ لذا فهي على عكس التخوم ، حيث لا تصلح لسكني الناس ولا يمكن أن تكون مناطق انتقال[1] .

وتعد الحدود السياسية أكثر الموضوعات شيوعًا في الجغرافيا السياسية على الرغم من أن الاهتمام بها قد أخذ ينحسر منذ الستينيات من القرن العشرين، ويرجع

(1) محمد عبد العزيز: الجغرافيا السياسية، الإطار النظري والواقع التطبيقي، كلية الآداب، بني سويف 2005، ص 84 .

ذلك إلى قلة المنازعات في أكثر مناطق العالم انشغالًا بالجغرافيا السياسية وهي أوروبا وأمريكا الشمالية إلا أن الأوضاع كانت مختلفة في النصف الأول من القرن العشرين في أوروبا، عندما كانت مشكلات الحدود قضية محورية في السياسة الدولية[1] .

ولولا هذه الحدود الواضحة لتحول النظام الحالي للدول إلى حالة من الفوضى، حيث يستحيل بدونها معرفة مكان انتهاء سيادة دولة ما وابتداء سيادة الأخرى، فكما يقول بوجز Boggcs, S.W فإن خط الحدود هو الذي يحدد لملايين الناس اللغة التي ينطقون بها والمناهج والأفكار التي يتعلمها أطفالهم في المدارس، والكتب والجرائد والمجلات التي يمكن أن يشتروها ويقرؤها ونوع النقود التي يتعاملون بها، والأسواق التي يشترون منها ويبيعون فيها، بل وربما نوع المأكولات والمشروبات التي يتناولونها. كما أن هذا الخط هو الذي يحدد الجيش الذي يستخدم بين صفوف هؤلاء الناس، والتراب الذي سيدافع عنه هذا الجيش[2] .

والحدود ظاهرة نتجت من قيام القوميات المرتبطة بالوحدات السياسية وتعقيداتها الطبيعية والبشرية. وليس للحدود شخصية متميزة عن الوحدات السياسية فالحدود مرتبطة بعلاقات الدول بعضها مع بعض ، فالحدود كظاهرة جغرافية طبيعية وبشرية لا يمكن النظر إليها على أنها حقيقة جغرافية وضعتها الطبيعة على الخرائط ولا على أنها حقيقة سياسية أو اجتماعية معتمدة على الإرادة الحرة للإنسان فحسب ؛ لأن خطوط الحدود من تفكير الإنسان نتيجة عوامل متعددة أنشأتها وتتداخل فيها عوامل طبيعية وبشرية. فالحدود ظاهرة سياسية واجتماعية تعتمد على اختيار الإنسان ورغبته وقد تكون رغبة مفيدة[3] .

(1) بيتر تيلور، كولن فلنت: الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة : عبد السلام رضوان، إسحق عبيد، عالم المعرفة، الجزء الأول، العدد 282، الكويت 2002، ص 277 .

(2) محمد عبد العزيز، الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص 85.

(3) فيليب رفله، أحمد سامي مصطفى: الجغرافيا البشرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1970، ص 108 .

ولكن في العصور الحديثة تغير الأمر إلى جعل الحدود خطوطًا محددة معينة على خرائط وأحيانًا على الطبيعة ، بل تعدى الأمر في وضعها في معاهدات واتفاقيات دولية وأصبحت هذه الحدود تسمى الحدود السياسية Political Boundaries أو الحدود الدولية[1] International Boundaries وانقضى العهد الذي كانت فيه الغابات أو المستنقعات حدودًا فاصلة بين الدول. ويرجع السبب في تغيير الحدود من مناطق إلى مجرد خط فاصل إلى الزيادة السكانية الكبيرة التي شهدها العالم يومًا بعد يوم ، وهذا بدوره انعكس على حاجة الدول إلى المزيد من الأراضي لاستغلالها في إطعام الأفواه الجديدة التي تتزايد كل يوم. فقد دفعت هذه الحاجة الدولة إلى استغلال مناطق التخوم أو تلك المناطق المحايدة التي كانت تتدرج فيها سيادة الدولتين المتجاورتين، ولهذا تغير مفهوم الحدود في العصر الحديث.

ثانيًا: نشأة الحدود وتطورها:

لم تعرف الجماعات البشرية القديمة حدودًا بالمعنى المتعارف عليه في العصر الحالي ذلك أن ظهور الوحدات السياسية (الدول) بحدودها أمر حديث العهد.

وقد مرت فكرة تحديد الحدود وتخطيطها بمراحل قبل أن تصل إلى شكلها الحالي، وارتبط ذلك بنشأة الدول وتطورها منذ بداية العصور التاريخية[2] ، وأهم هذه المراحل هي :

المرحلة الأولى: ففي بداية التاريخ البشري ، حيث كان الإنسان يعيش في قبائل وجماعات بشرية، أو حتى قبل ذلك في العصور البدائية ، حيث يتنقل صيادًا وراء الحيوان ، أو جامعًا لقوته وحين كان مجال التنقل فسيحًا - لم تكن هناك صدامات

(1) الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1991، ص 166 .

(2) المرجع السابق ، ص ص 610 - 612 .

بين السكان لقلتهم ولا تساع المساحة الأرضية التي ينتقلون فيها فكانت الحدود غامضة، ولم تكن هناك مشاكل لما نسميه اليوم حدودًا سواء أكانت خطوطًا أم مناطق. وكانت بعض القبائل البدائية تنظر إلى نهايات أراضيها نظرة تقديس، كما كانت هذه القبائل تضع أحجارًا لتعين نهايات حدودها ، ثم تقوم بنقل هذه الأحجار إلى مناطق أخرى .

المرحلة الثانية: حين تكاثر السكان وبدأ الإنسان يعمل بحرفة رعي الحيوان وينتقل وراء الكلأ وهي مرحلة أكثر كثافة في السكان وأكثر تقدمًا . هذه المرحلة هي مرحلة التنقل والاختلاط ، وفي هذه الفترة نجد العناصر البشرية يمكن وصفها بأنها جماعات نصف متحضرة ونجد الحدود في هذه المرحلة متسعة وخالية نسبيًا من السكان بالنسبة لمركز التجمع وهو مركز الحكومة[1]. وتنتقل هذه المنطقة بفعل الإنسان من مكان إلى آخر حسب قوة القبائل المجاورة أو ضعفها، وتقترب الحدود من شكلها الحالي لا من حيث التخطيط ، بل من حيث الحدود لمناطق تخضع لنفوذ حكومة معينة فتوضع "مناطق الحدود" وفي هذه الفترة بدأت تظهر ما يعرف بالدول الحاجزة Buffer states وفي هذه المرحلة كانت الحدود وهي الفواصل بين الجماعات، تكاد تكون خالية من السكان.

وعندما عرف الإنسان الزراعة وبدأ ارتباط الجماعات بالأرض، زادت أسباب الاستقرار ونشأت القرى، زاد الاتصال بين الجماعات المتجاورة، وازدادت تبعًا لذلك أسباب العلاقات فيما بين هذه الجماعات، كما ازدادت أسباب المنازعات، وكان لابد من عقد اتفاقيات وانتهي الأخذ والرد إلى إنشاء ما يعرف "بالمناطق الفاصلة" أو "التخوم" Frontier Areas تفصل بين هذه الجماعات، وظلت هذه تحدد العلاقة بينها، ثم بين الدول في العصور القديمة والوسطى، وعاشت في هذه

(1) فيليب رفله، أحمد سامي مصطفى: الإنسان وعمران الأرض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1968، ص ص 290 – 291 .

التخوم جماعات بقصد الحراسة وصلت في تنظيمها إلى درجة "الإمارة" ومنها إمارة "الغساسنة" التي كانت تحمي الدولة البيزنطية من الشرق وإمارة المناذرة في الحيرة ، وكانت تحمي الدولة الفارسيةّ من الجنوب الغربي، وكانت هذه الإمارات تقوم بصد القبائل الرعوية التي كانت تهدد الدولتين.

وفي الأراضي السهلية ، حيث لا توجد أراضٍ مرتفعة يمكن الاعتماد عليها كمناطق للدفاع، تشتد حاجة الإنسان للحصون والقلاع التي تحميه من الاعتداءات الخارجية، وقد اتخذت الحصون الدفاعية التي أقامها الإنسان في أول الأمر شكل حوائط وأسوار، مثال ذلك سور الصين العظيم الذي أقامه الصينيون على الأطراف الشمالية لبلادهم لصد غارات المغول والتتار التي كانت تتدفق على الصين من أراضي الاستبس التي تقع في وسط آسيا، ومن أمثلتها أيضًا الحائط الذي بناه الرومان عند الأطراف الشمالية لإنجلترا لصد الاسكتلنديين الذين كانوا يغيرون على أراضي الرومان من جهة الشمال ويهددون الإنجليز، ومن أمثلتها أيضًا الحائط الذي بناه الرومان بين نهري الراين والدانوب لصد الجماعات الجرمانية التي كانت تغير على الدولة الرومانية، ومنها الحائط الذي بناه الرومان لسد الثغرة الموجودة بين البحر الأسود وبين جبال الكربات وذلك لحماية الإمبراطورية الرومانية من غزوات البرابرة[1].

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة حديثة حين زاد عدد السكان بشكل كبير وأصبح لا بد من إيجاد خط وسط منتصف هذه المنطقة أو ضمها لإحدى القوتين المتجاورتين وقد ظهرت في هذه المرحلة "الحدود" وتم تعيينها على الخرائط ولم يتم تخطيطها على الطبيعة إلا في بعض الأحوال أو الأماكن. فمعظم الحدود المبينة على الخرائط ليست موضحة بخطوط أو حواجز على سطح الأرض. وفي العصر

(1) محمد متولي، محمود أبو العلا: الجغرافيا السياسية، مكتبه الأنجلو المصرية، القاهرة 1997، ص 156 .

الحديث تم تحديد الحدود على الخرائط بوضوح وحدثت الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بالحدود ، وأصبحت لها مشكلات معقدة . هذا وتعد الحدود سواء أكانت خطًا أم منطقة لها عرض وطول وهي أي الحدود – منطقة احتكاك بين نظامين قانونيين ، وتعني الحدود في هذه المرحلة الأخيرة- الخطوط التي تعين الحد الخارجي للدولة وبداخلها تباشر الدولة سيادتها، ولكن هذه الحدود لا تعني شيئًا بالنسبة للإنسان كفرد وإن كان لها معنى خطير بالنسبة للإنسان كعنصر في الجماعة الدولية فهو لا يتمكن من عبورها إلا بعد إجراءات معينة من حكومته لأنه عند هذه الحدود ينتهي اختصاص دولة ويبدأ اختصاص دولة أخرى.

ثالثًا: وظائف الحدود:

إن أهم وظيفة للحدود السياسية هي مسألة تعيين سيادة الدولة من الناحية الجغرافية ؛ أي تحديد المدى الجغرافي الذي تبسط عليه الدولة سيادتها لتبدأ بعده سيادة دولة أخرى. ومن المعروف في علم السياسة وفي القانون الدولي كيف أن السيادة تشكل عنصرًا من عناصر تكوين الدولة وأن الغلاف الذي يحفظ هذه السيادة ويحددها هو الحدود.

ويمكن أن نجمل أهم وظائف الحدود في النقاط التالية:

1- الدفاع عن الدولة وتوفير الأمن للشعب :

وهذه تشترك فيها العديد من المصالح الحكومية مثل:

الحجر الصحي: وهو مراقبة ومنع دخول الأمراض والأوبئة الخطرة على حياة السكان، ولهذا فإن دور وزارة الصحة هو إنشاء المعازل الصحية والتي يوضع فيها القادمون من البلاد والذين يشك في أنهم ينقلون معهم بعض الأوبئة الفتاكة. من أجل ذلك قامت الدول بالمساعدة في إنشاء نظام دولي لإصدار شهادات صحية

دولية يجب على كل مسافر أن يحملها حتى لا يتعرض إلى الحجر الصحي عند قدومه إلى موانيء الدولة القادم إليها.

الحجر الزراعي: وهو منع دخول الآفات الزراعية والتي تهدد اقتصاد الدول الزراعية فمعظم الدول المتخصصة في نوع من الإنتاج الزراعي والتي يعتمد عليه اقتصادها القومي تحاول أن تحافظ على جودة إنتاجها حتى يمكنها أن تنافس به منتجات الدول الأخرى في الأسواق العالمية، وفي حالة دخول أي مرض زراعي إلى إنتاج الدولة فإنه سوف يسبب خسائر كبيرة.

كما يسيء إلى سمعة منتجاتها وهذا بدوره يؤثر على هبوط سعر السلعة. من أجل ذلك تحافظ الدول الزراعية على مراقبة المنتجات الزراعية على طول حدودها. بالإضافة إلى ذلك قد تنقل بعض الموارد الزراعية أمراضًا فتاكة إلى البلاد. فكثيرا ما نري منع استيراد بعض الفواكه من الدول التي تنتشر فيها الكوليرا مثلًا ؛ لأن بعض الفواكه تساعد على نقل هذه الأمراض، وهنا يأتي دور وزارة الزراعة في مراقبة مداخل الدولة.

مراقبة ومنع دخول الأشخاص الخطرين على الأمن: كالمجرمين والمهربين والمخربين، حيث تمنع وزارة الداخلية خروج المجرمين الخطرين من بلادها إلى الدول الأخرى حتى لا يسيئوا إلى سمعة البلاد. أما بالنسبة للمهربين فمن واجب الدولة أن تحمي اقتصاد البلاد فقد يسبب تهريب بعض السلع التي تنتج في البلاد إلى تدهور صناعاتها المحلية، وقد يترتب على ذلك الرجوع بالوطن إلى الوراء بدلا من مساعدته في التطور الاقتصادي وخاصة أن الصناعة في حاجة إلى حماية الدولة في أول عهدها وإلى أن تتحسن وتصبح قادرة على منافسة المنتجات المستوردة من خارج البلاد[1].

(1) محمد فاتح عقيل: مشكلات الحدود السياسية ، منشأة المعارف، الإسكندرية 1967، ص 44 .

منع دخول الأفكار والمعتقدات: ممثلة في الصحف والمجلات والكتب التي تنشر مبادئ ضارة تشكك في المعتقدات السماوية أو المبادئ والأفكار التي تربط بين أجزاء الدولة.

2- تحديد هجرة الأفراد والانتقال عبر الحدود وتحديد الزائرين والعمال ورجال الأعمال ومراقبة المهربين.

3- حماية الإنتاج الاقتصادي من خلال ضبط العملة المهربة والمعادن الثمينة، وجمع الضرائب والرسوم الجمركية ومراقبة الصادرات والواردات، والتحكم في نوع وكمية السلع لمنع منافسة البضائع الوطنية[1].

4- تنظيم حركات القبائل الرعوية المتحركة خلف قطعان ماشيتها بين دولتين أو أكثر وخاصة إذا كان الإقليم يقع في المناطق الجافة أو شبة الجافة ، حيث لا تسقط الامطار بانتظام ، من أجل ذلك سمحت الدول بأن تسهل حركة انتقال الرعاة إلى مناطق المراعي وحيث تسقط الامطار ويظهر العشب، هذا بالنسبة للدول الواقعة على أطراف الصحاري. أما الدول الواقعة في المناطق الجبلية التي تمر عليها الحدود فإن إجراءات شبيهة بذلك قد اتخذت لتسهيل حركة الهجرة الصيفية للرعاة ، حيث يصعد الرعاة بقطعان ماشيتهم إلى الجبال أثناء فصل الصيف ويهبطون إلى الوديان أثناء فصل الشتاء ؛ إذ أن الرعاة لا يهتمون بوجود الحدود السياسية. فقد ينتقل الراعي من دولة إلى أخري دون أن يعلم أنه خرج من حدود أراضي الدولة الأولى إلى حدود وأراضي الدولة الثانية ، كل ما يهمه هو البحث عن العشب وموارد المياه[2] .

(1) فيليب رفله، أحمد سامي مصطفي، الإنسان وعمران الأرض، مرجع سبق ذكره، ص 293 .
(2) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، ص ص67-69 .

5- تنظيم حركة انتقال العمال بين الدول وبعضها البعض وخاصة الدول الصناعية.

6- تؤثر الحدود في السكان الذين يعيشون على جانبيها فتطبعهم بطابع خاص فتكون لهم حياتهم الخاصة ونشاطهم الاقتصادي الخاص بهم.

رابعًا: أنواع الحدود :

اتخذ الإنسان في أول الأمر الظاهرات الطبيعية لسطح الأرض كالأنهار والجبال حدودًا للفصل بين الأراضي بعضها عن بعض ؛ لأنها حواجز طبيعية تحول دون تقدم الجماعات البشرية. ولكن قيمة هذه الحدود أخذت تقل نتيجة لتطور العنصر البشري والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي انعكس على تقدم الأسلحة والممثلة في الصواريخ عابرة القارات والقنابل النووية وحاملات الطائرات وغيرها من الأسلحة الذكية ، لكن الإنسان استطاع بعبقريته ومواهبه العقلية أن يقوي الحدود ويزيد من دعمها ، وذلك بإقامة الحصون والخنادق وغيرها من وسائل الدفاع المختلفة.

وأفضل أنواع الحدود السياسية هي الحدود التي تفصل الشعوب بعضها عن بعض فصلًا تامًا ، ولكن قليلًا جدًا من الحدود السياسية في العالم هي التي تتوافر فيها هذه الصفة ؛ لأن اختلاط الشعوب المختلفة أمرًا مستحيلًا ، ثم أن ظروف تخطيط الحدود هي ظروف تفرض منها الشعوب المنتصرة إرادتها على الشعوب المنهزمة، وهذه الأخيرة تضطر للخضوع للأمر الواقع، ولا يمكن لحدود مفروضة على هذا النحو أن تكون حدودًا مثالية، ومع ذلك فالحدود السياسية يمكن أن تفصل بين الشعوب فصلا تمامًا في أربع حالات[1].

(1) محمد متولي، محمود أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص 155 .

1- أن يكون الأساس الذي اعتمد عليه في تخطيط الحدود هو الفصل بين شعبين متجاورين ، ومن أمثلة ذلك الحدود بين دويلات البلطيق الثلاث استونيا ولا تفيا ولتوانيا .

2- أن يكون تخطيط الحدود بين شعبين متجاورين قد مر عليه وقت طويل بحيث سمح لكل منهما بالاستقرار في المنطقة التي يعيش فيها، ومن أمثلة ذلك الحدود بين فرنسا وأسبانيا.

3- أن يكون تخطيط الحدود في الإقليم سابقًا لمجيء العناصر البشرية التي تعيش على جانبيه ، كالحدود التي تمتد بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية.

4- أن يتبع خط الحدود حاجزًا طبيعيًا من الحواجز التي توجد على سطح الأرض، كالحدود بين شيلي والأرجنتين والتي تتمشى مع جبال الأنديز.

وتختلف الحدود من حيث درجة استقرارها، فنهاك حدود ثابتة تقليدية، استمرت لمدة قرن أو أكثر، كالحدود الأسبانية البرتغالية، بينما هناك حدود أخرى أبعد ما تكون عن الاستقرار كالحدود بين دول شبه جزيرة البلقان ودول جنوب شرق أوروبا.

وينشأ تغيير الحدود بعد إرسائها نتيجة لحالة من الحالات الثلاث التالية[1] :

الحالة الأولى: تبادل الأقاليم بين دولتين، أو تنازل إحدى الدول عن بعض أجزائها لدولة أخرى في مقابل امتياز آخر تحصل عليه.

الحالة الثانية: وهي الأكثر شيوعًا، وتتمثل في ظهور بعض الحدود الجديدة وتحرك أو اختفاء البعض الأخر طبقًا للشروط التي ينص عليها في معاهدات

(1) أمين محمود عبد الله ، مرجع سبق ذكره، ص ص 87 – 88 .

السلام، التي يتمخض عنها النزاع المسلح أو عند إلحاق بعض الأقاليم بدولة ما نتيجة الحرب.

الحالة الثالثة: ظهور حدود جديدة نتيجة لانقسام وحدة سياسية إلى وحدتين أو أكثر فتتقاسم دولتان أو أكثر منطقة كانت تشغلها من قبل دولة واحدة، كالهند وباكستان (ثم بنجلاديش)، والدول التي نجمت عن تقسيم إمبراطورية النمسا والمجر بعد الحرب العالمية الأولى، ودولة كوريا بقسميها الشمالي والجنوبي، ودولتي ألمانيا بقسميها الشرقي والغربي بعد الحرب العالمية الثانية.

وتتعدد أشكال الحدود وطبيعتها بين الدول، كما نجدها قد تتباين أيضًا في نطاق حدود الدولة الواحدة، ونجد أن بعضها قد تم تعيينه على الطبيعة بصورة واضحة بينما هناك ما لم يتم تعيينه عليها، وبذلك لا نجدها كخطوط موضحة على الخرائط تعبر عن نصوص الاتفاقيات بين الدول المتجاورة. وقد ساهمت الظاهرات الطبيعية في تعيين الحدود الدولية، فضلا عن الاختلافات القومية بين الشعوب وما فيها من تقسيمات اجتماعية ، ثم أخذت المعاهدات الدولية تعين الحدود على أساس وهمي تبعًا لخطوط الطول ودوائر العرض في بعض المناطق.

بناء على ذلك يمكن تقسيم أنواع الحدود إلى الأنواع التالية:

1- **الحدود الطبيعية** :

وهي الحدود السياسية التي تتبع الظاهرات الطبيعية مثل الجبال والأنهار والبحار والبحيرات والمستنقعات والصحاري والغابات. ورغم تعدد مظاهر السطح الطبيعية التي يمكن أن تتمشى معها الحدود إلا أن أوضح هذه المظاهر وأكثرها شيوعًا واستخداما تتمثل في الجبال والأنهار والبحار.

أ- **الحدود الجبلية** :

تعتبر الجبال من أصلح أنوع الظاهرات الطبيعية لتخطيط الحدود السياسية ؛

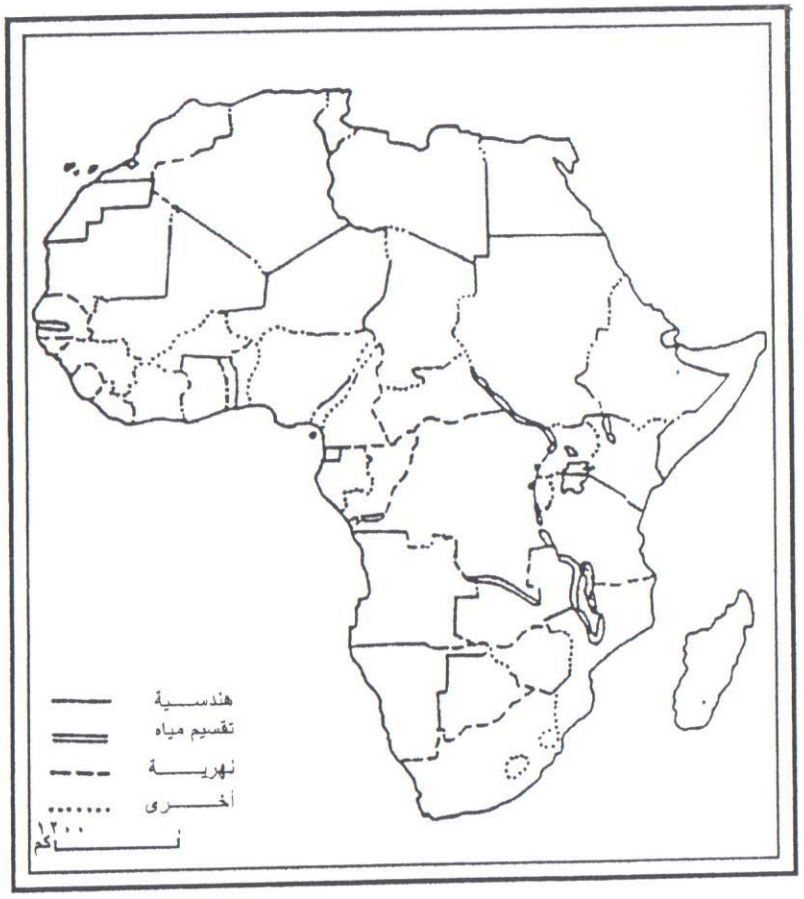

شكل (8) : أنواع الحدود السياسية في قارة أفريقيا

بتصرف عن: محمد زهرة

لأنها بطبيعتها تعتبر عامل فصل يعوق الانتقال من أحد جانبيها إلى الجانب الأخر، كما أنها تعتبر خطوطًا دفاعية يمكن أن تستفيد بها الدولة لإقامة التحصينات للدفاع عن نفسها ضد أي غزو خارجي. كما تتميز الجبال بصعوبة السكن فيها بصفة عامة، وتخلخل أحوال الضغط وانخفاض الحرارة فوقها، كل ذلك يؤدي إلى تخلخلها من السكان . وأفضل أنواع الحدود التي تسير فوق الجبال تلك الحدود التي تتمشى مع خطوط تقسيم المياه في الأقاليم الرطبة، وقمم الجبال في الأقاليم الجافة . ومن أمثلة الحدود السياسية التي تتمشى مع سلاسل الجبال ما يأتي[1] :

1- الحدود بين فرنسا وأسبانيا، وهي تتمشى مع سلاسل جبال البرانس.

2- الحدود بين السويد والنرويج، وهي تتمشى مع سلاسل جبال اسكندناوة.

3- الحدود بين بلغاريا واليونان وهي تتبع مرتفعات رودوب.

4- الحدود بين النمسا وإيطاليا والتي تتمشى مع جبال الألب.

5- استخدمت جبال الهمالايا لرسم حدود الهند والصين.

6- الحدود بين العراق وإيران تتمشي مع جبال زاجروس في معظم امتدادها.

7- الحدود بين شيلي والأرجنتين تتمشي مع جبال الإنديز في أمريكا الجنوبية.

8- استخدمت جبال الكربات وهضبة بوهيميا أساسا لرسم حدود تشيكوسلوفاكيا[2].

9- الحدود بين آلاسكا وكندا تسير مع جبال بروكس وجبال آلاسكا.

(1) عبد العزيز طريح شرف: الأسس والمشكلات في الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص ص 108 – 109 .

(2) انقسمت إلى دولتين هما: جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا .

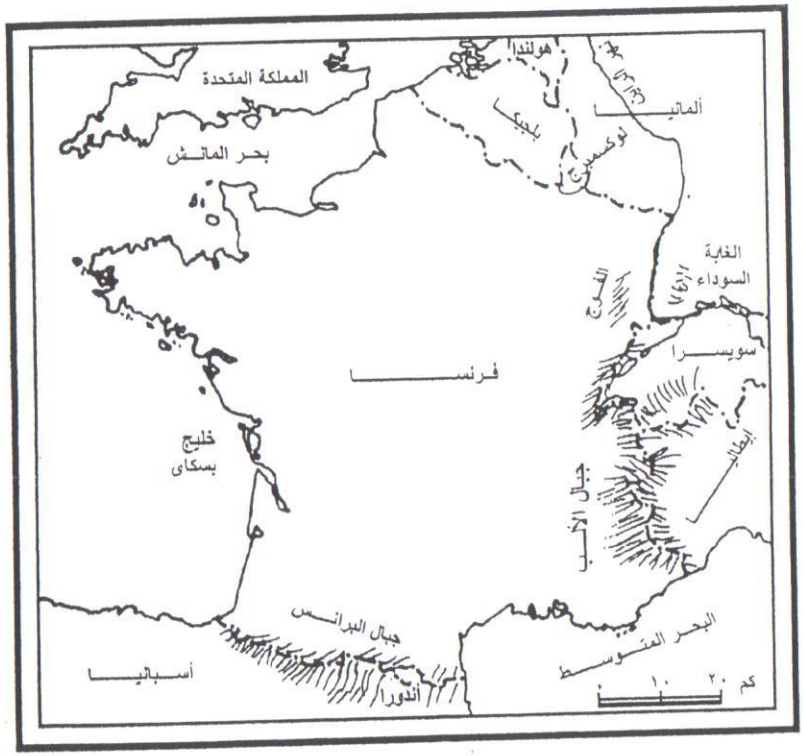

شكل (9) : الحدود الجبلية لفرنسا

وعلى الرغم من قوة ومناسبة الجبال كمناطق لتخطيط الحدود السياسية إلا أنها ليست حواجز طبيعية في جميع الحالات، فإذا كانت جبال الهمالايا وهضبة التبت حاجزا طبيعيًّا فصلت الهند عن الصين، فإن جبال زاجروس وسليمان لم تفصل حوض نهر السند عن أفغانستان وإيران أو جنوب غرب آسيا، ونجد أن ممر خيبر ساعد على تدفق الهجرات البشرية من وسط آسيا إلى شبة جزيرة الهند. وجبال الأبنين في شبه جزيرة إيطاليا لم تمنع وحدة الدولة [1].

ويؤكد هذا الرأي فالكنبرج Valkenberg ، حيث يشير إلى أن مرتفعات البرانس التي يراها الكثيرون حدودًا طبيعية مثالية ولكنه لوجود تفاصيل محلية في هذه المرتفعات كالأودية والممرات تجعلها في الواقع حاجزًا غير تام الفصل [2] فعبر هذه الجبال سار هانيبال، ويسكنها الباسك على كلا جانبيها، كما قامت دولة أندورا في هذه الجبال أيضًا.

وتجدر الإشارة إلى أن الممرات الجبلية والأنفاق التي تشق خلال هذه الجبال لها أهمية استراتيجية كبيرة، كما أنها لها أهمية في العلاقات بين الدول المجاورة على جانبي الحدود، وخاصة إذا ما استخدمت للتجارة الخارجية لدولة حبيسة من الدول المجاورة. ومن أمثلة ذلك " ممر سانت جوثار" St . Gothard بين إيطاليا وسويسرا، يمثل أهمية كبيرة بالنسبة للأخيرة ، حيث يصلها بميناء جنوة الإيطالي الذي يمثل النافذة الوحيدة لسويسرا الذي تطل به على العالم الخارجي وتقيم علاقتها التجارية بدوله عن طريقه.

(1) دولت أحمد صادق وآخرون: الجغرافيا السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1957، ص 101.

(2) Valkenberg,s.v., "Elements of political Geography" second ed., New Delhy 1963, P ..83.

ب ـ الحدود النهرية:

أدت الأنهار دورين متناقضين في السياسة،ـ فهي عوامل وحدة كما ذكر كيرزون Curzon حيث قال إن : " الأنهار تصل ولا تفصل وعلى ضفاف الأنهار العظمى نشأت الحضارات التاريخية الكبري ونهر النيل وحدة فذة ، كون أمة وعمل على ربطها" [1] ، كما أنها استخدمت كفواصل جغرافية. فالأنهار عوامل وحدة ، حيث شجعت القوميات المحلية على التبلور والظهور. فهولندا لم يوحدها سوي نهر الفستولا، ونهر النيل وفيضاناته هو المسئول عن ظهور المدنية المصرية، ودول العراق الأدني القديمة هي نهرية في تجمعاتها البيئية، وقامت الحضارة الصينية حول أنهارها الثلاثة: الهوانجهو ، اليانجتسي، والسيكيانج، والقومية الفرنسية نشأت أولًا في حوض باريس، والدولة الإنجليزية الأولي نشأت في حوض لندن، وحوض فيينا كان مركزا لدولة النمسا [2] .

وأدت الأنهار دورًا آخر في عمليات التوسع الاستعماري، فقد اتبع الفرنسيون مجري نهر السانت لورانس في توغلهم داخل أمريكا الشمالية غربًا، كما اتبع الأسبان نهر المسيسبي كمسلك لتوغلهم داخل القارة شمالًا .

أما عن الأنهار كعوامل فصل جغرافية فهناك أمثلة على ذلك، نجد أن الرومان قد اعتبروا نهري الراين والدانوب بمثابة خطوط دفاع طبيعية ضد غزوات وهجمات القبائل المتبربرة، وكانت الشعوب القديمة تنظر إلى الأنهار بأنها حدودًا وضعتها الطبيعية لتقسيم الشعوب.

ويكاد يكون هناك اتفاق بين فقهاء القانون وعلماء الجغرافيا السياسية على ثلاث قواعد يمكن بواسطتها تحديد وتخطيط الحدود المتمشية مع الأنهار [3] :

(1) Curzon, G . V. , "Frontiers" 2 nd., oxford 1908 , P. 37 .

(2) المرجع السابق ، ص 104.

(3) محمد عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص ص 98- 100 .

القاعدة الأولى: نرسم الحدود في الأنهار غير الصالحة للملاحة في منتصف مجرى النهرأو ما يعرف بخط الوسط Median Line ، والذي يعد كحد سياسي يفصل بين دولتين، ويعرف بوجز Bogges خط الوسط بأنه" الخط الذي تقع كل نقطة عليه على مساحة متساوية من النقاط المقابلة لها الموجودة على الشاطئين المتقابلين للبحيرة أو النهر أو المضيق . ومن أمثلة الحدود التي تتمشى مع خط الوسط الحد الممتد في وسط نهر ريو جراند"Rio Grand بين الولايات المتحدة والمكسيك.

القاعدة الثانية: أن ترسم الحدود في الأنهار الدولية الصالحة للملاحة في منتصف الجزء العميق من المجرى الصالح للملاحة، والذي يطلق عليه المجرى الملاحي وهو عبارة عن الخط الذي يتمشي مع أعمق جزء في قاع النهر. وتستخدم عادة كلمة Thalweg الألمانية (تالفيج) للتعبير عن المجرى الملاحي. ومن أمثلة الحدود التي تتمشي مع مجري الملاحة(التالفيج)[1] الحدود بين ألمانيا وفرنسا عبر نهر الراين، والحدود بين الولايات المتحدة وكندا عبر نهرسانت لورانس.

شكل (10) : رسم توضيحي للحدود السياسية النهرية

(1) يطلق بعض الكتاب عليها بطريق الخطأ لفظ التالوج .

القاعدة الثالثة: وهي الخاصة برسم الحدود المتمشية مع الأنهار فإنها تنص على اعتبار رسم الحدود يسير مع أحد ضفتي النهر River Bank. ومن أمثلة الأنهار التي طبقت عليها قاعدة الضفة الواحدة، نهر بوج Bog أحد فروع نهر الفستولا- الذي يفصل بين بولندا وروسيا.

وتجدر الإشارة إلى أن اتخاذ الأنهار كحدود سياسية قد تترتب عليه ثلاثة أنواع من المشكلات هي[1] :

1- إن الأنهار تقوم باستمرار بتغيير مجاريها، ويتضح ذلك على نحو خاص في الأجزاء التي تكثر بها المنعطفات والثنيات النهرية، أو تلك التي تكون عرضة للفيضانات العنيفة.

2- إن إدخال أي تعديلات على نظام جريان النهر مثل إقامة الأعمال الهندسية من قناطر وخزانات وسدود أو سحب أي كميات من مياه النهر لأغراض الري يؤثر على ضفاف النهر.

3- إن السهول الفيضية والأراضي الزراعية على كلا جانبي النهر، تجتذب السكان وتستدعي تعاونهم في إقامة حياة مشتركة.

ويلاحظ أن معظم المشكلات المرتبطة بالحدود النهرية ترتبط إما بالتعريف أو التحديد، أما فيما يتعلق بالتعريف فهو يرتبط بتعريف المجرى المائي من وجهة نظر الجغرافيا الطبيعية، وكذلك تعريف خط الحدود، واتفاق الأطراف المختلفة على هذا التعريف. أما التحديد فإنه يصبح أمرًا سهلًا إذا كان النهر قد تم قديمًا إخضاع مجراه لعمليات مساحية دقيقة ، ورسمت له خرائط موضح عليها المعالم الطوبوغرافية والأسماء الثابتة للأماكن، أما إذا كانت مناسيب النهر دائمة التغيير فإن هذا يمكن

(1) أحمد علي إسماعيل: الجغرافيا العامة، موضوعات مختارة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1995، 1996، ص ص 176- 177 .

أن يؤدي إلى العديد من المشكلات وقد يكون المخرج في هذه الحالة هو اللجوء إلى إقامة منشأت هندسية ثابتة مثل الذي حدث في بعض الأجزاء التي توجد بها المستنقعات أو أجزاء المجرى الأخدودية في نهر الراين أو في نهر ريوجراند

ومن أهم نماذج الحدود النهرية في العالم ما يلي:

1- نهر سانت لورانس بين الولايات المتحدة وكندا.

2- نهر ريوجراند بين الولايات المتحدة و المكسيك.

3- نهر الراين بين سويسرا وألمانيا.

4- نهر أورجواي بين الأرجنتين وأورجواي.

5- نهر أورجواي بين البرازيل والأرجنتين.

6- نهر الكونغو بين جمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية الكونغو.

7- نهر الأورانج بين جمهورية جنوب أفريقيا وناميبيا.

8- نهر السنغال بين السنغال وموريتانيا.

9- نهر بارانا بين البرازيل وباراجوي.

10- نهر الميكونج بين لاوس وتايلاند.

11- نهر الدانوب بين رومانيا وبلغاريا.

12- نهر سالوين بين ميانمار[1] وتايلاند.

(1) كانت تعرف من قبل باسم بورما .

شكل (11) : الحدود النهرية بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا

جـ - الحدود البحرية :

البحيرات تشبه الأنهار في أنها عامل وحدة واتصال ، ولكنها تختلف عنها في أنها أكثر ثباتًا على سطح الأرض، ويمكن أن تستخدم كمناطق لوضع الحدود السياسية وليس وحدة اتصال.

وتعتبر البحيرات من الظاهرات الطبيعية الهامة التي يمكن الاستفادة بها عند تخطيط الحدود السياسية، ولكن ليست هناك قاعدة محددة لتخطيط هذه الحدود فقد يسير بعضها مع أحد شواطئ البحيرة، بينما يسير بعضها الآخر في وسطها أو يخترق أحد أطرافها.

ومن أمثلة البحيرات التى تتمشي معها بعض الحدود السياسية ، البحيرات العظمي[1] في قارة أمريكا الشمالية والتي تخترق الحدود بين الولايات المتحدة وكندا.

(1) هذه البحيرات وعددها خمس هي: سوبيريور، متشجان، إيري ، أونتاريو، وهورن .

وتقوم هذه البحيرات بمثابة لم الشمل بين الجنوب الكندي والشمال الأمريكي، فعلى مائها العذب تقوم المصانع بمختلف أنواعها وأحجامها معتمدة على مياه البحيرات وهي أحسن وسيلة من وسائل النقل السريعة الرخيصة، وعلى البحيرات العظمى تقع أهم المدن الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية مثل شيكاغو، ميلاواكي Milwaukee وجيري انديانا Gary Indiana وكليفلاند Cleavland وتوليدو Toledo وديترويت وبفلو Buffalo ، أما الجانب الكندي فتقع عليه كل من هاملتون وتورنتو و ويندسور وكنجستون Kingstone وغيرها، وعلى البحيرات يعتمد سكان كل من ولايات مينسوتا ، وسكنسون ، الينوي ،انديانا ، أوهايو ونيويورك بالولايات المتحدة وولاية انتاريو بكندا كمصدر اقتصادي وحد بحيري.

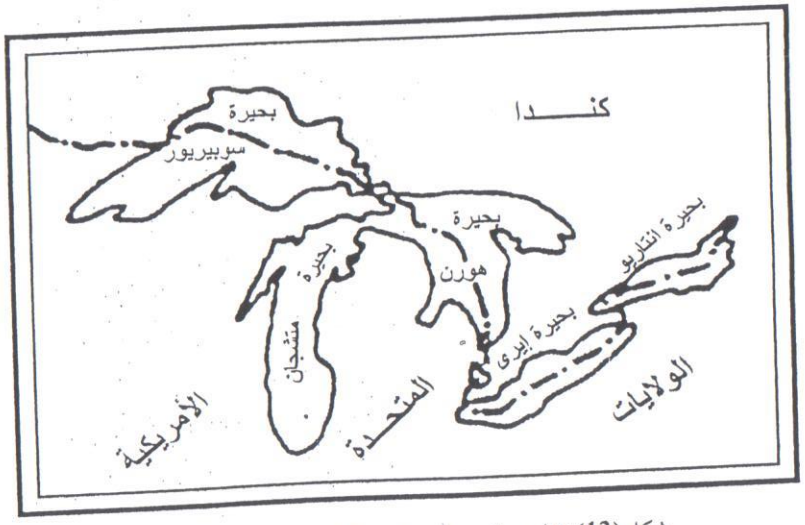

شكل (12) : الحدود البحيرية بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية

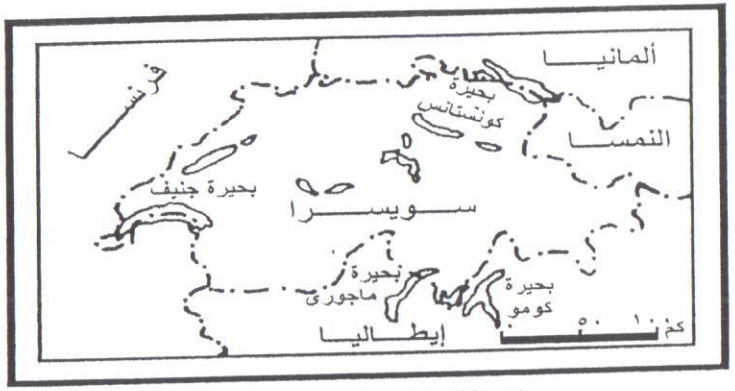

شكل (13) : الحدود البحيرية في قارة أوروبا

وفي أفريقيا نجد أن كثيرًا من البحيرات قد استخدمت لتخطيط الحدود، ومنها بحيرة فكتوريا التي تخترق الحدود بين أوغندا وكينيا وتنزانيا، وبحيرتا إدوارد وألبرت اللتان تمر بهما جميعًا الحدود بين أوغندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية من الجنوب إلى الشمال، ثم بحيرة تنجانيقا التي يخترقها الحد بين جمهورية الكونغو الديمقراطية وتنزانيا من طرفها الشمالي إلى طرفها الجنوبي، وبحيرة تشاد التي تلتقي فيها حدود ثلاث جمهوريات هي نيجيريا والنيجر وتشاد[1] .

ومن البحيرات التي تستخدم كحدود سياسية في قارة أوروبا بحيرة جنيف Lake of Geneva التي تفصل بين سويسرا وفرنسا، وبحيرة كونستانس Lake of Constance والتي تلتقي عندها حدود كل من سويسرا والنمسا وألمانيا.

وتستخدم البحيرات كنوع من الحدود السياسية بين الدول وذلك في شكل صورتين[2] :

(1) عبد العزيز طريح شرف، مرجع سبق ذكره، ص 117 .

(2) صلاح الدين الشامي: دراسات في الجغرافيا السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية 1999 ، ص 82 .

الصورة الأولى: يمر الحد السياسي في قلب البحيرة، وهو يقسم سطح الماء فيها بين الدولتين ، ويعطي لكل منهما حق السيادة على قطاع منه. ومن ثم فهو يتيح لهما حق الاستغلال أو الانتفاع بسطح الماء من البحيرة ، الذي يقع في إطار نصيب كل دولة منهما.

الصورة الثانية: يرسم الحد السياسي مع امتداد شاطئ من شواطئ البحيرة ، بحيث يدخلها داخل حدود دولة، ويحرم الدولة الأخرى منها كلية. وهذا معناه أن تستأثر وحدة سياسية بالبحيرة، وأن يحرم الناس في الجانب الآخر من استغلالها بأسلوب من أساليب استغلالها المعروفة.

وإذا جاز لنا أن نعقد مقارنة بين الحد السياسي في هاتين الصورتين، فيمكن القول أنه في الصورة الثانية يكون مشحونًا بالمتاعب ؛ لأن حرمان وحدة سياسية من قطاع من مسطح البحيرة، يعني التناقض بين ما يفرضه الحد السياسي، وما يشد الناس إلى استغلال البحيرة، واستخدام الموارد المتاحة فيها.

ويجب أن يكون الاستناد إلى البحيرات في رسم الحد السياسي متسمًا بالمرونة في تفكير الدول، التي تشرف على المسطح المائي للبحيرة، ومقترنًا برغبة ملحة في المعايشة السلمية. وقد يتطلب الأمر الاتفاق والتنسيق بينهما بالشكل الذي يكفل مصلحة كل الأطراف المعنية. ومن ثم تتناقص احتمالات ظهور المشكلات أو تفجر المتاعب على مثل هذا الحد .

د ـ الحدود في المستنقعات:

وهي ظاهرة طبيعية تتضمنها مساحات من سطح الأرض في بعض الأحيان، وتمثل مياه راكدة ضحلة. وقد تكون المستنقعات دائمة رغم ذبذبة مساحتها من فصل إلى فصل آخر، وقد تكون موسمية تتعرض للجفاف في فصل معين من السنة، وقد لا تجد وحدتان سياسيتان ظاهرة طبيعية مناسبة، يمكن الاعتماد عليها كحد سياسي بينهما غير المستنقعات " وما من شك في أن المستنقعات التي تغطي مساحات

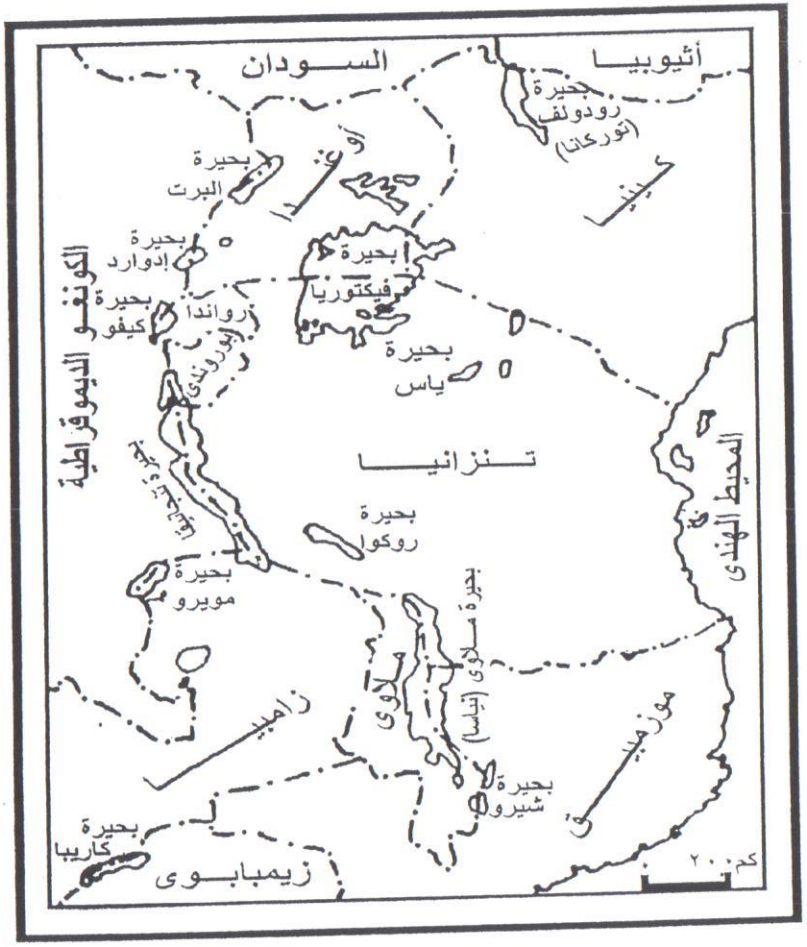

شكل (14) : الحدود البحرية في شرق أفريقيا

معينة ، تبدو عقبة في مجال الحركة المرنة والاتصال والترابط ، بين مساحات الأرض من حولها. وقد تكون المستنقعات من وجهة النظر البشرية، من مناطق العزلة ، التي تتجمع بينها وتحتمي من ورائها بعض الجماعات، وهي التي تحس ضعفًا وتستشعر أمن الاعتصام بها. كانت المستنقعات تمثل قديمًا مناطق عزلة ، وهذا ساعد على قيام هولندا في مصب نهر الراين المنخفض في عزلة عن الجرمان والفرنسيين. وكانت مستنقعات بروسيا الشرقية عائقًا حال دون تقدم الجيوش الروسية في الحرب العالمية الأولى كما أن مستنقعات البريبت أدّت نفس الدور في الحرب.

ومن المستنقعات الأخرى مستنقعات شواطئ أفريقيا الغربية فقد عملت على حجب القارة عن الأنظار. ففرضت هذه المستنقعات حماية على هذا القسم من أفريقيا لمدة طويلة، ولكن التقدم العلمي نجح في أن يخضع هذه المستنقعات لرغبة الإنسان بتجفيفها والقضاء على الكثير من أمراضها[1].

وفي العصر الحالي فقدت الكثير من المستنقعات أهميتها ؛ لأن الإنسان نجح في تجفيفها وبالتالي أمكنه التغلب عليها ومن ثمَّ استخدامها .

هـ ـ الحدود السياسية في الغابات:

تتميز الغابات بأنها تحتل مناطق واسعة وظاهرة سواء على الطبيعي أو على الخريطة ، من أجل ذلك اختيرت لتكون فواصل بين الدول والشعوب. وربما يرجع السبب في اختيارها إلى أنها تقف عائقًا أمام حركة الجيوش السريعة، نظرًا لكثافتها وتشابك أشجارها.

وهذا ما يؤدي إلى حجب الضوء داخل الغابة فتصبح الرؤية معدومة في بعض الأوقات. وقد يترتب على عدم وصول أشعة الشمس إلى داخل الغابة انتشار

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، دار النهضة العربية ، بيروت 1971، ص 115 .

الأمراض والأوبئة ولجوء الحيوانات الزاحفة والمفترسة إليها. كل هذه العوامل تدفع الإنسان إلى تجنب مناطق الغابات ؛ لأنها خطرة على حياته وتحد من نشاطه. ومن أجل ذلك كانت الغابات من بين العوامل الهامة في الفصل بين الأمم والشعوب ، ولا يلجأ إليها سوى الأمم المستضعفة والمغلوبة على أمرها. لقد التجأ إليها الروس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أمام غزو التتار. ولا يزال تلجأ إليها الشعوب والقبائل البدائية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. لقد وقفت الغابات مانعًا أمام تقدم الإمبراطورية الرومانية في أوروبا، كما عرقلت غابات أردن Ardenne تقدم الجيوش الألمانية في بلجيكا، وكانت عاملا مساعدًا للدفاع عن فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى. من أجل ذلك اتبعت الشعوب أساليب جديدة في حروبها داخل الغابات، هذه الأساليب هي ما تعرف اليوم بحرب العصابات أو حرب الاستنزاف.

لقد اتبع هذا الأسلوب كل من اليابان في حربها ضد القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية ، اتبعتها القوات الصينية في حرب التحرير الأهلية، والقوات الفيتنامية في حربها ضد القوات الأمريكية في الهند الصينية[1] .

و ـ الحدود البحرية والمياه الإقليمية:

بلغ عدد الوحدات السياسية في العالم حتى نهاية عام 2006 م نحو 193 م دولة ومعظم هذه الدول تطل بجبهات أو منافذ بحرية على المسطحات المائية الممثلة في البحار والمحيطات ، ويستثنى من ذلك عدد من الوحدات السياسية لا يصل عددها إلى 39 دولة فهي دول داخلية أو حبيسة Lockland states وهذه الدول يفرض موقعها الداخلي عليها أن تقيم علاقات حسن جوار مع الدول الساحلية المجاورة لها فضلا عن بعض الاتفاقيات التجارية والاتحادات الجمركية التي تتيح لها امتياز

(1) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، ص 93 .

المرور خلال أراضيها واستخدام إحدى موانيها، وهذه الدول موزعة على أربع قارات من قارات العالم.

تشكل البحار والمحيطات أهم الفواصل الطبيعية بين الدول والمناطق الإقليمية ، غير أن الحدود الساحلية للدولة هي محل اهتمام بالغ منذ التاريخ القديم ؛ لأن الحدود السياسية البحرية القديمة كانت عرضة للغزو البحري، فلجأت بعض الدول إلى ترك أرض مقفرة بين خط الساحل والمدن والعمران في الداخل لتمكين السكان من مواجهة الغزو وتجنب الدمار والهزيمة السريعة. ولذلك فإن المدن التجارية الكبرى بنيت في أماكن بعيدة نسبيًا عن الشاطئ، فابتعد موقع روما 20 كيلومترا عن الساحل، وابتعد موقع أثينا ثمانية كيلومترات[1]. أما المدن التي اقتربت من الساحل فتحصنت خلف القلاع الحربية مثل صور وقرطاجة والإسكندرية. ولكن مع تقدم سلاح البحر تراجعت قيمة هذه التحصينات والإجراءات الدفاعية وبرز الحديث عن الحدود السياسية داخل مياه البحر، واعتبرت المياه الواقعة بين هذه الحدود والساحل مياهًا إقليمية تمارس فيها الدول سيادتها كما في اليابس، وزادت أهمية هذه المياه مع توفر الثروات الطبيعية فيها. وعلى ذلك ارتبطت فكرة المياه الإقليمية بالأمن الدفاعي ، وقد عرفت هذه الفكرة منذ نهاية عهد الإمبراطورية الرومانية التي اعتمدت لحماية شواطئها من أعمال القرصنة البحرية[2].

وقد أدت البحار والمحيطات دورًا كبيرًا في الماضي ونجحت في حجب العالم الجديد عن أنظار العالم القديم، كما نجحت البحار الشمالية المتجمدة في حجب معالم القطب الشمالي، والسبب في ذلك يرجع إلى صعوبة الملاحة وقسوة المناخ.

(1) محمد رياض: الأصول العامة للجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا ، مرجع سبق ذكره، ص 231 .
(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره ، ص ص 54-55 .

وتعتبر الحدود البحرية جزءا من النطاق الإقليمي للدولة وتؤدي الكثير من الوظائف التي تؤديها الحدود البرية، بل إن الحدود البحرية تكاد تعتبر من أفضل نماذج الحدود نظرًا لقدرة المسطحات المائية على تحقيق الفصل إذا أرادت الدول العزلة ،.وتحقيق الاتصال إذا أرادت هذه الدول الاحتلال ؛ أي أن الحدود البحرية تتميز بقدرتها العالية على أداء وظيفتي الفصل والاتصال[1] وظنت بعض الدول فيما مضي أن البحار والمحيطات ملك لها، ولذلك ظهرت فكرة البحار المغلقة closed Seas وقد ساعد فرمان البابا الذي صدر في القرن الخامس عشر على سيادة هذه الروح ؛ إذ أنه أعطي ملكية المحيط الهادي وخليج المكسيك للأسبان، بينما نالت البرتغال ملكية المحيط الأطلنطي الواقع إلى الجنوب من جبل طارق، بالإضافة إلى.المحيط الهندي. واحتفظت هاتان الدولتان لنفسهما بحق منع مرور السفن الأجنبية في هذه المياه، وعلى الرغم من ذلك لم يستطعا حماية هذا الحق الذي ادعياه، فقد كانت السفن الهولندية في تحد دائم مع السفن البرتغالية للسيطرة على الطريق الأفريقي الآسيوي. بينما كان القراصنة الإنجليز في عهد الملكة إليزابيث يهاجمون سفن الأسبان في البحار الأسبانية (المحيط الأطلنطي الشمالي) وهي محملة بالسبائك الذهبية والفضية القادمة من العالم الجديد في طريقها إلى الدولة الأم (أسبانيا) مما اضطر الحكومة الأسبانية في ذلك الوقت إلى تسيير سفن حربية مع السفن التجارية لحراستها في هذا المحيط من القراصنة الإنجليز[2].

ولكن ما لبثت أن ظهرت فكرة البحار المفتوحة Open Seas وبدأت هذه الفكرة على يد المحامي الهولندي " هوجو خروتيوس" Hugo Grotius حيث ذكر

(1) محمد عبد العزيز، مرجع سبق ذكره، ص 103 .
(2) محمد محمود الديب: الجغرافيا السياسية، منظور معاصر، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1989، ص 589 .

أنه لا يحق لأي دولة أن تسيطر على البحر المفتوح ، وإن كان قد ظهر من يعارضه في إنجلترا وهو القاضي الإنجليزي جون سيلدن John Selden الذي كان من رأيه أن إنجلترا " تملك" البحار التي تحيط بالجزر البريطانية وتفصلها عن أوروبا. ولكن ما لبثت أن تعددت الآراء المتعلقة بحق السيطرة على بحار العالم، وقد شهد مطلع القرن الثامن عشر وعلى وجه التحديد عام 1702 م بداية ظهور الفكرة التي تبناها القانون الدولي للبحار بعد ذلك والتي تحدد مدي المياه الإقليمية ، حيث ظهر للمؤلف فان بنكرشوك Van Bynkershoek في رسالة له عنوانها السيطرة البحرية De Dominio Maris وقد ذكر في هذه الرسالة أنه إذا كان البحر يعتبر ملكية عامة للجميع، فإن السيطرة على البحار المجاورة تكون منطقية إذا اتفقت مع مدى مرمى قذيفة المدفع وتخضع لسيطرة أولئك الذين يملكون الساحل[1].

نطاقات المياه البحرية:

تنتهي سيادة الدولة عند حدود مياهها الإقليمية، ولكن مع هذا فلا زالت الدول تمارس بعض السيادة خارج هذا النطاق، ومن ثم يمكن تمييز خمس نطاقات ابتداء من اليابس إلى داخل البحر. وهي:

1- المياه الداخلية Internal Waters :

وهي عبارة عن المياه الواقعة بين خط الأساس Base Line وخط الساحل ، وهي تقع جميعا داخل خط الأساسي الذي تبدأ بعده المياه الإقليمية . وتشمل المياه الداخلية : الخلجان ومصبات الأنهار والبحيرات الساحلية Lagoons ، والمرافئ، وتكون سيادة الدولة فيها كاملة.

(1) أحمد على إسماعيل: الجغرافيا العامة، مرجع سبق ذكره، ص 179 .

2- المياه الإقليمية[1] Territorial Waters :

يطلق تعبير المياه الإقليمية على شريط من مياه البحر يمتد ملاصقًا ومحاذيًا لساحل الدولة ويمتد بين المياه الداخلية وأعالي البحار.

ولا تتفق الأراء ولا سياسات الدول على مدى اتساع البحر الإقليمي، كما أن العرف الدولي قد تطور في هذا الخصوص ففي أوائل القرن التاسع عشر اتجه الفقه الدولى إلى قصر البحر الإقليمي على ذلك الجزء من البحار العامة الذي تستطيع الدولة حمايته بواسطة المدافع التي تضعها على شواطئها، ولما كان أبعد مرمى للمدافع في ذلك العصر هو ثلاثة أميال بحرية[2] فقط استقر الأمر على تحديد البحر الإقليمي بهذا المدى. ومع التطورات وجدت الدول أن الأميال الثلاثة لا تكفي لتحقيق مصالحها وأمنها ولذلك فقد اتجهت بعض الدول إلى تحديد بحرها الإقليمي بما لا يجاوز ستة أميال، واتجه بعضها الآخر إلى تحديده بما يزيد على ستة أميال[3] ونتيجة لاختلاف الدول على هذا التحديد فقد عقدت الأمم المتحدة مؤتمرًا عامًا في جنيف سنة 1958 م لبحث مشكلة المياه الإقليمية، ولكن الدول لم تتفق فيما بينها اتفاقًا على تحديد اتساع المنطقة التي تشملها هذه المياه ؛ لأن بعض الدول ترى من مصلحتها أن توسع هذه المنطقة إلى أقصى حد ممكن، بينما ترى دول أخرى أن من مصلحتها تضييق هذه المنطقة ؛ لأن اتساعها قد يحرمها من بعض المصالح في المياه القريبة من سواحل دول أخرى.

(1) يعبر البعض عن المياه الإقليمية فيما يعرف بالبحر الإقليمي أو الساحل .
راجع: أحمد عطية الله : القاموس السياسي، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة 1968 ، ص 184.

(2) الميل البحري يساوي: 1850 مترًا .

(3) موسوعة السياسة، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990 ، ص 496.

وقد أخذت مصر بأن أقصى اتساع للمياه الإقليمية الخاصة بها هو اثنا عشر ميلًا داخل البحر، وقد أخذت الصين بهذا التحديد كما أخذت به دول أخرى مثل العراق والمملكة العربية السعودية وليبيا وإيران وأثيوبيا وإندونيسيا والاتحاد السوفيتي السابق . وحدد القانون الدولي لعام 1949 هذا الاتساع بعشرين كيلو مترًا.

وقد أخذت دول غرب أوروبا مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا أو بلجيكا بالمبدأ التقليدي الذي يحدد المياه الإقليمية بثلاثة أميال[1].

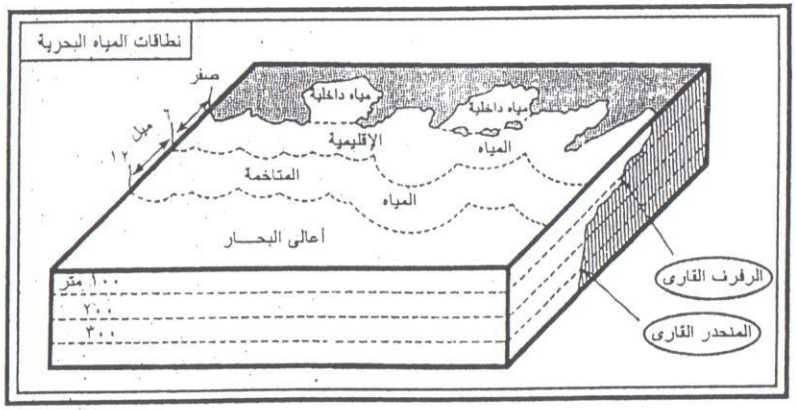

شكل (15)

(1) عبد العزيز طريح شرف، مرجع سبق ذكره، ص ص 122 – 123 .

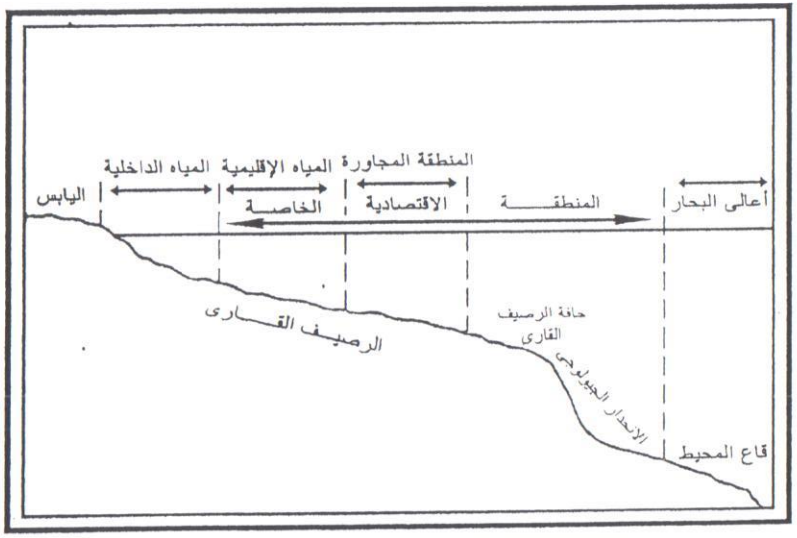

شكل (16) : مقطع جانبي لأقسام المياه

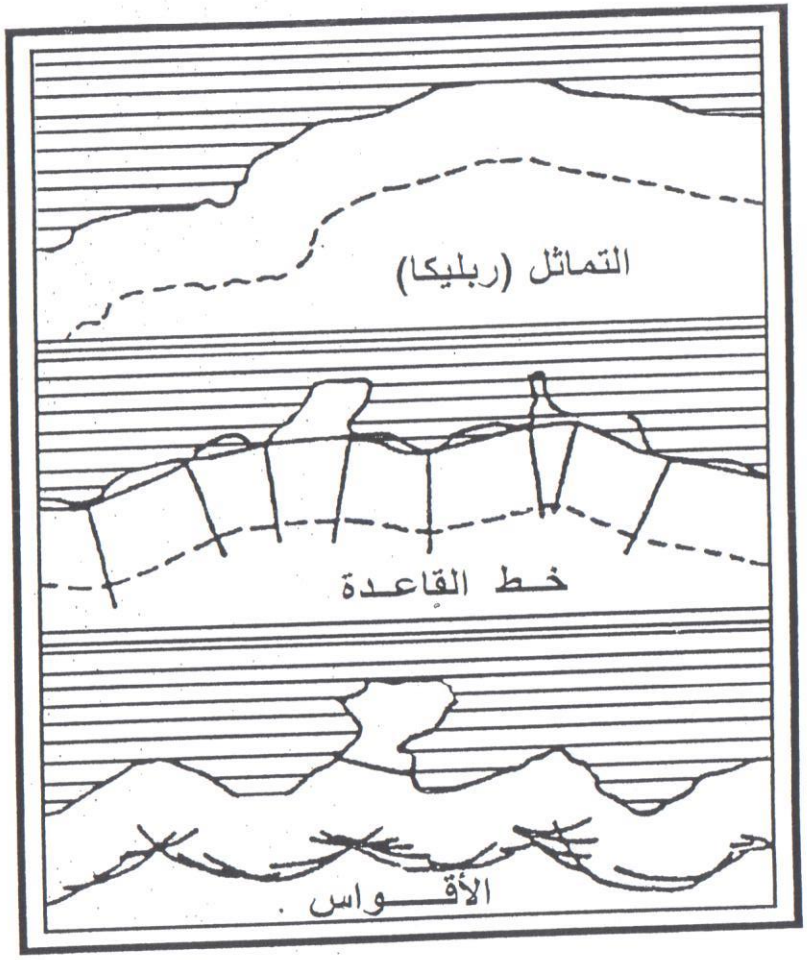

شكل (17) : طرق قياس المياه الإقليمية

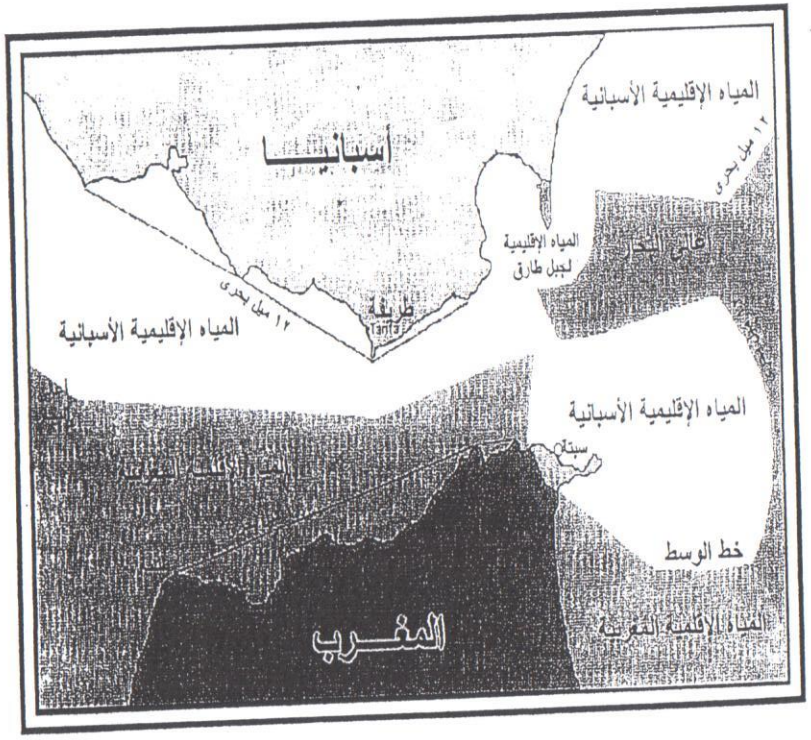

شكل (18) : المياه الإقليمية المغربية والأسبانية

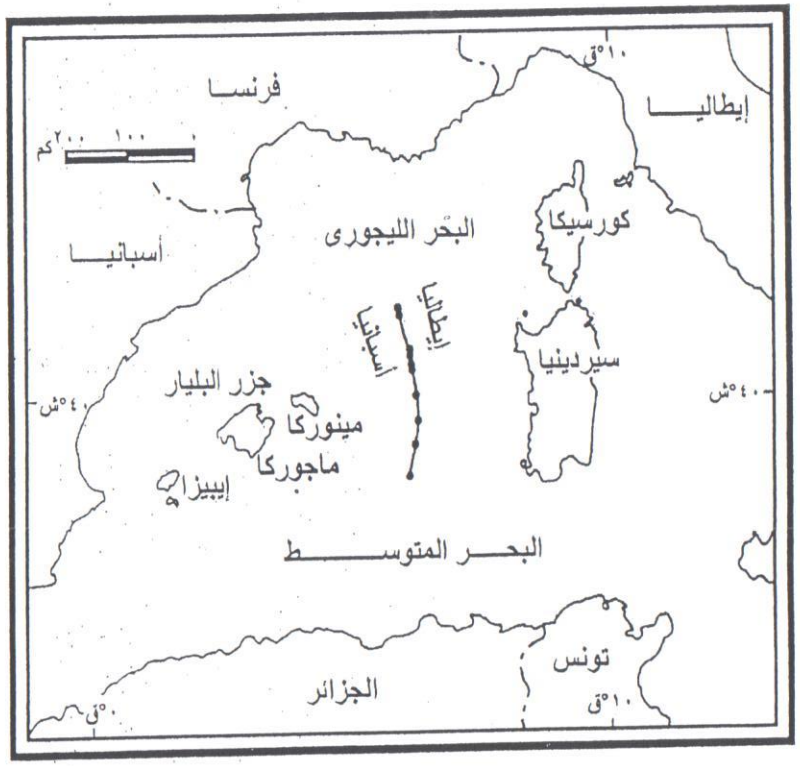

شكل (19) : الحدود البحرية بين إيطاليا وأسبانيا

والواقع أن بعض الدول لا يقر بعرف دولي حول المياه الإقليمية، ولم يحسم هذا الأمر بعد. إذا أن أيسلندا على سبيل المثال وسعت مياهها الإقليمية إلى 70 ميلًا كما وسعت المغرب مياهها الإقليمية إلى 70 ميلا، وبعض دول ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير بـ 200 ميل[1] كدول أمريكا اللاتينية مثل شيلي وبيرو وأكوادور، وكولومبيا والأرجنتين ، وقد أدي ذلك إلى نزاعات تلك الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في مجال الصيد ؛ إذ أن أساطيل الصيد الأمريكية تتجاهل ما تصرح به تلك الدول حول مياهها الإقليمية، وتعتبرها مياها دولية يحق لها الصيد فيها بحرية تامة.

ولا شك في أن معضلة المياه الإقليمية باتت مسألة دولية هامة تنتظر إيجاد الحل المناسب داخل الأسرة الدولية ، وهذا ما دفع الأمم المتحدة إلى تنظيم مؤتمر دولي لقانون البحار، نتج عنه تحديد اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار في عام 1982 م التي تضمنت مواد خاصة بالمياه الإقليمية، وبالمنطقة الملاصقة، وبالمنطقة الاقتصادية الحصرية على النحو التالي[2] :

أ- يحدد عرض المياه الإقليمية باثني عشر ميلا بحريًا بدءًا من خط الأساس (مادة 3) وخط الأساس هو عند أقصى الجزر على طول الشاطئ كما قضت اتفاقيات جنيف لعام 1958م ، واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار في عام 1982م.

ب- بعد المياه الإقليمية، تبدأ منطقة ملاصقة تمارس فيها الدولة صلاحيات وظيفية، وهي لا تتعدى مساحة أربعة وعشرين ميلا بحريًا بما فيها عرض المياه الإقليمية (مادة 33).

(1) الدول التي اعتمدت مسافة 200 ميلا بحريًا هي: بيرو – السلفادور- أورجواي- بنما- نيكارجوا- الصومال- ليبيريا - - البرازيل – بنين – الكنغو الديمقراطية- والإكوادور .

(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص ص 56 – 57 .

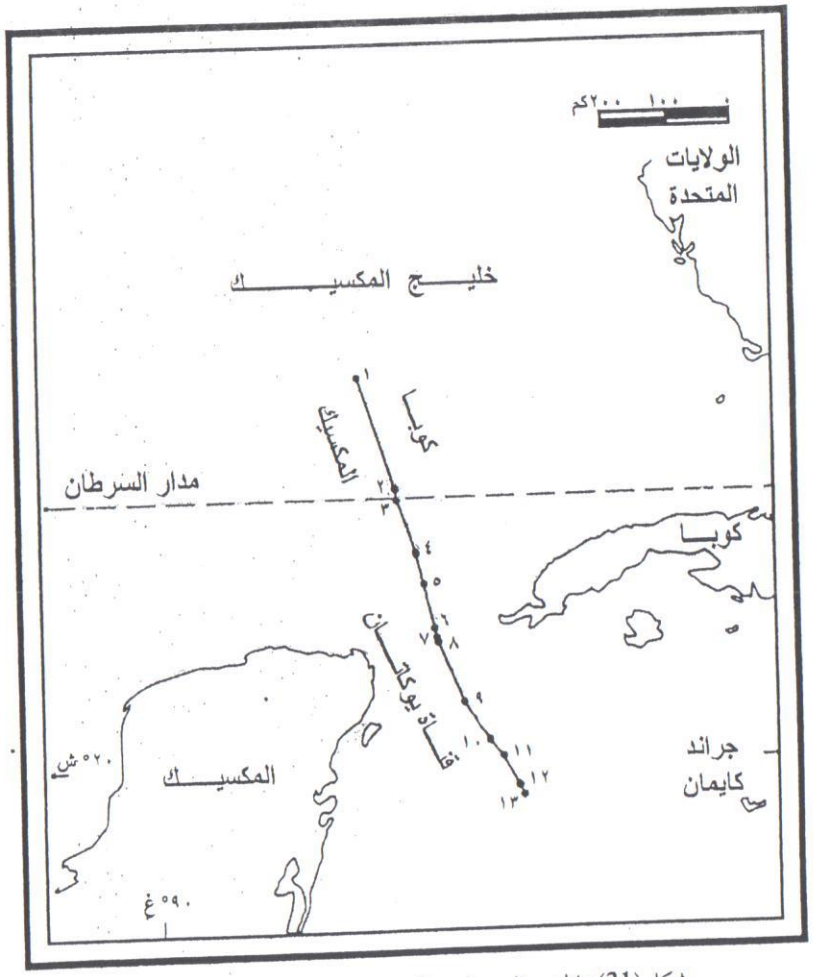

شكل (21) : الحدود البحرية بين المكسيك والولايات المتحدة الإمريكية

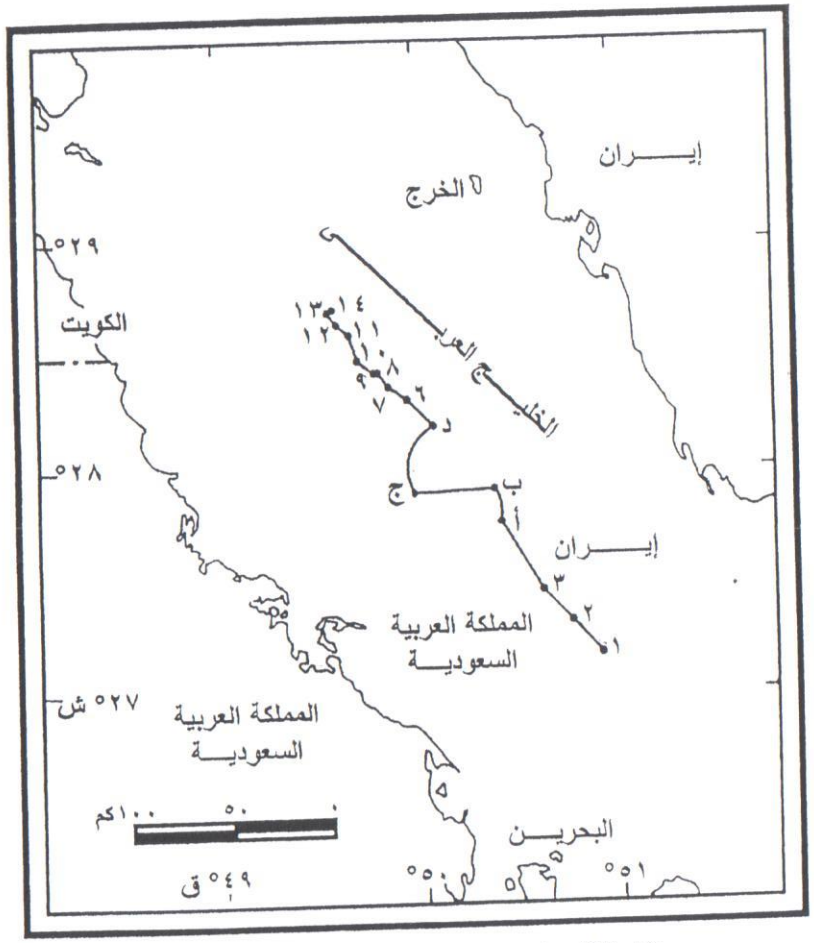

شكل (21) : الحدود البحرية بين المملكة العربية السعودية وإيران

جـ - المنطقة الاقتصادية الحرة، يمكن أن تمتد مسافة مئتي ميلا بحريًّا اعتبارًا من خط الأساس الذي يحسب منه عرض المياه الإقليمية، وحيث تمارس الدولة حقوق السيادة لغايات علمية واقتصادية (مادة 57).

لم تتمكن اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار من توحيد المواقف الدولية حيال مسألة المياه الإقليمية ؛ نظرًا لارتباطها بحقوق السيادة والمصالح الإقليمية والتنافس الدولي وبقي عرض المياه الإقليمية متراوحًا بين ثلاثة أميال ومئتي ميل بحري تبعًا لمواقف الدول ومصالحها.

وتجدر الإشارة إلى أن تعريف القانون الدولي استقر على حق المرور البرئ، الذي يقضى بأن السفن التابعة لدول أخرى لها الحق في أن تعبر المياه الإقليمية للدولة ما دام عبورا يتسم بالبراءة، ولا ينطوي على أضرار أو إهانة للدولة صاحبة المياه الإقليمية التي تمر بها.

3- المياه الملاصقة : contiguous Waters

وهذه يختلف اتساعها من دولة إلى أخرى أيضًا ويمكن للدولة أن تمارس فيها حق تفتيش السفن التي تشك في أنها تعمل بالتهريب، كما تمارس فيها إجراءاتها الصحية، وتمنع الهجرة غير المشروعة ، وقد تمتد بمياه الصيد واستغلال المعادن إليها[1] . وفيما عدا هذه الحقوق فليس لتلك الدولة سلطة قضائية في المنطقة المجاورة ، وذلك على اعتبار أن مياه هذه المنطقة جزء من أعالي البحار، ولا تملك أي دولة السيادة عليها وتتعين حدود المنطقة المجاورة على أي حال باثنتي عشر ميلا من الشاطئ، وإذا رأت الدولة الساحلية أن اتساع مياهها الإقليمية هو اثنا عشر ميلا (كالاتحاد السوفيتي) فلا يكون لها منطقة مجاورة إضافية بعد مياهها الإقليمية حينذاك.

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 146 .

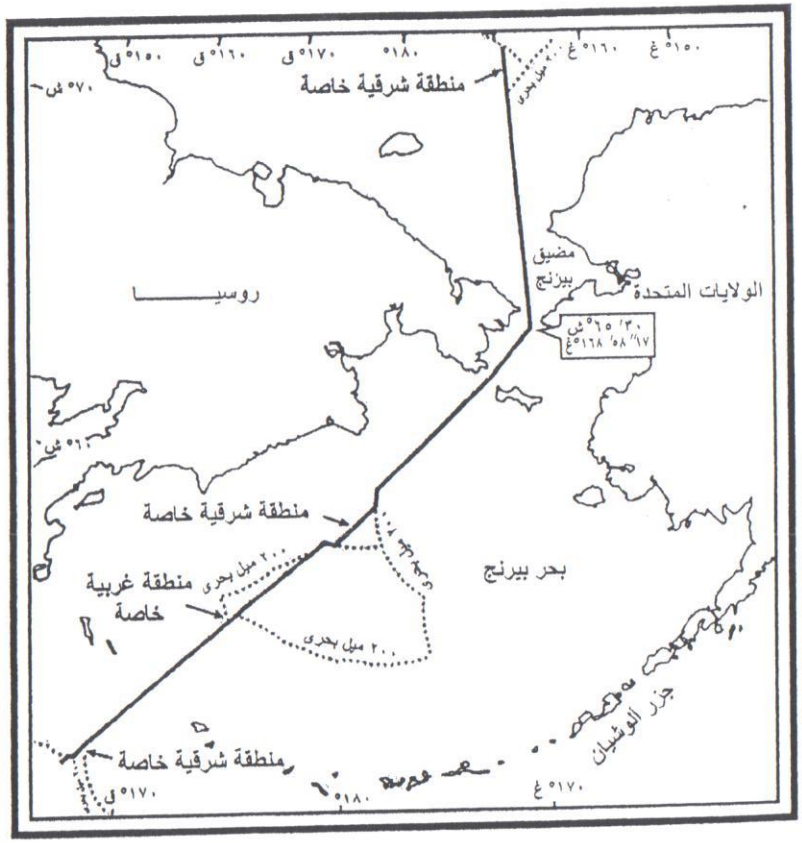

شكل (22) : الحدود البحرية بين الولايات المتحدة الإمريكية وروسيا

4- المنطقة المحايدة : Diffusion Zone

يطلق عليها البعض اسم الرصيف القاري، وهذه المنطقة تطالب كثير من الدول فيها بحقوق من طرف واحد بالنسبة للسيطرة على مصايد الأسماك وفي شؤون الأمن بها، فدولة بيرو مثلاً تدعي منطقة خاصة لمصايدها يبلغ عرضها 200 ميل من الساحل، وكذلك الحال بالنسبة لشيلي وإكوادور وكوستاريكا، أما الأرجنتين فقد أعلنت في سنة 1946 م أن سيادتها تمتد على كل مياه الرصيف القاري الملاصق لسواحلها وتشمل هذه المنطقة جزر فوكلاند التي تبعد 280 ميلا عن الساحل، وفيما يتعلق بمسائل الأمن وتحديد مناطقها فإن أوضح الأمثلة على ذلك هو اتفاق وزراء خارجية الجمهوريات الأمريكية سنة 1939 م على أن تتسع المناطق الساحلية في غرب الأطلنطي لمسافة 300 ميل من الساحل كحد أدنى. وفي داخل هذه المنطقة تمنع كل الأعمال العدائية من جانب سفن الدول المتحاربة التي يمكن أن تهدد نصف الكرة الغربي ، وعلى أي حال فإن القانون الدولي لا يعترف بالمناطق المحايدة هذه وهي قائمة فقط من خلال سيطرة الدول الساحلية[1].

5- أعالي البحار: Over seas

وهي المنطقة التي تشكل معظم المسطحات المائية للبحار والمحيطات، ويكون للسفن من كل دول العالم ومن مختلف الجنسيات، حق المرور في مناطق أعالي البحار دون اعتراض، ولا تملك أي دولة سلطة سياسية على أعالي البحار أو البحار المفتوحة.

وتجدر الإشارة إلى أن المساحات المائية التي تمثل أعالي البحار هي الأجزاء الوحيدة من سطح الكرة الأرضية ، التي لا تخضع لسلطة سياسية من أي نوع ولا تدخل ضمن سيادة أو مجال أي دولة.

(1) فتحي أبو عيانه: الجغرافيا السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985 ، ص ص 163 – 164 .

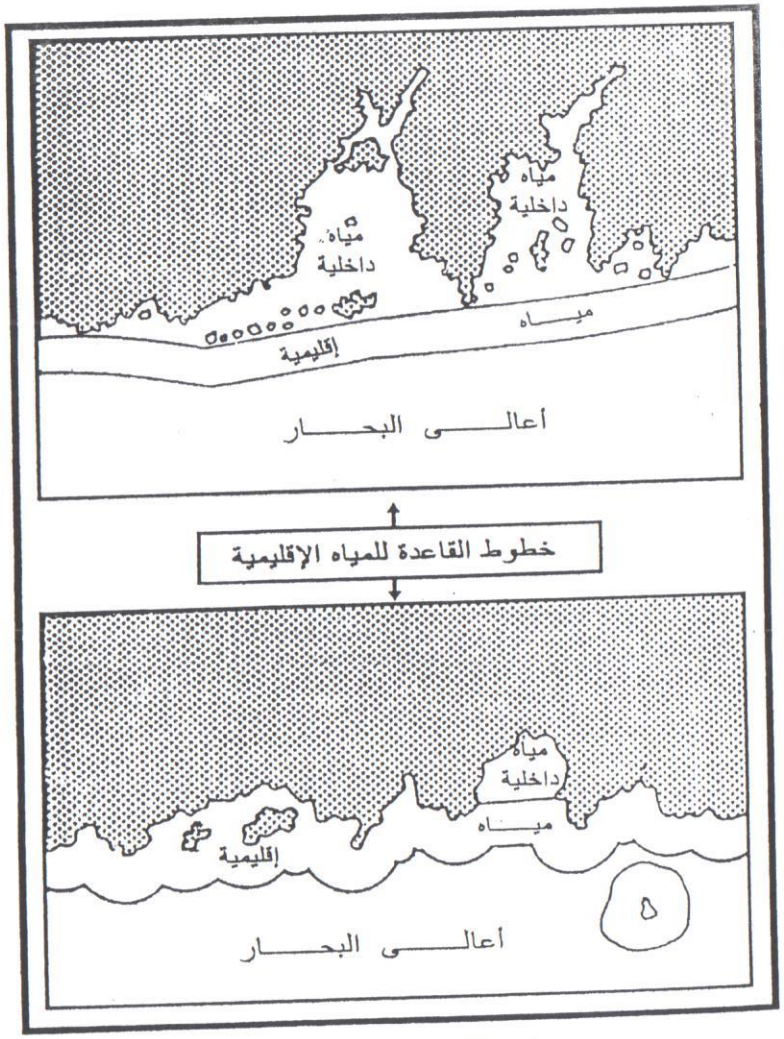

شكل (23) : خطوط القاعدة للمياه الإقليمية

بتصرف عن: محمد عبد الغني سعودي

وظائف المياه الإقليمية:

تتعدد وظائف المياه الإقليمية وأهم هذه الوظائف هي :

أ ـ الدفاع: كان الدفاع وما يزال أهم وظيفة للمياه الإقليمية فالدولة لها حق تفتيش السفن الغريبة ومنع سفن الأعداء من الاقتراب منها، بل لها حق إقامة أعمال دفاعية في البحر كزرع الألغام مثلا وهذه كانت وسائل الدفاع سابقا.

ب ـ مكافحة التهريب: التهريب عملية قديمة عرفتها جميع الشعوب منذ أن ظهرت قوانين لتنظيم التجارة، وقد قامت العديد من المواجهات العسكرية بين الحكومات والمهربين. لذلك من ضمن الأسباب التي استندت إليها الدول في السيادة الإقليمية هو منع التهريب، فقد أقر البرلمان البريطاني حق السفن البريطانية في تفتيش أي سفن غريبة تحوم حول البلاد لمسافة 6 أميال من الشاطئ، ثم امتد هذا الحق فيما بعد إلى 12 ميلا حتى وصل إلى 300 ميل من الشاطئ، وهذا فيه مبالغة بطبيعة الحال[1].

جـ ـ حماية وتنمية صيد الأسماك: يحتوي البحر على موردين اقتصاديين على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لسكان المناطق الساحلية وهي الأسماك والمعادن الموجودة في القاع.

وعندما كانت سفن الصيد صغيرة وغير قادرة على القيام برحلات الصيد الطويلة فإن ممارسة حقوق الصيد أو حمايتها لم تكن أمرًا يذكر. ولكن حينما تغير الوضع نتيجة للطلب المتزايد على الأسماك كمصدر للغذاء، فقد أدي ذلك إلى استخدام سفن الصيد المحيطية الكبيرة، وبالتالي إلى وضع حدود وضوابط لهذا النشاط. وبالرغم من أن بعض الدول كانت تدعي لمواطنيها الحق المطلق في صيد

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص ص 143 - 144 .

الأسماك في مياهها الإقليمية في العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة فإن مسألة حقوق الصيد لم تأخذ الصفة القانونية إلا منذ القرن الماضي، حيث أصبح من حق الدول دون منازع أن تمارس الصيد في بحرها الإقليمي الذي تبسط عليه سيادتها، وأصبح الصيادون الذين يزاولون الصيد في مياه إقليمية بدولة أخرى عرضة للاعتقال والمحاكمة[1].

وقد ادعت بعض الدول الساحلية في السنوات الأخيرة سيطرتها على منطقة أخرى مجاورة لبحرها الإقليمي للتحكم في المصايد بها وكان هناك سببان لهذه المطالبات:

الأول: حماية حرفة الصيد بهذه الدول. **والثاني:** منع الإسراف في صيد أنواع معينة من الأسماك مما يؤدي إلى انقراضها. وبذلك تم استبعاد الصيادين اليابانيين من بحر أوختسك بعد الحرب العالمية الثانية ، على الرغم من أنه بحر دولي ؛ لأن الأرض السوفيتية تحيط به تقريبًا من جميع سواحله[2].

وهناك دول قليلة تعتمد بشكل رئيسي على مصايد الأسماك وعلى رأس هذه الدول أيسلندا ؛ إذ يساهم الصيد بحوالي 15٪ من جملة إنتاجها القومي، وتكون الأسماك والمنتجات السمكية أكثر من 90 ٪ من قيمة صادراتها، وقد ادعت الحكومة الأيسلندية في السنوات الأخيرة أن المياه المحيطة بها قد استنزفت مصايدها وإن فقر هذه المصايد يمثل كارثة حقيقية خطيرة تهدد اقتصاد أيسلندا. ولهذا خول البرلمان الأيسلندي الحكومة السلطة في توسيع نطاق الصيد حتى نهاية الرصيف القاري. ومع ذلك لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، ففي سنة 1952 م وسعت أيسلندا نطاق صيدها إلى مسافة 4 أميال من خط الأساس ، ثم إلى 6 أميال بحرية، ثم إلى 12 ميلا بحريًا عام 1965م ، ثم إلى 50 ميلا بحريا عام 1972م ، وأخيرًا إلى 200 ميل بحري عام 1974م ، وكان من أثر ذلك حدوث نزاع على حقوق الصيد في هذه البحار بين

(1) أمين عبد الله، مرجع سبق كره، ص ص 214 - 215 .

(2) محمد محمود الديب، مرجع سبق ذكره، ص 591 .

أيسلندا وبريطانيا، حيث إن كثيرًا من سفن الصيد البريطانية والألمانية وغيرها من شمال غرب أوروبا يرتاد المياه الأيسلندية، وأن نحو 13٪ من إنتاج الأسماك في شمال غرب أوروبا يأتي من تلك المناطق[1].

د - الكارنتينا (الحجر الصحي) والمراقبة الصحية:

يتم في الوقت الحاضر فحص السفن ومراقبتها صحيًا قبل دخولها المياه الإقليمية. فجميع السفن وعلى الأخص ناقلات البترول والتي يتخلف عنها قدرٌ لا يستهان به من النفايات والفضلات الضارة التي تلقي بها في البحر فتصبح مصدرًا للتلوث. وتعتبر مخلفات الزيت من الناقلات أكثر هذه المصادر خطرًا للتلوث ؛ إذ ينجم عنها تكوين طبقة من الزيت تغطي مئات الأميال المربعة من البحر أو المحيط مما يؤدي إلى قتل الحياة البحرية والطيور وجميع الأحياء التي تقترب من منطقة التلوث. وكثيرًا ما يحدث هذا التلوث من حوادث غرق الناقلات أو جنوحها - أو من تسرب الزيت من الآبار القريبة من الشواطئ. كذلك من الأهمية بمكان أن يفحص الأفراد القادمون والسلع المستوردة قبل دخول السفن إلى البحر الإقليمي حماية للبلاد من العدوى[2].

2- الحدود الهندسية:

تضم الحدود الهندسية[3] عددًا من الأشكال الفرعية وهي:

1- الحدود الفلكية وهي التي تتفق إما مع خطوط الطول وتتجه من الشمال إلى الجنوب ، وإما مع دوائر العرض فتأخذ اتجاها من الشرق إلى الغرب.

2- الحدود التي تأخذ شكل خطوط مستقيمة أو دوائر لا تتفق مع أي خط من الخطوط الفلكية، وقد تأخذ زوايا معينة على هذه الخطوط.

(1) محمد عبد الغني سعودي، مرجع سبق ذكره، ص 145 .
(2) أمين عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 216 .
(3) يطلق بعض الجغرافيين على هذا النوع من الحدود اسم الحدود الوهمية ؛ لأنها واقعة على خرائط في شكل خطوط طول ودوائر عرض ، وكلاهما خطوط وهمية لا أساس لها من الوجود إلا على الخرائط فقط.

3- الحدود التي تمتد موازية أو على مسافات متساوية من أحد الأنهار أو السواحل ومعني هذا أنها تربط بخط طبيعي ولكنها لا تلتزمه. وبصفة عامة فإن الحدود الهندسية بأنواعها المختلفة لا تستند إلى أي أساس طبيعي أو بشري أو تاريخي ، بل تكون نتيجة للاتفاقيات والمعاهدات والمؤتمرات الدولية، ولابد من توقيعها على خرائط دقيقة وتعتمد من الأطراف ذات الشأن.

وتنتشر الحدود الفلكية في المناطق التي تعرضت للاستعمار في معظم الأحيان ، ولذلك فإن معظمها يوجد خارج القارة الأوروبية التي رسمت شعوبها خلال مرحلة الاستعمار معظم الحدود السياسية لبقية قارات العالم.

وأهم نماذج الحدود الفلكية في العالم:

- الحدود المصرية السودانية التي تتفق مع خط عرض 22 ° شمالًا .
- أشهر الحدود الفلكية في العالم الجديد هي الحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية والتي تتمشي مع دائرة عرض 49 ° شمالًا ، والذي يمتد إلى الغرب من البحيرات العظمي على محور عام من الشرق إلى الغرب ، وتعد هذه الحدود أطول حدود هندسية في العالم ، حيث يبلغ طولها نحو 2000 كيلومتر.
- الحدود المصرية الليبية والتي تتفق مع خط طول 25 ° شرقًا.
- الحدود بين كوريا الشمالية والجنوبية والتي تسير مع خط عرض 38 ° شمالًا.
- الحدود بين فيتنام الشمالية والجنوبية والتي تسير مع خط عرض 17 ° شمالًا.

أما بالنسبة للحدود التي تسير على مسافات وأبعاد متساوية من مجري أحد الأنهار أو من خط الساحل ، فإن أكثرها شهرة هو حدود جامبيا في غرب أفريقيا فحدود هذه الدولة تسير على بعد 10 كيلو متر على جانبي نهر السنغال فيما عدا الغرب ، حيث تصبح الحدود خطوطًا هندسية مستقيمة ليست موازية لمجرى النهر[1].

(1) أحمد على إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص ص 183 - 185 .

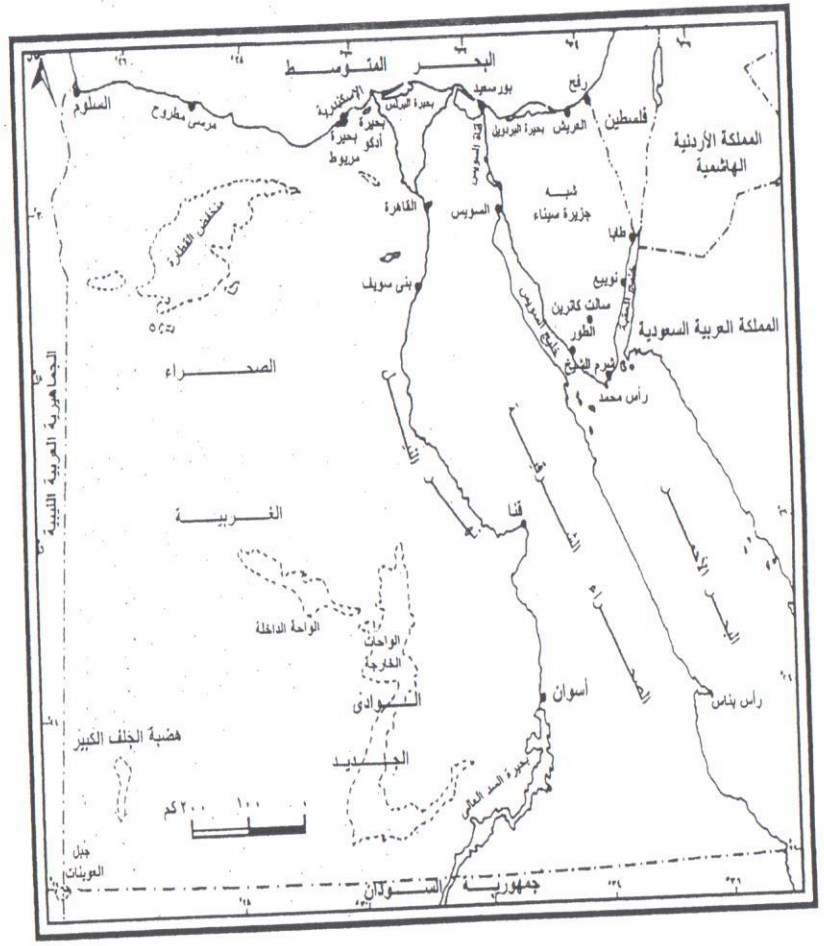

شكل (24) : الحدود السياسية الهندسية والفلكية لمصر

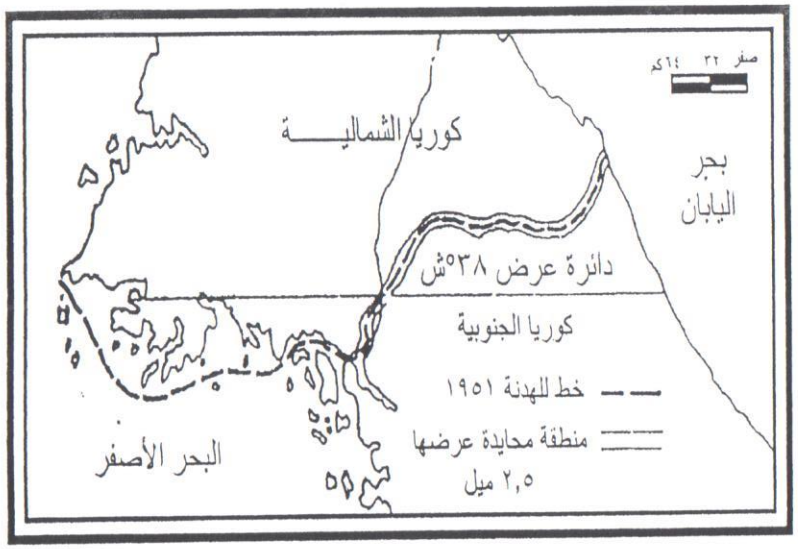

شكل (25) : الحدود الفلكية بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية

أما الخطوط التي تتبع فيها الحدود السياسية مسافات متساوية من خط الساحل فإنها كثيرًا ما تكون بالغة التعقيد ومنها بعض حدود ألاسكا.

وتجدر الإشارة إلى أن الاحتفاظ بالحدود الهندسية يحدث على الدوام حينما تحدث واحدة أو أكثر من الأمور التالية[1] :

أ - افتقار المنطقة الحدية للقيمة الاقتصادية أو الإستراتيجية.

ب- رفض الدول التي تفصلها الحدود لأي نوع من التقارب.

جـ- فصل الحدود للممتلكات الاستعمارية لقوة واحدة.

(1) محمد مرسي الحريري: دراسات في الجغرافيا السياسية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1988، ص 334 .

د- إذا كان لدي الدول اهتمامات أكثر بتطوير أجزاء أخري من المنطقة تفوق منطقة الحدود.

3- الحدود الأثنوجرافية:

تتمشي الحدود الأثنوجرافية[1] مع التقسيمات العرقية وتوزيع القوميات في خريطة العالم السياسية، وهي تفصل الشعوب على أساس عوامل معينة مثل اللغة والدين والقومية والسلالة ، وإذا وضعت الحدود بدقة فإنها تقلل من فرص الاحتكاك بين الدول ؛ لأن كل إقليم سيضم داخل حدوده مجموعته البشرية الخاصة، على أن الحدود العرقية غالبًا ما تكون صعبة التحديد وخاصة إذا كانت المجموعة المتنوعة قد استوطنت منطقة حدود معينة فترة زمنية طويلة. وقد أعيد رسم كثير من الحدود السياسية في وسط وشرق أوروبا بعد الحرب العالمية الأولي وذلك حتى يمكن فصل المجموعات العرقية غير المتشابهة بقدر الإمكان[2].

وقد حدث هذا فيما بين اليونان وتركيا عندما تم تبادل سكان منطقة تراقيا، كذلك الحال بين الهند وباكستان عندما تمت مبادلة السكان من المسلمين والهندوس بينهما.

وهذا النوع من الحدود غير شائع على الخريطة السياسية للعالم نظرًا لاختلاط وتداخل الشعوب بحيث يصعب الفصل بينهما وتوجد هذه الحدود بين تركيا وسوريا وبين العراق وإيران وبين الصين والهند.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الحدود أفضل أنواع الحدود جميعًا، ذلك أنها تفصل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر.

وقد اقترنت الحدود السياسية غير الطبيعية (الاصطناعية) – خاصة في العالم الثالث- بعدد من المشكلات السكانية والاقتصادية المعقدة، هذه التي أنهكت

(1) يعبر البعض عن هذه الحدود أحيانًا فيما يعرف باسم الحدود البشرية .

(2) فتحي أبو عيانه، مرجع سبق ذكره، ص ص 153 – 154 .

العديد من دوله بعد استقلالها، وذلك نظرًا لما تستند عليه من مكونات إقليمية ممزقة تفتقر للتكامل، فضلا عن إثارتها لأسباب النزاع بين الدول المتجاورة. وتعاني قارة أفريقيا من مثل هذه المشاكل أكثر من غيرها ليس فقط ؛ لأن الحدود غير الطبيعية تتمثل في أكثر من ثلث أطوال حدودها، بل أيضًا لرسوخ النظم القبلية والرعوية في أنحائها[1].

4- الحدود المدولة:

ظهر نوع جديد من الحدود السياسية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وهي الحدود المدولة[2] وهي عبارة عن حدود ذات طبيعة قانونية مؤقتة تفصل بين القوات المتحاربة بموجب اتفاق ينص على تجديد فترة هدنة. والغرض من الهدنة هو وقف العمليات الحربية مع الإبقاء على حالة الحرب ؛ أي أن الهدنة إجراء عسكري سياسي. ويرتبط الحفاظ على استمرار السلام في مناطق الحدود هذه بوجود قوات دولية من قبل منظمة الأمم المتحدة لفترات محددة تقتضيها ظروف كل منطقة. ومن أهم نماذج هذه الحدود المؤقتة التي تفصل بين إسرائيل وجارتها من الدول العربية بموجب اتفاقيات الهدنة الموقعة عام 1949م[3].

(1) عمر الفاروق سيد رجب: قوة الدولة، دراسة جيو ستراتيجية، مكتبة مدبولي، القاهرة 1992 ، ص ص 165 – 166.

(2) يطلق بعض الجغرافيين على هذا النوع من الحدود اسم : خطوط الهدنة .

(3) قامت حرب بين لبنان وإسرائيل، وقامت إسرائيل بتدمير البنية التحتية لدولة لبنان ، وقتلت وشردت الآلاف من السكان، وبعد انتهاء الحرب تدخلت هيئة الأمم المتحدة ونشرت قوات تابعة لها تعرف بقوات اليونيفيل على خط الحدود ، والذي يعرف بالخط الأخضر للفصل بين لبنان وإسرائيل المحتلة لدولة فلسطين.

الفصل الرابع

المقومات الجغرافية الطبيعية للدولة

المقومات الطبيعية للدولة

تختص الجغرافيا السياسية بدراسة الدولة فتحدد الارتباط بين الأرض وبين الدولة، ثم بين الدولة وبين غيرهما من الدول. وتتوقف صورة الأرض التي تشغلها على موقعها ومساحتها ومواردها الاقتصادية، بينما تتوقف صورة الدولة على الناس من حيث آرائهم وقدرتهم على العمل ودوافعهم الجماعية. فالموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية والحضارة الموروثة والكفاءة السياسية، كل هذه عوامل تتحكم في مجريات الحوادث في كل إقليم من الأقاليم وفي كل أمة من الأمم.

ويوجد في عالمنا المعاصر أكثر من 232 دولة[1]، لكن هذه الدول تختلف في درجة قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، كما تختلف أوزان هذه الدول من حيث الموارد والمساحة وعدد السكان، ومع ذلك فإن هذه الدول متساوية كلها من حيث مشروعية الوجود أمام القانون الدولي، وهي متساوية من حيث الحقوق والمسئوليات برغم اختلاف مراتبها من حيث القوة.

تعد الدولة المكون الأساسي للنمط الرئيسي العالمي، كما أنها تعد وحدة جغرافية سياسية ذات تركيب متعدد الملامح يجعلها ظاهرة فريدة بالنظر إلى مكوناتها الطبيعية التي تتمثل في مجالها الأرضي وفي العلاقات المترتبة على شغل الإنسان لهذا المجال الأرضي لتلك الدولة ذات الحدود السياسية الواضحة والعلاقات القائمة بين تلك الدولة والمناطق السياسية الأخرى في العالم.

ويمكن تقسيم الأسس الجغرافية المؤثرة والمحددة للتركيب السياسي للدولة إلى مجموعتين هي: الأسس والمقومات الطبيعية، ثم الأسس والمقومات البشرية.

(1) بما فيها المستعمرات والتي يبلغ عددها نحو 39 مستعمرة.

ومن البديهي أن تختلف الدول فيما بينها في كل عنصر من هذه العناصر ، فبعض هذه الدول عملاقة المساحة والآخر قزمي.

كذلك فإن هناك دولًا غنية في مواردها الاقتصادية ولها القدرة على استغلال هذه الموارد، وأخرى تعاني من نقص واضح في هذه الموارد ولا تملك الإمكانيات في استغلالها مما ينعكس على اقتصادها الوطني المتواضع وتدني مستوى المعيشة لسكانها.

وتشمل هذه المقومات الخصائص الطبيعية للدولة، كل من الموقع والحجم والشكل والمناخ والنبات ومظاهر السطح.

وفيما يلي دراسة لهذه المقومات:

1- الموقع Location :

لم يعد الموقع الجغرافي للدولة مجرد أبعادٍ فلكية بين دوائر العرض وخطوط الطول، كما لم يعد مجرد قدر يفرض على الدولة مناخًا معينًا وحياة نباتية خاصة، بل أصبح أيضًا من مواردها الطبيعية القابلة للاستثمار. وهكذا أصبح للموقع الجغرافي أبعاده الاقتصادية أيضًا.

ولكل مكان أكثر من موقع، وتعدد المواقع يأتي نتيجة لوجود أكثر من نوع من المواقع، فهناك الموقع الفلكي والموقع البحري أو القاري، ثم الموقع النسبي، ولكل مكان في العالم هذه المواقع مجتمعة.

أ - الموقع الفلكي:

وهو الذي يحدد موقع الدولة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، وإذا كانت خطوط الطول أقل أهمية من خطوط العرض فيما يتعلق بثروة الأمم من حيث النشاط الاقتصادي ولاسيما الزراعة ؛ لأن امتداد الرقعة المكانية لأية دولة على عدد كبير من دوائر أو خطوط العرض، يعني تعددًا في الأقاليم المناخية ويؤثر ذلك

بدوره على غنى الحياة الطبيعية (الغابات) والحياة الزراعية أيضًا. إلا أن خطوط الطول أكثر أهمية من مجرد اختلاف التوقيت بين كل خط وآخر بأربعة دقائق ؛ لأن تعدد خطوط الطول في الدولة يعني بصورة أخرى امتدادًا مكانيًا أكبر، وقد يحمل ذلك في حد ذاته غني في بعض مصادر الثروة المعدنية، كما أن وجود دولة في منطقة معتدلة المناخ وتمتد طوليًا على رقعة كبيرة قد يكفل لها إنتاجًا زراعيًا وفيرًا أيضًا. وإذا كانت مراكز القوة الدولية في عالم اليوم ترتبط بالمنطقة المعتدلة الباردة وإلى حد ما بالمنطقة المعتدلة الدفيئة فإن مراكز القوة في العالم كانت في الماضي أكثر ارتباطًا بالمناخات الدفيئة والمدارية، ولعل ارتباط حضارات العالم القديمة بأودية الأنهار في كل من مصر والعراق والهند والصين يبين لنا أن الإنسان كان في حاجة إلى بيئة توفر له كلًا من الحماية الطبيعية التي تقترن بالعزلة النسبية والمناخ الذي يكفل قدرًا أكبر من الدفء ؛ لأن حيلة الإنسان لم تكن قد تقدمت بعد ولم يكن قد تقدم في مجال التكنولوجيا مما يكفل له التحرر النسبي من المناخ، وقد وفرت له البيئات السابق ذكرها في مصر والعراق والهند والصين مناخًا رطبًا طيبًا طول العام، بالإضافة إلى أن الصحاري قدمت سياجًا طبيعيًا يحمي الحضارات الوليدة [1] .

وعادة ما يعبر عن الموقع الفلكي بذكر خطوط الطول ودوائر العرض التي تعد أقصى امتداد مكاني للدولة في الاتجاهات الأربعة، وبذلك فإن موقع مصر الفلكي على سبيل المثال يتحدد بأنها تقع بين دائرتي عرض 21° ، 36′ 31° شمالًا وبين خطي طول 25° ، 37′ شرقًا. ولكن في أحيان أخرى يكتفي بذكر خط الطول وخط العرض لمركز الدولة الجغرافي وبذلك يصبح المركز الجغرافي لمصر هو خط طول 30° شرقًا وخط عرض 27° شمالًا وإن لم تكن هناك قيمة لهذا المركز الجغرافي فهو يقع في منطقة صحراوية غير مأهولة بالسكان بعيدًا عن المعمور المصري.

(1) أحمد علي إسماعيل: الجغرافيا العامة، مرجع سبق ذكره، ص 129.

ب - الموقع بالنسبة لليابس والماء:

وهو يتعلق بقارية الدول أو ببحريتها، والدولة البحرية هي التي يوجد لها اتصال مباشر بالبحر. أما الدول القارية فهي التي لا توجد لها منافذ تؤدى إلى البحر. والدول البحرية بعضها جزري لا يشترك في حدود برية مع جيرانها ولكنها دول بحرية من الطراز الأول ؛ لأن البحار تحيط بها ويكون ذلك عنصرًا رئيسيًّا من عناصر اهتمامها بالبحر مثل بريطانيا واليابان وأندونيسيا والفلبين، وبعضها يطل على بحر واحد مثل نيجيريا التي تطل على خليج غينيا ، والبرازيل التي تطل على المحيط الأطلنطي، والبعض الآخر يطل على بحرين مثل مصر التي تطل على البحر الأحمر من الشرق والبحر المتوسط من الشمال، والبعض الآخر تطل على ثلاث بحار مثل الهند التي تطل على المحيط الهندي من الجنوب والبحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق.

كذلك تختلف أهمية بعض الدول البحرية بعضها عن بعض فمثلًا لا يمكن مقارنة الموقع البحري لروسيا الاتحادية والولايات المتحدة، فروسيا الاتحادية تطل من الشمال على محيط متجمد هو المحيط القطبي الشمالي ونافذة ضيقة تطل على البحر البلطي وهو أيضًا متجمد في فصل الشتاء، وبذلك فإن منفذها الرئيسي هو المحيط الهادي وإن كان أكبر محيطات العالم إلا أنه لا يسهم في التجارة العالمية إلا بنحو 15٪. ومن ثم كانت سياسة الاتحاد السوفيتي التقليدية تتمثل في البحث عن منفذ على البحار الدفيئة، وهنا نجدها تواجه اليابان في الشرق الأقصى (ميناء فيلاديفستك على بحر اليابان) وتواجه تركيا في الغرب (موانئ البحر الأسود) ومن ثم يمكن اعتبار الاتحاد السوفيتي السابق قوة برية Continental أكثر منها بحرية[1].

(1) دولت صادق وآخرون: الجغرافيا السياسية، الأنجلو المصرية، القاهرة 1957، ص ص 47-48.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فتطل على أعظم محيطات العالم من الناحية الملاحية وهو المحيط الأطلنطي من الشرق والذي يستأثر بنحو ثلثي التجارة العالمية ويزيد من أهمية هذا المحيط وقوع دول أوروبا الغربية عليه، بالإضافة إلى الولايات المتحدة وكندا، كما تطل الولايات المتحدة على المحيط الهادي من الغرب وخليج المكسيك من الجنوب.

وتتحكم بعض الدول في المضايق البحرية بحيث يصبح المرور عبرها تحت رحمتها فبريطانيا تستطيع في أوقات الحرب أن تغلق بحر المانش من خلال أسطولها الحربي بمضيق دوفر، كما أن لها جبهة بحرية طولية على بحر الشمال. وتستطيع بريطانيا أيضًا أن تتحكم في حركة المرور في مضيق جبل طارق[1] ، والتي مازالت تسيطر عليه وتستطيع تركيا التحكم في مضيقي البورسفور والدردنيل، وتستطيع مصر التحكم في قناة السويس، وتستطيع بنما التحكم في قناة بنما التي تخترق أراضيها لتصل بين المحيطين الأطلنطي والهادي.

ولا تقتصر قيمة الموقع الجغرافي البحري على الناحية الإستراتيجية، حيث نجد أن بعض الدول ذات الموقع البحري يؤدي البحر أهمية في حياة سكانها ومواردها مثل النرويج التي تعتمد على الثروة السمكية من بحر الشمال، واليابان التي يعتمد جزء كبير من غذاء سكانها على صيد البحر من خلال مصايد المحيط الهادى.

وتشتق الجبهة البحرية أهميتها من أهمية ظهيرها Hinterland فجبهة يوغسلافيا على البحر الأدرياتى قليلة الأهمية ؛ لأن ساحل دالماشيا صخري جاف تنتشر به صخور الكارست الجيرية. كما أن أهم الجزر الساحلية التي قامت عليها الموانئ على البحر الأدرياتى إيطالية وليست يوغسلافية. والسواحل الصحراوية مثل سواحل

(1) قامت بريطانيا باحتلال هذا المضيق من أسبانيا، ومازالت تسيطر عليه رغم الاحتجاجات الأسبانية المستمرة.

ليبيا وتونس والجزائر على البحر المتوسط والسواحل المصرية على البحر الأحمر أقل أهمية من السواحل الغنية الخصبة.

والدول البرية هي الدول التي تقع كلها في مناطق قارية دون أن تكون لها سواحل، أو تطل على بحار وتسمى في هذه الحالة بالدول الداخلية أو الحبيسة Lockland states ويبلغ عدد الدول الحبيسة في العالم 39 دولة وهذه الدول موزعة على أربع من قارات العالم وهي موزعة على النحو التالي، منها عشر دول حبيسة في أوروبا وهي (جمهورية التشيك – أندورا- ، جمهورية سلوفاكيا، النمسا، المجر، سويسرا، لوكسمبورج ، ليختنشتين ، ومقدونيا، ومولدوفا)، وفي آسيا نجد اثنتي عشر دولة حبيسة وهي (أفغانستان، نيبال، لاوس، منغوليا، بوتان، طاجكستان، كازاخستان، تركمانستان، أذربيجان، قيرغيزستان، أوزبكستان، وأرمينيا)، وفي أمريكا الجنوبية نجد دولتين هما بوليفيا وباراجواى. أما في أفريقيا فيوجد بها 15 دولة حبيسة ، أكثر من نصف عدد الدول الحبيسة تقريبًا في العالم وهي (مالى، النيجر، بوركينا فاسو، تشاد، أفريقيا، الوسطى، أوغندا، زامبيا، زيمبابوي، ملاوي، بتسوانا، سوازيلاند، ليسوتو، رواندا، بورندى، وأثيوبيا)[1].

ويرجع السبب في كثرة الدول الحبيسة في أفريقيا إلى قلة تعاريج السواحل والتمزق السياسي الشديد الذي عانته قارة أفريقيا، وعلى الرغم من أن آسيا قليلة التعاريج الساحلية ومع ذلك فقد تحاشت البقايا الداخلية الكثيرة بفضل وحداتها السياسية الكبيرة الحجم.

وتعاني الدول الحبيسة أو الداخلية بوجه عام من كثير من المشكلات الاقتصادية، لعل أهمها تحكم الدول الساحلية في مصيرها، بل إنها أحيانًا تقع تحت رحمتها وخاصة بالنسبة للتجارة والنقل وعلاقتها مع الدول الخارجية، وقد تسعى

(1) تحولت أثيوبيا إلى دولة حبسية بعد استقلال إرتريا .

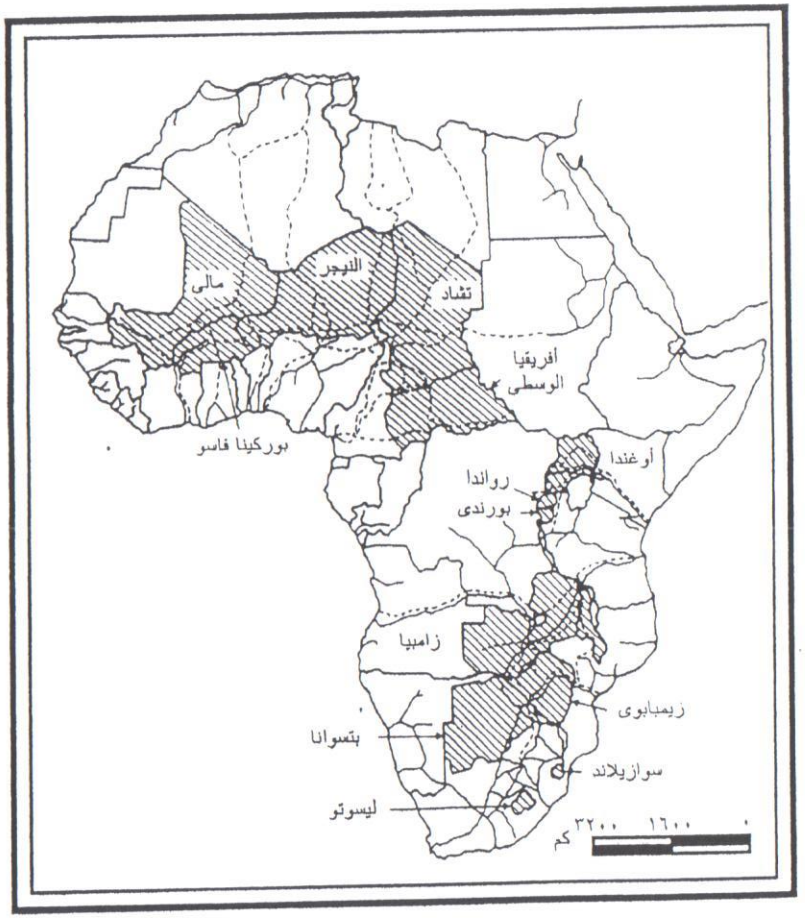

شكل (26) : الدول الحبيسة في قارة أفريقيا

After: Drysdale

الدول الداخلية إلى إقامة اتحاد جمركي واتحاد سياسي أو الوصول إلى البحر عن طريق ممرات من أرض الدول الساحلية غير أنه لو كانت الجبهة البحرية للدولة ممتازة ومناسبة جدًا للنشاط البحري وكانت حدودها البحرية تفوق البرية فإن مصالح الدولة ومناطق الجذب أو التوجيه الجغرافي Geographical Orientation لها قد يتجه بها نحو البر إذا ما توفرت عوامل الجذب في الأرض . ولا يلجأ الإنسان إلى البحر إلا إذا ضاق عليه البر ، ولم يمنحه الموارد التي يحتاج إليها، فسكان النرويج يولون وجهوهم نحو البحر ويعطون ظهورهم للبر، وسكان كثير من أجزاء بريطانيا وشمال غرب فرنسا يحذون حذوهم ، ولكن على العكس نجد أن عامل البر يتغلب في فرنسا رغم أن جبهاتها البحرية متعددة وممتازة ؛ لأن البر أكثر جاذبية فالتوجيه الجغرافي لفرنسا توجيه برى [1].

ووضع الدولة بالنسبة لجيرانها من الأمور التي تأخذ في الاعتبار لقياس مدى قارية الدولة من عدمها، حيث إن هذا الوضع هو الذي سيحدد أهمية الموقع الجغرافي للدولة وبصفة خاصة علاقة الدولة بمراكز الثقل الحضارية أو السياسية في العالم. فالدول الجزرية ليس لها جيران يشتركون معها في الحدود إلا إذا كانت الجزر مقسمة إلى أكثر من دولة ومن هذه الدول أندونسيا، وماليزيا، والفلبين مثلا، بينما يجاور الاتحاد السوفيتي السابق 13 جارا يشاركونه في الحدود السياسية وهي(الصين الشعبية، وكوريا الشمالية، وأفغانستان، ومنغوليا، وإيران، وتركيا) في آسيا. (وفنلندا، النرويج، بولندا، جمهورية التشيك، سلوفاكيا، رومانيا، والمجر) في أوروبا).

ومن المؤكد أن زيادة عدد الدول المجاورة تعني نظريًا على الأقل احتمالات أكبر للمشكلات وقابلية أكثر للاختراق في حالة الحرب، نظرًا لتعدد الجبهات

(1) محمد عبد الغنى سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص ص 20-21.

الحربية. وفي الحرب العالمية الثانية كان لألمانيا أحد عشر جارًا وكانت حدودها السياسية مع هذه الدول غير ثابتة أو مرضية، وبالإضافة لذلك فقد كان جزء منها وهو بروسيا الشرقية منفصلا عن بقية الكتلة الرئيسية لألمانيا وذلك لوجود الممر البولندي.

ويؤدى الوضع بالنسبة للجيران في بعض الأحيان إلى ضرورة وجود الدول الحاجزة Buffer States، وهي وحدات سياسية صغيرة الحجم تقع بين وحدات سياسية ضخمة ، ومثل هذه الدول الحاجزة تبقى كمانع للصدام بين الجانبين الكبيرين، كما أن القضاء عليها من جانب لا يقابل بمقاومة هذه الوحدات الصغيرة فحسب، بل بمعارضة الجانب الآخر أيضا.ومن هذه الدول بلجيكا وهولندا ولكسمبورج والتي تعتبر دولًا حاجزة بين ألمانيا من جانب وفرنسا من جانب آخر.

2- الحجم Size :

لاشك أن الحجم أو المساحة التي تشغلها الدولة وعدد سكانها لهما أثر كبير في القيمة السياسية للدولة. فالمساحة هي الحيز المادي للأرض التي تقوم عليها الدولة وعدد السكان أو الحجم السكاني وهو الحيز البشري للمواطنين الذين ينتمون إلى الدولة ليعيشوا فيها ويحسوا بالانتماء إليها ويعملوا من أجلها ويعملوا على نهضتها ورفعتها ويدافعوا عنها ضد كل من يريد أن ينتقص من مساحتها أو يمس سيادتهم على ترابها.

والحجم عامل مهم جدا في قوة الدولة، فكم من دولة صغيرة الحجم مساحيًا وسكانيًا حققت تقدمًا اقتصاديًا واجتماعيًا ، ولكن نظرًا لضآلة الحجم لم تتمكن هذه الدول من الوصول إلى مصاف الدول العظمى. ومن أمثلة هذه الدول سويسرا والتي احتلت موقعًا جغرافيًا ممتازًا واستفادت من الحماية الطبيعية التي وهبتها إياها الطبيعة في سطحها الجبلي وتفوقها على كل أوروبا ارتفاعًا. ولكن ضآلة حجم

سويسرا مساحيًّا وسكانيًّا حالت دون تنميتها لهذه القوة وخروجها إلى بقية أوروبا كدولة قوية. وينطبق نفس الكلام على هولندا التي توسعت وأقامت إمبراطورية كبيرة، ولكنها لم تتمكن في الحقيقة من المحافظة عليها لصغر حجمها المساحي والسكاني[1]. وليس الحجم أو الحيز المساحي هو المحصلة النهائية في قوة أو ضعف الدولة فقد تكون الدولة ذات مساحة شاسعة من الصحارى الجرداء غير المأهولة بالسكان، وغير القابلة للاستصلاح أو قد تنتشر بها الغابات الكثيفة ذات المستنقعات الكبيرة، أو تغطيها الغطاءات الجليدية الواسعة، أو تنتشر بها السلاسل الجبلية، ومن أمثلة هذه الدول المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا وموريتانيا والتي تنتشر بها المناطق الصحراوية، وكندا التي تدخل معظم مساحتها في إقليم الغابات الصنوبرية الباردة والمنطقة المتجمدة، وأستراليا لانتشار الغابات الموسمية في الشمال والصحارى الحارة في الغرب، والبرازيل حيث تحتل الغابات الاستوائية الكثيفة مساحات كبيرة من أراضيها.

ويمكن أن نقسم دول العالم من حيث أحجامها إلى الأقسام الآتية:

1- دول عملاقة، وهي التي تزيد مساحتها عن 6 مليون كم^2 ومن أمثلتها الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية والصين وكندا والبرازيل وأستراليا.

2- دول ضخمة، تتراوح مساحتها بين 2.5-6 مليون كم^2 ومن أمثلتها الهند والأرجنتين والسودان والجزائر.

3- دول كبيرة جدًّا، تتراوح مساحتها بين 1.25 مليون إلى أقل من 2.5 مليون كم^2 ومن أمثلتها المملكة العربية السعودية وليبيا ومنغوليا وكازاخستان والمكسيك.

(1) محمد حجازي محمد: دراسات في أسس ومناهج الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص57 .

4- دول كبيرة، تتراوح مساحتها بين 650 ألف كم^2 إلى أقل من 1.25 مليون كم^2، ومن أمثلتها مصر وموريتانيا وزامبيا وأثيوبيا وتشاد والنيجر ومالي وأنجولا وبوليفيا وأندونيسيا وكولومبيا وبيرو وجنوب أفريقيا وموزمبيق.

5- دول متوسطة تتراوح مساحتها بين 125- أقل من 650 ألف كم^2، ومن أمثلتها نيبال وبوركينا فاسو ومالاجاش وبنجلادش وأوغندا وماليزيا وعُمان ونيوزيلندا.

6- دول صغيرة جدًّا، وتتراوح مساحتها بين 25- أقل من 125 ألف كم^2، ومن أمثلتها لتوانيا وكوستاريكا وبنما وأستونيا وجمهورية وسلوفاكيا وبورندى وملاوي وبنين واليونان.

7- دول قزمية، وتقل مساحتها عن 25 ألف كم^2، ومن أمثلتها جامبيا وجامبكا ولبنان وموريشيس وترينداد وتوباجو وسلوفينيا والكويت وقطر وهونج كونج وسنغافورة والفاتيكان والبحرين وسان مارينو وأندورا ولختنشتين.

وليس هذا التفاوت الكبير في مساحة الدولة في العالم وليد مصادفة، وإنما هو الصورة الحاضرة الناتجة عن سباق طويل حافل بالتطوير والتغير الذي لم ينقطع لكل دولة على حدة، وبين كل مجموعة متجاورة منها، وترتبط تغيرات المساحة بتغيرات الحدود، كما تتصل بسباق حافل من المنازعات والحروب وعندما تستقر كل دولة فوق مساحتها تبدأ مشاكل تكييفها والتكيف معها. فليست مساحة الدولة آخر الأمر هي عدد كيلو متراتها المربعة داخل حدودها فقط ، بل إمكانياتها ومواردها وجملة السكان فوقها ونمط توزيعهم وطرق استغلالها وتكتسب المساحة معناها من[1] :

(1) عمر الفاروق: الجغرافيا السياسية، وزارة التربية والتعليم، القاهرة 84/ 1985 ص 64.

أ - نسبة المساحة المنتجة إلى غير المنتجة منها.

ب- مقدار ما تضمه هذه المساحة من موارد طبيعية قابلة للاستغلال.

جـ - حجم السكان ومستواهم الحضارى ودرجة تنوع أنشطتهم الاقتصادية.

ولكبر المساحة واتساع البلاد أهمية كبيرة وقت الحرب، وتظهر هذه الأهمية فيما يطلق عليه العسكريون الدفاع في العمق Defence in Depth ، فالدول الصغيرة المساحة لا تلبث أن تنهار بسرعة فائقة أمام جارتها، فقد اضطر الجيش الهولندى إلى التسليم بعد أربعة أيام فقط أمام الألمان ، في حين أن الروس كانوا يتمتعون بالدفاع في العمق فاستطاعوا جذب الجيوش الألمانية لاستنفاذ قوتها كما استنفذوا من قبل جيوش نابليون عام 1812م . فقد كانت روسيا تسلم الأرض في سبيل ما تربحه من وقت. كذلك الحال في الشرق الأقصى، حيث استولى اليابانيون على المدن الساحلية ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على المقاومة الصينية، ذلك أن الصينيين كانوا يقابلون هذا بالتراجع نحو الغرب حتى يقال أن ستين مليون من الصينيين هجروا منازلهم في شرق الصين واتجهوا نحو الغرب[1].

وتعتبر المساحة الكبيرة إذا كانت مقترنة بكثافة سكانية مرتفعة أو عدد كبير من السكان على الأقل وبموارد طبيعية مستغلة استغلالًا حسنًا مصدر قوة للدولة، تضعها في مصاف الدول الكبرى، ومن أمثلة ذلك روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية، كل منهما تحتل كتلة كبيرة متصلة من الأرض ، وكل منها يقع في أقاليم مناخية ونباتية مختلفة وتجمع في استغلالها الزراعي والرعوي بين حاصلات الأقاليم المعتدلة الحارة والأقاليم الباردة. هذا إلى جانب أن كلًا منهما يشتمل على مصادر هائلة من الثروة المعدنية ومصادر الطاقة المختلفة ولا تشكو هاتان الدولتان من ضيق الحيز المكاني أو المساحة أو من ازدحام السكان، ولايزال المجال مفتوحًا

(1)محمد عبد الغنى سعودى: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص ص 27-28.

أمام كل منهما لاستغلال مواردها الاستغلال الأمثل، كما أن كلًا منهما يستطيع أن يستوعب عددًا كبيرًا من السكان في المستقبل القريب يزيد عن عدد السكان الحالي، حيث بلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو 295.7 مليون نسمة في حين بلغ عدد سكان روسيا الاتحادية نحو 143.4 مليون نسمة وذلك عام 2005 م .

ولا تقتصر سيادة الدولة على نطاقها الأرضي فقط، بل تمتد إلى البحار المفتوحة المجاورة في المياه الداخلية والإقليمية والمنطقة المتصلة والرصيف القاري.

ولاشك أن سيطرة الدول على نطاقاتها البحرية التي ترسمها الحدود البحرية التي تطالب بها يضيف إلى نطاق سيادتها على الأرض عمقًا دفاعيًا لها. ويضيف إمكانية أوسع للكشف عن الموارد المعدنية في قاع البحر وتنمية قطاع الصيد وتنمية أعمال الشحن والتفريغ في الموانئ وتنشيط السياحة البحرية والاصطياف، هذا فضلًا عن أنشطة الترانزيت البحري [1] .

3- شكل الدولة :

ينتج شكل الدولة من موقعها ومساحتها وحدودها، وينتج عن اختلافها تنوع كبير في أشكال دول العالم. فلكل دولة تقريبًا شكلها الخاص والمميز، ويعد تماسك واتصال أجزاء الدولة أو ظهورها ككتلة واحدة من مميزاتها، فكلما كانت ملتئمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة للمساحة. ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائري من أفضل الأشكال، حيث يعد شكلًا مثاليًا وخاصة إذا كانت عاصمة الدولة تمثل مركز هذه الدائرة ويمكن معرفة الانحراف عن هذا الشكل المثالي عن طريق عمل نسبة بعد الحدود الحقيقية عن محيط هذه الدائرة، فكلما كان الرقم صغيرًا كانت الدولة أقرب إلى الشكل المثالي، وكلما كان كبيرًا كلما بعدت عن هذا الشكل المثالي.

(1) فتحى مصيلحى: الجغرافيا البشرية بين نظرية المعرفة وعلم المنهج الجغرافي، الطبعة الثانية، كلية الآداب، جامعة المنوفية 1994، ص 254.

فعلى سبيل المثال رومانيا وسويسرا والمجر كلها أشكال أقرب إلى المثالية، بينما شيلي مثلًا تقليديًا للدول ذات الامتداد الشريطي الكبير ، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب لمسافة 2600 ميل على حين أن عرضها قد لا يتجاوز 100 ميل فإذا أضفنا إلى هذا وجود جبال الأنديز التي تزيد المواصلات تعقيدًا وصعوبة ، أدركنا أن مشكلة الدفاع في مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان، مما أدي إلى قيام مشكلات سياسية بين شيلي وجارتها الأرجنتين. كذلك الحال في النرويج التي أمكن للألمان شل حركتها بالاستيلاء على المدن والموانئ الساحلية التي تتحكم في طرق المواصلات مع الداخل. كما تظهر بعض الدول غير مثالية الشكل حين يظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية مثل ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية حين كان يشطرها الممر البولندي ، أو باكستان التي يفصل شطريها باكستان الشرقية وباكستان الغربية عن بعضهما مسافة 1000 ميل.

أما الدول ذات الشكل الدائري أو الأقرب إلى الاستدارة فمن أمثلتها فرنسا وأسبانيا، وهذا يعد من مزايا المركزية ويسهل الاتصال بين المركز والهوامش.

من خلال العرض السابق يمكننا أن نقسم الدول حسب الشكل على النحو التالي:

أ- دولة مندمجة Compact: تتخذ شكلًا هندسيًا مربعًا أو معينًا أو دائريًا مثل فرنسا، سويسرا ، المجر، باراجوي ، النمسا، ورومانيا.

يساعد هذا الشكل على إقامة شبكة متطورة من المواصلات، ويسهل الاتصال بين المركز (العاصمة) والأطراف[1]. وتتميز الدولة المندمجة بقصر حدودها بالنسبة لمساحتها ؛ أي أن لها ميزة إستراتيجية كبيرة ، حيث إن شكلها يقلل من نقاط الضعف الدفاعية على الحدود.

(1) محمد متولي : الجغرافيا السياسية ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1958، ص26 .

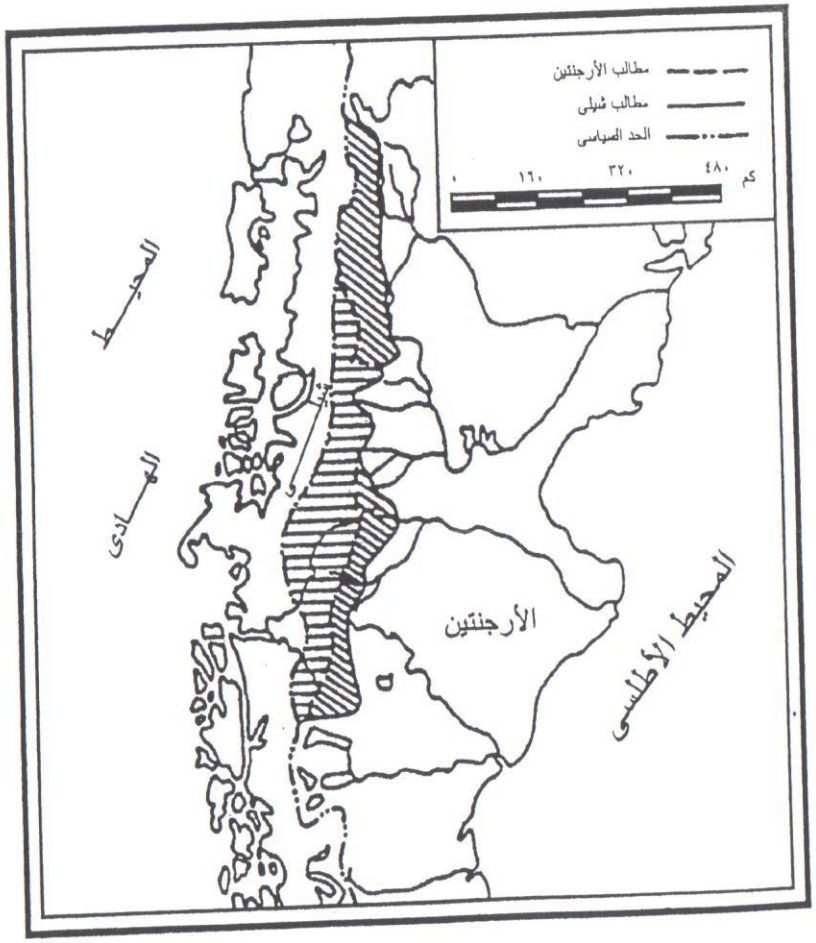

شكل (27) : مشكلات الحدود السياسية بين الأرجنتين وشيلي

بتصرف عن: محمد زهيرة

ب ـ دولة شريطية (مستطيلة): تتخذ شكلًا طويلًا مثل النرويج: أو مفرطًا في الطول مثل شيلي إذا يبلغ طولها 2600 ميل.

تنشأ صعوبات في الاتصال ومشاكل أمنية داخل الدولة الشريطية ، ولكن إذا ما توافر نظام سياسي قادر ومستقر يمكن أن يعالج مشكلة الشكل المستطيل كما جري في شيلي خلال مراحل طويلة.

جـ ـ دول متقطعة(ممزقة): توجد وحدات فرعية منفصلة عن الوحدة الرئيسية كالدول الجزيرية أو الأرخبيلية(مجموعة جزر) كالفلبين ، وأندونيسيا واليابان. يؤثر هذا الشكل في كيفية تنظيم الشؤون الإدارية والسياسية والاقتصادية داخل الوحدات الفرعية.

د ـ دول منكسرة: تقوم إذا وجد جزء، أو أكثر ، في حالة انفصال جغرافي عن كتلة الدولة السياسية، هذا ما كان في باكستان قبل استقلال بنجلاديش ، والواضح أن الدول الفاصلة يمكن أن تهدد أمن الدولة المنكسرة كما هو حال الهند بالنسبة لباكستان في شكلها القديم المنكسر.

هـ ـ دولة مبعثرة: هي دولة إمبراطورية تتوزع أجزاؤها في مناطق مختلفة من العالم ، كما كان شكل الإمبراطوريات البريطانية والأسبانية والبرتغالية ، حيث وجدت مستعمراتها في قارات مختلفة ، وهذا الشكل لم يعد موجودًا بعد انقضاء عهد الإمبراطورية الاستعمارية.

ويرتبط بالشكل بعض الظاهرات الأرضية السياسية مثل الجيب السياسي والنتوء الجبلي السياسي والقطاع السياسي ورأس الكوبري.

والجيب السياسي: جزء من مساحة دولة ما ويحاط كلية بأراضي دولة أخرى. أما النتوء الجبلي السياسي فهو امتداد السيطرة الإقليمية لدولة ما عبر حدود جبلية ،

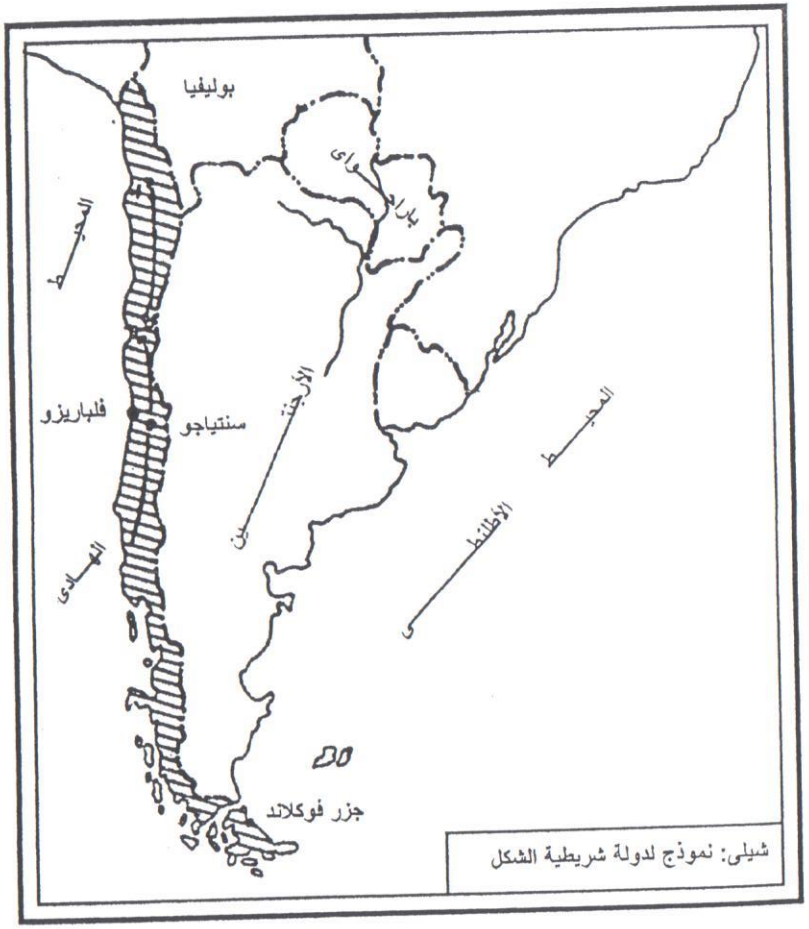

شكل (28): شيلي: نموذج لدولة شريطية الشكل

بتصرف عن: محمد زهرة

وكان النتوء النمساوي في التيرول الجنوبية قبل الحرب العالمية الأولى من أشهر النتوءات السياسية، وكان يمتد جنوب ممر برنر الذي يعبر جبال الألب ويسكنه سكان ناطقون بالألمانية وبعد الحرب العالمية الأولى ضمت إيطاليا التيرول الجنوبي وإن كانت مشكلة الناطقين بالألمانية لم تحل حلًّا مرضيًا بعد.

أما البروز فهو عبارة عن شريط ضيق من الأراضي يمتد من الدولة ليفصل بين أراضي دولتين متجاورتين أو يفصل بين أراضي دولة وبين البحر. ومن الأمثلة المشهورة لذلك النتوء الذي يطلق عليه أصبع كابريفي Caprivi's Finger في ناميبيا وهو امتداد من أرض ناميبيا يصل إلى نهر الزمبيزي ويفصل أنجولا عن بتسوانا وزامبيا.

وهناك ظاهرتان ترتبطان بالتطرف في شكل الدولة هما: القطاع السياسي ورأس الكوبري، والقطاع السياسي هو امتداد ضيق لدولة ما ويمتد فاصلًا بين دولتين أخريين، إحداهما عن الأخرى مثل البروز السياسي الأفغاني المشهور بين روسيا الاتحادية وباكستان.. أما رأس الكوبري أو الجسر فهو امتداد للسيطرة الإقليمية لدولة ما عبر نهر ما، ومن أمثلة ذلك رأس الجسر التركي في الأراضي اليونانية على طول نهر المارتزا، ورأس الجسر البلجيكي حيث تدخل السفن البلجيكية أراضي هولندية وتخرج منها عند هذه النقطة من النهر[1].

وأهمية الشكل تبدو واضحة عندما يكون التماسك المساحي لأراضي الدولة مسألة حيوية للتكامل والالتحام، وهناك دول تجزأت أطرافها أمّا سياسيًّا أو طبيعيًّا. والرقعة المتصلة من سطح الأرض أفضل بكثير في بناء الدولة من الأجزاء المجزأة بسبب وجود فواصل مائية أو سياسية بين أجزاء الدولة الواحدة.

(1) فتحي محمد أبو عيانة: دراسات في الجغرافيا البشرية، مرجع سبق ذكره، ص ص 477-478 .

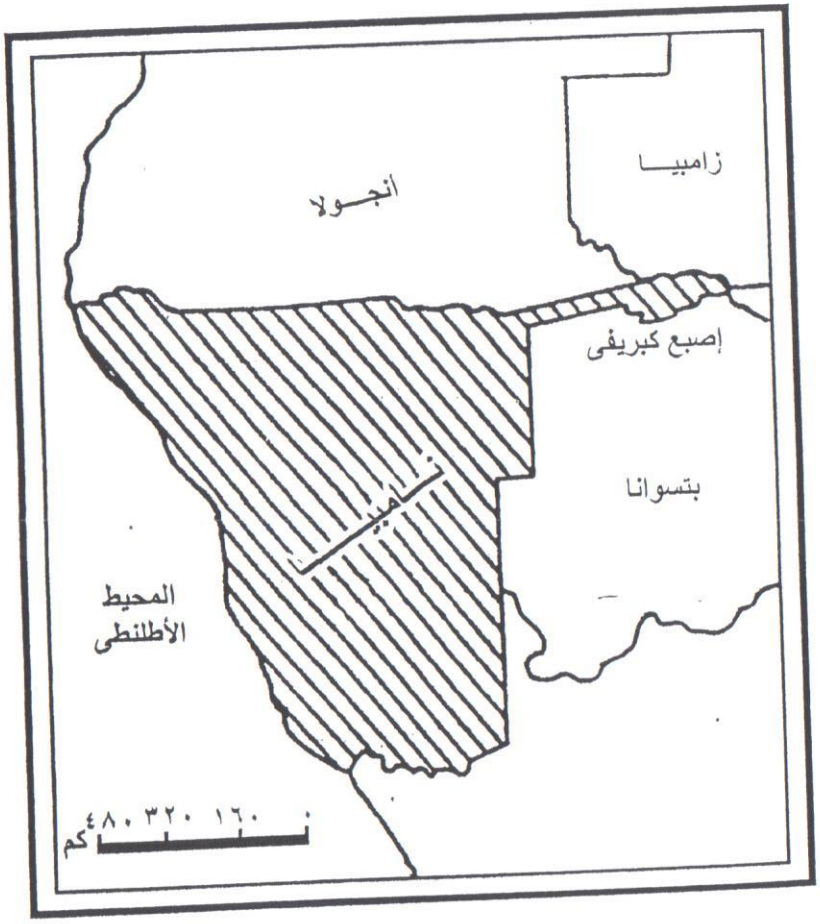

شكل (29) : ناميبيا: نموذج لشكل الدولة غير المثالي

بتصرف عن: محمد عبد الغني سودي

وفي بعض الحالات يكون تقطع الدول بسبب وجود وحدات سياسية أخرى تفصل بين جزء أو بين أجزاء الدولة. وفي هذه الحالات يكون ارتباط أجزاء الدولة مرهون بعلاقة الدولة بالوحدات السياسية التي تفصل بينها وبين بقية الدولة. وهناك حالات كثيرة لتقطع الدولة ليس بسبب فواصل سياسية (وحدات سياسية أخرى) ولكن بسبب فواصل مائية (بحار أو بحيرات) وهذا النموذج شائع ولا يعتبر في الحقيقة تقطعًا إذا كانت المسافات التي تفصل بين هذه الجزر والوطن الأم مسافات معقولة، وإذا كانت المياه مياه إقليمية أو للدولة سلطان وسيطرة عليها مثال هذا النوع من الأشكال السياسية يعرف بالشكل المتقطع Fragmented مثل الجزر اليونانية العديدة المنتشرة في بحر إيجه وإذا زادت الفواصل المائية بين هذه الجزر وأصبحت منتشرة في مسافات ومساحات كبيرة يسمى هذا النمط من أشكال الدولة بالنمط المتناثر Scattered مثل أندونيسيا والفلبين وغينيا الاستوائية.

ويطلق على الأجزاء المنفصلة من دولة ما والموجودة داخل أراضي دولة أخرى باسم: **الجيوب، أو النتوءات السياسية** ويطلق عليها Enclaves بالنسبة للدولة التي توجد فيها واسم Exclaves بالنسبة للدولة التي تنتمي إليها. ولاشك أن تشتت أو انتشار أو تقطع أجزاء الدولة الواحدة يسيء إلى مناعة وقوة الدولة وتعتبر عيبًا استراتيجيًا للدولة التي تقطعت أجزاؤها. وهناك الكثير من النتوءات السياسية داخل دولة ما ولكنها تابعة لدولة أخرى مثل امتداد من ناميبيا داخل أراضي زامبيا. ومثال آخر من العالم الجديد ولاية آلاسكا التابعة للولايات المتحدة الأمريكية، والتي توجد إلى الشمال الغربي من كندا والتي تحيط بها الأراضي الكندية من الجنوب والشرق والتي لا تصل بينها وبين الولايات المتحدة حدود أرضية مطلقًا[1].

(1) محمد حجازى محمد: مرجع سبق ذكره، ص ص 67-68.

وهناك علاقة وثيقة بين شكل الدولة وموقع العاصمة، فإذا كان هذا الموقع في المنتصف فيكون موضعًا أفضل ويحول دون سقوط العاصمة في يد الأعداء، حيث إن سقوط العاصمة يعنى سقوط الدولة والانهيار لنظامها، ويمثل هذه الحالة الرياض وباريس ومدريد. أما إذا كان موقع العاصمة متطرفًا ويقع قرب الحدود فإن هذا يمثل خطرًا على الدولة وتكون العاصمة مستهدفة دائمًا من قبل الأعداء ويمثل نقطة ضعف للدولة ومن أمثلة هذه العواصم نجامينا عاصمة تشاد التي تقع على حدودها الغربية بالقرب من بحيرة تشاد.

وقد تقوم بعض الحكومات بنقل عواصمها المتطرفة للاتجاه نحو المركزية مثل نيجيريا والتي قامت بنقل عاصمتها من لاجوس في الجنوب على المحيط الأطلنطي إلى أبوجا في الوسط، وكذلك الحال في روسيا الاتحادية والتي قامت بنقل العاصمة الروسية من سان بطرسبرج (لينينجراد) **المتطرفة إلى موسكو**[1]، **والتي تتوسط مركز الثقل السياسي** في الدولة نوعًا ما.

أما عاصمة الولايات المتحدة واشنطن[*] فإنها متطرفة إلى الشرق من جسم الولايات المتحدة، ولكن اختيارها كعاصمة يرتبط بالنمو التاريخي للولايات المتحدة وعملية تعميرها بالسكان.

ومن هنا يمكن إيجاد شبه كبير بين العاصمة الأمريكية والعواصم المفروضة التي أقامتها القوى الاستعمارية على طول ساحل غرب أفريقيا فبالنظر إلى أن الاستعمار الأوروبي كان يسير بحذاء السواحل فقد اختار مناطق ارتكازه التي أصبحت عواصم فيما بعد على الساحل وعواصم كل من نيجيريا وبنين وتوجو

(1) عند نقل العاصمة من لينينجراد إلى موسكو لم تكن الأخيرة تتوسط المساحة الهائلة التي يمتد عليها الاتحاد السوفيتي ولكن بعد انفصال الجمهوريات السوفيتية الآسيوية عن الاتحاد السوفيتي أصبحت موسكو تتوسط روسيا الاتحادية مساحيًا، وأصبحت ذات موقع متوسط لا بأس به.

(*) محمد عبد الغنى سعودى: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص ص 27-28.

وغانا وكوت ديفوار وليبيريا وسيراليون والسنغال وغينيا وجامبيا تقع كلها بلا استثناء على الساحل كأثر تاريخي لهذه المرحلة من الاستعمار، وكانت العواصم الوطنية للجماعات التي عاشت في غرب أفريقيا لا تقع على الساحل، فقد كانت كوماسى عاصمة قبيلة الأشانتى في ساحل الذهب (غانا) في موقع متوسط بالنسبة لهذه القبيلة وكانت عاصمة داخلية وليست ساحلية [1].

ولعل مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية من أكثر عواصم العالم تحقيقًا لميزة التوسط ؛ لأنها علاوة على الميزة الرائعة في موقعها من الناحية الطبوغرافية تتوسط المعمور المصري وتتحكم في أي اتصال بين الوادي والدلتا، كما أن سكان كل من الوادي والدلتا متعادلان من حيث العدد تقريبًا.

4- المناخ والنبات:

تختلف الظروف المناخية اختلافًا واسع المدى فوق سطح الأرض ، وتظهر الحرارة والمطر من بينها باعتبارها الأكثر ارتباطًا بحياة الإنسان ونشاطه الاقتصادي، وقد جذبت هذه الاختلافات الإنتباه منذ زمن بعيد وظهرت كواحدة من الأسباب المهمة وراء اختلافات المجتمعات من منطقة مناخية لأخرى ووضعها أرسطو في مكان بارز في دراسته الفلسفية حول المجتمع والنظام السياسي، واستمرت هذه النظرة إليها زمنًا طويلًا بعده حتى أن مونتيسكيو Montesquieu قد وضع تعميمًا واسع حول أثر المناخ في اختلاف نظم الحكم والسياسة، وبغض النظر عن التعميمات الواسعة فمما لاشك فيه أن تفاوت الظروف المناخية قد أدى منذ وقت مبكر إلى اختلاف نقطة البداية بين المجتمعات الإنسانية للتحرك نحو التطور والتقدم. وارتبطت أقدم المجتمعات السياسية في العالم بالنظم المناخية الأكثر اعتدالًا، ليس فقط بما هيأته هذه النظم من حرارة معتدلة لممارسة النشاط

(1) أحمد على إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص 152.

الاقتصادي ومن كمية من الأمطار كافية لقيام الزراعة، بل وأيضًا فيما دعت إليه من استقرار ومن زيادة العلاقة بين الإنسان والأرض.

ويؤكد هذه العلاقة جين جوتمان Jean Gottmann ، حيث يؤكد فكرة أو نظرية هجرة المناخ من الشرق الأدنى والمناطق التي قامت بها الحضارات القديمة في مصر وبابل ومواطن الحضارات اليونانية والرومانية، وكيف أن هناك من يعتقد أن الظروف المناخية قد طرأت عليها تغييرات أساسية في هذه المناطق. وقد انتقلت ظروف المناخ المثالية والمشجعة على العمل والتقدم من هذه البلاد على مدى عشرات القرون حتى استقر بها المقام حاليًا في العروض المعتدلة الدفيئة والمعتدلة الباردة. وأن مناخ منطقة الشرق الأدنى ومواطن الحضارات اليونانية والرومانية قد ساءت أحوالها المناخية وتحولت إلى الجفاف النسبي والارتفاع النسبي في درجة الحرارة.

وهذه نظرية يصعب إثباتها ولكن لها رجاحتها في أن المناخ الموجود في هذه البلاد حاليًا يختلف عما كان عليه وقت نهضتها الحضارية. وبذلك فإن أنسب الظروف المناخية وأكثرها ملائمة لحياة الإنسان هي المناخات المعتدلة الباردة والمعتدلة الدفيئة في نصف الكرة الشمالي والجنوبي. وبما أن النصف الجنوبي للكرة الأرضية تشغل أكثره المحيطات فإن أغلب هذه الأجزاء تقع في نصف الكرة الشمالي. وتسمى إقليم الوفرة والنشاط الاقتصادي ، لأنها توافرت فيها كل المقومات الدافعة إلى النشاط والعمل. فضلًا عن وجود المعادن اللازمة للصناعة والتربة الصالحة للزراعة والظروف المناخية الملائمة لحياة الناس واستقرارهم [1] وبذلك استطاع الإنسان في العصر الحديث بوسائل التقدم الفني أن يتغلب على عوائق البيئة الطبيعية ومن المؤكد كما سبق الذكر أن جذور الحضارة الغربية التي

(1) محمد حجازى محمد: مرجع سبق ذكره، ص ص 74-75.

نعرفها اليوم تمتد إلى العالم اليوناني- الروماني ، ولكنها تطورت بعد ذلك في النطاق الشمالي الغربي لأوروبا الذي أزيلت غاباته ، ثم امتدت لتشمل الأراضي الجديدة في العالم الجديد. ومن المعروف أن تطور حضارة معينة يرتبط بالقوة السياسية والعسكرية والاقتصادية للوحدة السياسية وتوفر العوامل الجغرافية التي تساعد على ذلك.

وعندما انتشرت الحضارة خارج مركزها في شمال غرب وشمال وسط أوروبا فإنها تأسست في تلك الأجزاء من العالم ذات المناخات الرطبة في العروض الوسطى مشابهة للمناخ الذي وفدت منه في أوروبا. ولم تستطع المناخات المدارية الرطبة أو الواحات الصحراوية وأراضي الحشائش القصيرة (الأستبس) ولا الأصقاع الشمالية أن تجذب استقرار الشعوب الأوروبية إلى هذه الأراضي، حيث وفدوا إلى هذه المناطق للاستغلال وليس للاستيطان.

وحتى في استعمار الأقاليم الرطبة في العروض الوسطى فإن الأهداف الرئيسية للأوروبيين كانت أساسًا استغلالية، ولكن استغرق ذلك فترة قصيرة، وفي تلك المناطق مثل كندا وأستراليا والولايات المتحدة ونيوزيلندا فتح الاستغلال نحو الاستيطان الدائم.

وتبدو أهمية المناخ ظاهرة في اتصاله الوثيق بصفة خاصة بالنبات الطبيعي والمحاصيل الزراعية. وإنتاج الغذاء للسكان من الأولويات التي تهتم بها الدولة. والدولة التي تتمتع بتنوع مناخي تتمتع بتنوع غذائي، وبالتالي ترتفع إنتاجية أفرادها، بينما المناطق التي يسودها مناخ واحد يقل معه التنوع الزراعي وبالتالي يقل فيها الإنتاج الزراعي. والدولة التي لا تنتج ما يكفيها من غذاء لابد لها من الاستيراد من الخارج أو اتباع الزراعة الكثيفة ؛ أي زراعة الأرض أكثر من مرة، وهذا غير متاح إذا كان المناخ لا يساعد على هذا، وقد يقوم هذا النوع من الزراعة

ولكن بتكاليف باهظة. فنجد الدول المتسعة المساحة كالولايات المتحدة مثلًا حيث تتعدد الأقاليم المناخية وتتنوع نجد أن المزارعين في غرب السهول الوسطى دائمًا يشكون للحكومة في واشنطن من أن رجال الإدارة في منطقتهم لا يعرفون شيئًا عن مشكلات الزراعة والتسويق في هذا الإقليم.

وينطبق الشيء نفسه على كندا، حيث يشكو سكان البراري من سوء السياسة الداخلية في الدولة. ويرجع هذا أساسًا إلى قيام اقتصاديات مختلفة ترجع إلى أنواع مختلفة من المناخ. وقد تؤدى هذه الخلافات إلى تهديد للوحدة السياسية كما في كندا وأستراليا ؛ إذ نجد أن ولاية البرتا في الأولى وغرب أستراليا في الثانية ذهبتا بعيدًا إلى درجة اقتراح الانفصال أحيانًا.

من خلال العرض السابق نجد أن التنوع المناخي يترتب عليه نتائج محلية هامة في ميدان الإنتاج الزراعي، فيجب عمل حساب هذا التنوع حتى تسير أمور الدولة الداخلية دون شقاق.

وترتبط الحياة النباتية أشد الارتباط بالنظم المناخية على سطح الأرض، حيث يؤدى تنوع المناخ إلى تنوع النباتات الطبيعية التي تتراوح بين الغابات بأنواعها الحارة (الاستوائية) والمعتدلة (البحر المتوسط) والباردة (النفضية والصنوبرية) ومن الحشائش بأنواعها المختلفة الحارة (السافانا) والمعتدلة (الاستبس) والباردة (التندرا).

وقد أدى هذا التنوع إلى اختلافات كبيرة بين المجتمعات المرتبط بها وقدمت الحشائش المعتدلة بيئة نموذجية لقيام المجتمعات الرعوية داخل القارات في العروض المعتدلة والباردة . وترتبط الحشائش المعتدلة بهوامش نظم المطر في هذه العروض، وتتميز المناطق الهامشية عادة بتذبذب كمية المطر السنوية، وقد أدى هذا الارتباط إلى شدة الصراع بين هذه المجتمعات البشرية شغلت فترة طويلة تعرف

بفصول الصراع بين الرعاة (الاستبس) والزراع. وقد أدى هذا الصراع إلى نتائج مدمرة في معظم الأحيان، حيث تندفع المجتمعات الرعوية في سنوات الجفاف وبوار المراعى إلى أراضي الدولة المجاورة. بينما لجأت بعض هذه الدول إلى حماية نفسها بأسوار طالت حول حدودها آلاف الكيلومترات (سور الصين العظيم) فإن بعضها الآخر قد سقطت تحت وطأت الرعاة من التتار والمغول (الدولة العباسية).

وقد بلغ من تكيف هذه المجتمعات الرعوية مع بيئة الاستبس حدًّا بعيدًا لدرجة أنها كانت تفقد تمامًا قوة اندفاعها وطبيعتها الهجومية إذا ما دارت المعركة في أرض عشبية، وهكذا لم تتوقف اندفاعاتهم إلا عند حدود مصر الصحراوية وهزموا هزيمة منكرة في عين جالوت، كما توقفوا تمامًا أمام نطاق الغابات غربي فرنسا وهكذا ارتبطت تحركاتهم العاصفة بنطاق الأعشاب في السهل الأوروبي الأعظم، حيث كانت قوتهم تصل إلى أعلى درجاتها وقد أدى ارتباطهم الوثيق هذا بالعشب والقبيلة إلى بقائهم زمنًا طويلا خارج إطار الإمبراطورية الرومانية المنظمة كدولة راسخة ولم يستطيعوا الاندماج فيها إلا بعد أن حطموها ودخلوا بأوروبا جميعها إلى عصورها الوسطى واستمروا كطبقة حاكمة بعيدة عن الأرض والإنتاج والفلاحين الأوروبيين.

وعندما استمرت تقاليدهم طويلًا في شرق أوروبا ووسطها تأخر ظهور الدولة والنظام وبقيت الإقطاعية كوحدة سياسية متكررة في هذه الأجزاء من أوروبا حتى فترات متفاوتة من القرن التاسع عشر.

وعندما تفككت نظمهم في شمال أوروبا وغربها تدافعت التغيرات وتوالت نحو ظهور الدولة الحديثة المرتبطة بالتجارة والصناعة. وقد أدت هذه النتائج الهامة للتاريخ السياسي في هذه المنطقة الواسعة من العالم إلى أن يضع هنتنجتون Huntington نظريته عن أثر توالى فترات المطر والجفاف في جنوب وسط

آسيا في تاريخ العالم السياسي وقدر بأن توالى عدد من سنوات الجفاف في هذه المناطق الرعوية كفيل بدفعها نحو التحرك، موجة تدفع بالأخرى نحو الغرب (أوروبا) ونحو الشرق (الصين) ونحو الجنوب (الدول العربية) وقد كانت هذه الاندفاعات الرعوية أشبه بالتيارات الكهربائية المؤقتة أحيانًا والدائمة أحيانًا أخرى وأنها قد أدت إلى تماسك الإمبراطورية الصينية خلف سورها العظيم وإلى استنزاف طاقات الدولة الإسلامية وتدميرها، وإلى تشكيل الخريطة السياسية للقارة الأوروبية بصورة تكاد تكون تامة، بل أن الحروب الصليبية وحركة الكشوف الجغرافية تعدان من نتائجها[1].

5- مظاهر السطح :

ونعنى بها الجبال والهضاب والتلال والسهول وهي ذات أهمية عظمى للتركيب السياسي الجغرافي للدولة. فقد ينزع سكان الجبال نحو العزلة والحصول على نوع من الاستقلال (أفغانستان وأندورا)، بينما سكان السهول مثل الأوكرانيين قد يتعرضون لتدخل خارجي ومن ثم يكون لديهم فرصة قليلة للحكم الذاتي. كما أن وجود سلاسل جبلية على حدود الدولة يمكن أن يساعد على الدفاع ضد الهجمات الخارجية من جيرانها ومن ثم يساعد على استقلالها، فجبال البرانس بين فرنسا وأسبانيا والألب بين إيطاليا والنمسا هي أمثلة من هذا النوع التي أدت دورًا في النزاع العسكري بين الدول المجاورة.

وقد تلجأ بعض جماعات الفدائيين إلى المناطق الجبلية كما حدث في يوغسلافيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكما حدث لقوات كاسترو في كوبا، وفي كل هذه المناطق الجبلية الوعرة كانت السيطرة الفعالة للحكومة المركزية صعبة بل وأحيانًا مستحيلة[2].

(1) عمر الفاروق: مرجع سبق ذكره، ص ص 83 – 85.

(2) فتحى أبو عيانه: مرجع سبق ذكره، ص 4.

ومما لاشك فيه أن الأراضي السهلية المنبسطة إذا تصادف وقوعها في ظروف مناخية ملائمة تكون مثل هذه الأراضي بلا جدال أفضل بكثير من غيرها من الأراضي التي تقع في منطقة جبلية وعرة، على الرغم من أن الجبال قد تحوى ثروات معدنية أو إمكانيات لتوليد الطاقة المائية إلا أن الأراضي السهلية لو اقترنت بظروف مناخية مناسبة كما سبق الذكر فهي أفضل الأراضي للتقدم الاقتصادي وللنشاط البشرى بصفة عامة.

ويعيش معظم سكان العالم حاليًا في أراضى سهلية. وقد قامت الحضارة القديمة في السهول الفيضية في وادي النيل وأرض الرافدين ، وقد نفر الناس من سكن الجبال والجهات المرتفعة لجدبها وفقرها ولجأوا إلى الأراضي السهلية ، حيث تجود فيها الزراعة وتسهل الحركة بين أجزائها المختلفة ولا يضطر الناس إلى الحركة صعودًا وهبوطًا. والدول التي بها أراضٍ سهلية تستطيع أن توفر لسكانها حاجاتهم من الحبوب والمنتجات الغذائية التي تنتجها الأرض. وقد كان لضآلة الأراضي السهلية القابلة للزراعة في اليابان والجزر البريطانية أثر كبير على هذه الدول. فنجد أنها تعتمد على غيرها في الحصول على جزء كبير من حاجتها إلى هذه السلع.

ونذكر حال بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكيف أن كل المنتجات الغذائية كانت توزع بالبطاقات لقلتها وللحصار الذي تعرضت له ولصعوبة الحصول على مواد مثل السكر والحبوب وغير ذلك من البلاد المنتجة لها. وتضطر اليابان حاليًا إلى استيراد نحو ثلث حاجتها من الغذاء للاستهلاك المحلى.

ويعد استواء السطح أمرًا حيويًا جدًّا في البلاد التي تعتمد فيها الزراعة على الري. وحتى الأراضي التي تقوم فيها الزراعة البعلية[1] نجد أن الأراضي السهلية المنبسطة أفضل بكثير في الزراعة من غيرها من الأراضي المرتفعة وذلك لسهولة

(1) هي الزراعة التي تقوم على مياه الأمطار (الزراعة المطرية).

القيام بالعمليات الزراعية. ونذكر هنا أن الأراضي السهلية في كل من الولايات المتحدة وكندا و الاتحاد السوفيتي السابق قد مكنت هذه الدول من استخدام ميكنة الزراعة في مساحات واسعة فيما يعرف بالزراعة الواسعة.

ولا تقتصر أهمية مظاهر السطح بالنسبة للدولة على ما قد تمثله لها وتقدمه من أسباب المتعة والحماية والنواحي الإستراتيجية ، وإنما تمتد أهميتها إلى نواحٍ أخرى تتصل بالنضج القومي والسياسي، وترتبط مظاهر السطح بالتنمية الاقتصادية العامة للدولة.

ومنذ فجر التاريخ ساهمت مظاهر السطح في تنوع النشاط الاقتصادي في الدول ذات الحضارات القديمة سواء المرتبطة بالسهول الفيضية (مصر، الصين، العراق) أو السهول الساحلية (فينقيا، اليونان، قرطاجة) أو بالجبال (عيلام، فارس، أشور)، وشغلت الصراعات بين الجبل والسهل مرحلة هامة من التاريخ السياسي العالمي بين امتداد وانحسار.

واستمرت المناطق الجبلية تقدم نوعًا معينًا من الدول ذات الطبيعة الهجومية بالقياس إلى الدول التي نشأت في مناطق السهول ، ثم مثلت السهول في فترة العصور الوسطى محاور الاجتياح من قبل العناصر الرعوية المندفعة من سهول آسيا المغولية حتى نورماندى الفرنسية، وما تزال بصمات كل مرحلة منها متمثلة في الخريطة السياسية الأوروبية هذه الخريطة التي تكاد تكون قد تشكلت تمامًا مع مراحل التيارات الرعوية المتدافعة من سهول وسط آسيا خلال خمسة عشر قرنًا (بين القرنين الخامس قبل الميلاد والعاشر بعده) هذه التيارات التي اتبعت السهل الأوروبي الأعظم بشكل عام من الفولجا إلى اللوار، وعندما توقفت تدافعها استقرت خاصة بعد أن انتهي الصراع الطويل بينها وبين الإمبراطورية الرومانية الغربية إلى انهيار الأخيرة، وباستقرارها بدأت مرحلة من النمو القومي البطيء الناتج عن تفاعل هذه الجماعات مع بيئاتها ومع بعضها.

هذا النمو الذي أدى ضمن ما أدى إلية إلى ظهور دول شرق ووسط أوروبا تباعًا بصورتها الحالية. وتمثل بولندا نموذجًا واضحًا لتأثير السطح في تطويرها السياسي فهذه الدولة تقع برمتها ضمن السهل الأوروبي الأعظم محصورة بين ثقافتين كبيرتين شرقًا (الثقافة السلافية الروسية)، وغربًا (الثقافة الجرمانية)، ورغم وحدة أصلها السلافية والجرمانية والآسيوية إلا أن أسباب الصراع بينهما كانت عميقة (تاريخية وجغرافية وثقافية واقتصادية) ، ومثلت بولندا أرض الصراع بينهما بصورة أدت إلى تمزقها وتوزع انتماءاتها وتأخر ظهورها كدولة فضلًا عن تعدد مرات ظهورها واختفائها. وبينما أخذت الدول الاسكندنافية في تعميق وحدتها القومية بعيدة عن السهل الأوربي . بقيت بولندا زمنًا كأرض مفتوحة من الشرق والغرب[1].

وهناك أحوال متعددة تؤثر فيها أشكال السطح في الوحدة الداخلية للدولة، فالمناطق المرتفعة أو المنخفضة تؤثر على توزيع السكان تأثيرًا كبيرًا، ومن ثم موقع منطقة القلب للدولة فقد يعوق امتداد السلاسل الجبلية الاتصال بين العاصمة ومناطق الأطراف إذا كانت هذه الجبال فاصلًا بينهما ونتيجة لذلك يضعف التماسك السياسي بين أجزاء الدولة. كذلك فإن الجماعات البشرية التي تقطن المرتفعات الجبلية قد تنتشر لديها أفكار وأهداف مختلفة أكثر مما لدى البيئات المنخفضة، ومن ثم تخلق قوى سياسية مناوئة داخل الدولة، فمثلًا أكوادور توجد بها مناطق تركز في المنخفضات أو في المرتفعات ولكن المركز الرئيسي كيتو (العاصمة) في الجبال وهناك مراكز أخرى مثل جوايا كيل على الساحل توضح تضارب المصالح بين مناطق الجبال والمنخفضات داخل الدولة.

(1) عمر الفاروق: مرجع سبق ذكره، ص ص 72 – 73.

وللتضاريس أثرها في اختيار التكتيك والأسلحة التي تستعمل في ميدان الحروب. فسهول روسيا الفسيحة وصحارى شمال أفريقيا الرملية وصحراء الربع الخالي بالمملكة العربية السعودية تعتبر ميدانًا جيدًا لاستعمال الدبابات بينما مرتفعات النرويج وجبال الألب لا يصلح فيها استعمال الدبابات. وتنجح حرب العصابات والتسلل في كل من الأراضي الجبلية وفي الأراضي التي تغطيها الغابات.

من أمثلة الدول التي نشأت في مناطق جبلية دول أمريكا الوسطى وبعض دول أمريكا الجنوبية مثل كولومبيا وأكوادور وفنزويلا. ومن الدول التي قامت في منطقة جبلية ، ثم مدت نفوذها إلى الأراضي المجاورة إيران وتركيا. ومن الدول الجبلية الخالصة نيبال وبوتان في شمال الهند.

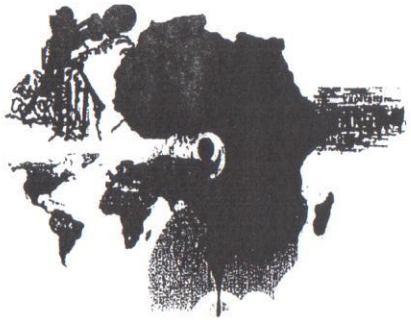

الفصل الخامس

المقومات الجغرافية البشرية للدولة

المقومات البشرية للدولة

إذا كان لموقع الدولة ومساحتها وشكلها ومظاهر جغرافيتها الطبيعية دخل مباشر ، أو غير مباشر في قوتها وفي تحديد مركزها بين غيرها من الدول ، وفيما يعترضها من مشكلات داخلية أو خارجية، فإن سكان الدولة هم العنصر الحي الذي لولاه لما كان للمظاهر الطبيعية أي قيمة في قوتها أو رفع مركزها ووزنها الدولي.

وتتصل هذه المقومات اتصالا مباشراً ووثيقاً بالكيان البشري في الدولة، حيث تهتم بدراسة السكان الذين يقيمون بالدولة من حيث توزيعهم الجغرافي ولغتهم وديانتهم وتركيبهم العرقي ، فضلاً عن الموارد الاقتصادية لهؤلاء السكان ووسائل النقل والمواصلات.

1ـ السكان:

لا توجد دولة دون أرض ، كذلك لا توجد دولة دون سكان. والسكان هم الذين يدينون بالولاء ويخضعون لقوانين الدولة وبحكم الميلاد هم المواطنون. وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة السكان من ناحيتين الأولى: من الناحية الأثنوغرافية، وتشمل السلالة واللغة والدين. والثانية من الناحية الديموغرافية، وتشمل نمو السكان وعددهم ونوعهم وكثافتهم وتوزيعهم الجغرافي.

وتفيد الدراسة الأثنوغرافية في إعطاء فكرة عن مقدار انسجام السكان وعلاقتهم بغيرهم من سكان الدول الأخرى. أما الدراسة الديموغرافية فتعطينا فكرة عن مقدار قوة الدولة وحيويتها وقيمتها في المجال الدولي[1].

ويمثل السكان العنصر البشرى المحوري في الجغرافيا السياسية ومشكلاتها المتعددة ؛ لأن السكان عامل حيوي ديناميكي متحرك في داخل الوحدة السياسية ،

(1) دولت أحمد صادق وآخرون: الجغرافيا السياسية، مرجع سبق ذكره، ص54.

وينشأ هذا التحرك في الواقع عن الزيادة الطبيعية والهجرة مما يؤثر في التركيب العمري والنوعي والاقتصادي والعرقي للسكان، وقد ينعكس ذلك على المشكلات العنصرية السائدة في بعض المجتمعات . كذلك قد يؤدى إلى نزعة قومية تدفع بالدول إلى الاحتكاك، ومن ثم تخلق المشكلات السياسية المحلية في داخل الدولة أو بينها وبين جيرانها.

والسكان ليسوا طاقة إنتاجية وحسب، بل هم أيضًا طاقة ثقافية وتاريخية بمقدار ما يتاح لهم أن يناقشوا وأن يفكروا وأن يبدعوا وأن يبتكروا وأن يقدموا فنًّا وثقافة تؤثر في التركيب السياسي للدولة. ويعد السكان على درجة كبيرة من الأهمية للدولة ، حيث يرتبط ذلك بحجمهم وتوزيعهم وتركيبهم وليس حجم السكان في الدولة عاملاً مهمًّا في قدرتها على تلبية احتياجاتها فقط، ولكن لإمكانياتها وقدرتها الكامنة كذلك. فبعض الدول تتميز بكثافة سكانية عالية مثل اليابان، وهولندا، وبلجيكا، وبريطانيا، ولا تستطيع تحقيق اكتفاء ذاتي في احتياجاتها الغذائية بالرغم من استخدام الأساليب الزراعية الحديثة. وفي مجال العلاقة بين السكان والغذاء في الدولة فإن الدول الكثيفة السكان قد تتجه إلى زيادة موارد الغذاء المحلية وتنشئ إمبراطوريات فيما وراء البحار تساعد على نموها الاقتصادي، أو تقليل أعداد السكان بها بتشجيع الهجرة الخارجية على نطاق كبير نحو مناطق استيطان جديدة. أو قد تسلم في النهاية بانخفاض مستوى المعيشة لأفرادها. ولما كان التوسع في زيادة موارد الغذاء المحلية مرتبطًا بعوامل محددة في البيئة الطبيعية فإن استيراد كل احتياجات السكان يصبح أمرًا لا مفر منه وخاصة إذا كان الاستيراد أرخص من الإنتاج المحلى لبعض هذه الاحتياجات.

وتجدر الإشارة إلى أن الهجرة قد أدت الدور الرئيس في تعمير العالم الجديد ومازالت تسهم بنسبة مهمة من نموه العددي ، وتتحدد هذه النسبة تبعاً للسياسة التي تتبعها الدول في هذا المجال.

وقد كان تنوع الهجرات إلى الولايات المتحدة من أهم أسباب تنوعها وثرائها السكاني والحضاري . كما أن الهجرة الألمانية إلى البرازيل قرب نهاية القرن التاسع عشر قد أدت إلى ما يشبه القفزة في تطورها الاقتصادي بما أدخلوه معهم من صناعات ومن أساليب إدارية وتنظيمية عالية المستوى ودقيقة .

وتحدث مثل هذه الهجرة في العالم النامي تحت دوافع شتى من أهمها الدافع الاقتصادي الذي يدفع عددًا من السكان إلى الاتجاه نحو بعض مراكز الجذب الاقتصادي، ومن أمثلتها هجرة العمالة الأفريقية من مناطقها التقليدية إلى مراكز التعدين وإلى المراكز الحضرية ، فضلاً عن بعض الهجرات العربية والآسيوية إلى دول الخليج العربي. وترتبط العلاقة بين حجم السكان والقوى القومية الكامنة بتركيب السكان تفصيليًّا وتكنولوجيًّا. كذلك بقدرة الحكومة على تنظيم سكانها لخدمة الدولة، ويساعد التعليم والمهارات الفنية للسكان على استخدام الموارد القومية بكفاءة . ومن أمثلة التنظيم الموجه ما حدث في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث دربت الحكومة 65 مليون من السكان ذوى القدرات والمهارات ، وذلك لتحقيق الأهداف القومية ، ولقد كان معظم قوة ألمانيا السياسية والعسكرية خلال هذه السنوات يرجع إلى حجم وتدريب سكانها. كذلك نجاح اليابان نجاحاً مذهلا في استثمار مواردها البشرية استثمارًا مكنها من تعويض النقص في مواردها الاقتصادية ، واستطاعت بذلك أن تتبوأ مكانة رفيعة في الاقتصاد العالمي[1].

ولقد خلفت العملية التاريخية الواسعة من حركة المجتمعات البشرية واختلاطها ، ثم تكوين الدول بعد ذلك جيوبًا سكانية متنافرة في العديد من الدول وهى التي تعرف بالأقليات السكانية.

(1) فتحى محمد أبو عيانه: مرجع سبق ذكره، ص ص 483 – 484.

وتتوزع هذه الأقليات جغرافيًا في مناطق العزلة في أجزاء معينة من الدولة، أو قد ترتبط بعملية تكوين الدولة ذاتها بحيث إنها قد تضم إلى مجموعاتها السكانية الأساسية مجموعات أخرى من السكان مختلفة من حيث لغتها الخاصة، أو ثقافتها المتميزة، أو بتاريخها المعين ، أي أن هذه الأقليات قد تظهر على شكل جيوب جغرافية، أو على صورة ثقافية ولغوية ، وأحيانًا دينية تختلف عن معظم سكان الدولة. ويدل اتساع انتشارها في معظم دول العالم على أن نظرية الدولة النقية سكانيًا كل النقاء قد تكون مجرد فكرة نظرية محضة خاصة وأن الدول المتعددة العناصر مثل الولايات المتحدة ، وسويسرا ، وبلجيكا ، والبرازيل ، وكندا وغيرها تمثل نموذجًا للدول التي يتكون مجتمعها السكاني أساسًا من مجموعة من الأقليات التي انصهرت في الإطار الثقافي والاقتصادي والحضاري العام للدولة بدرجات مختلفة. فإذا ما ظهرت مشكلة الأقليات في دولة من الدول كان ذلك دليلًا على وجود أوضاع جغرافية أو تاريخية أو سياسية معينة قد أعاقت من تمام الاندماج بين عناصر الدولة داخل إطارها . أما ظاهرة الأقليات في حد ذاتها فلا تكاد تخلو دولة في العالم منها سواء أكانت نتيجة لاختلافات تاريخية أم ثقافية أم حضارية معينة ، أم نتيجة لتيارات الهجرة الخارجية التي شهدها العالم الجديد على نطاق واسع.

وإذا لم تبرز الأقليات كمشكلة في بناء الدولة فإنها تعد من عوامل ثرائها وخصوصيتها السكانية والثقافية والحضارية.

ويرتبط بعنصر السكان الاستقرار السياسي الداخلي ، حيث لا يمكن لأي حكومة أن تعيش بمعزل عن بقية أفراد الشعب ، فجميع أفراد الشعب هم دليل على الاستقرار السياسي الداخلي وخاصة في حالة الأزمات ، أما في الظروف العادية فتستطيع الحكومة أن تحصل على ولاء الشعب أو على الأقل على سلبيتها ، وليس هذا مقياساً صحيحاً للاستقرار السياسي الداخلي. وإنما المقياس الصحيح يكون

حينما تتعرض الدولة لحالة حرب أو لأزمة اقتصادية فإذا استقرت الحكومة في البقاء في مثل هذه الظروف فهذا معناه الاستقرار السياسي الداخلي [1].

2ـ اللغة:

تمثل اللغة عنصرًا مهمًا في تكوين الدولة ؛ لأنها الوسيلة التي يستطيع أفراد الدولة بواسطتها التفاهم مع بعضهم ويتمكنون من الإعراب عن مثلهم وثقافتهم وآدابهم. وإذا كانت الدولة تتحدث بلغة واحدة أصبح هناك نوع من التآلف بين السكان ، ويسر في التعامل الشعبي والرسمي. فالعالم العربي يتحدث اللغة العربية ؛ ولذا اختفت الحواجز بين السكان وأصبح من السهولة التعامل بينهم جميعاً في أي وقت وفي أي مكان.

أما الدول التي تتعدد فيها اللغات فتكون لديها معوقات لدى السكان ويوجد نوع من العزلة النسبية بينهم رغم معيشتهم في بيئة واحدة . فعلى سبيل المثال نجد في الهند 15 لغة رئيسية فيها عدا اللهجات ، والصين تشبه الهند. بينما نجد دولًا تعتز بلغتها كما في اليابان وألمانيا . وفي كندا نجد السكان يتحدثون لغتين فمنهم من يتحدث الفرنسية وآخرون يتحدثون الإنجليزية. وقد تصبح اللغة حدًا سياسيًا كما في الولايات المتحدة الذين يتحدثون الإنجليزية ، بينما سكان المكسيك الواقعة في الجنوب منها يتحدثون الأسبانية[2].

ومن الدول التي تتعدد فيها اللغات أيضًا ، ولها أكثر من لغة رسمية سويسرا وبلجيكا فهناك أكثر من لغة رسمية في سويسرا وهي: (الألمانية والفرنسية والإيطالية) وجميع هذه اللغات متساوية في الحقوق وكلها مستعملة في البرلمان.

(1) إبراهيم رزقانة: بعض مشكلات الجغرافيا السياسية، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة 1963، ص ص 17 – 18.

(2) جودة التركماني: الجغرافيا العامة أصول ومبادئ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة 2000/ 2001، ص240.

ويختلف الحال في بلجيكا عن سويسرا ؛ إذ يفصل الخط اللغوي بين الألمان الفلمنك وبين الوالون اللاتينين ، وقد هدد هذا الانقسام اللغوي وحدة الدولة في كثير من الأحيان ؛ لأن الوالون كانوا يتجهون نحو فرنسا ، بينما كان الفلمنك يولون وجوههم شطر ألمانيا . وكانت الغلبة لعنصر الوالون بعد الاستقلال مباشرة ، ولذلك جاهد الفلمنك للمساواة بهم . ووصل الفريقان أخيرًا إلى المساواة معًا وخفت مرارة الشعور الذي كان يكنه كل فريق للآخر . وبينما تتميز بعض القارات بالبساطة في تركيبها اللغوي نجد البعض الآخر يتميز بالتعقيد اللغوي الشديد. وتعد قارة أفريقيا من القارات الشديدة التعقيد لغويًا إلى أبعد الحدود حيث تضم القارة نحو 800 لغة. ومن أهم هذه اللغات: (العربية والأمهرية والهوسا والسواحيلية والتماشيكية البربرية والفاى الليبرية والولوف السنغالية). وكان عامل اختلاف اللغة من الأسباب التي أدت إلى وجود إحساس بالغربة بين القبائل المتجاورة خاصة في وسط القارة [1]. بل لقد ذهب التعدد اللغوي حتى إلى العناصر الأوروبية في جمهورية جنوب أفريقيا حيث يوجد البوير الذين يتكلمون اللغة الأفريكانية Afrikanns التي ترجع أصولها إلى الهولندية ، وكذلك الإنجليز الذين يتكلمون الإنجليزية ، وتضطر الدولة إلى الاعتراف باللغتين ويطلب من الموظفين إتقانهما معاً.

ولم تكن قارة آسيا أكثر حظًا من قارة أفريقيا بالنسبة لتعدد لغاتها وتعقدها ؛ إذ تضم الهند وباكستان نحو 220 لغة بصرف النظر عن عدد اللهجات المحلية . وقد اضطرت حكومة الهند بعد الاستقلال أن تعتمد الإنجليزية كلغة رسمية لتفادى هذا الخليط من اللغات وذلك عام 1965م ، ثم بعد ذلك قررت الحكومة الهندية اعتماد اللغة الهندية كلغة رسمية للبلاد وأصبحت بذلك اللغة الإنجليزية هي

(1) أحمد طاهر: أفريقيا في مفترق الطرق، سلسلة دراسات أفريقية، رقم 5 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965، ص28.

اللغة الرسمية الثانية ، حيث يتكلم بها المثقفون في البلاد ويتعلمها طلاب المدارس والجامعات الهندية. ولا تختلف الصورة في إندونيسيا عن نظيرتها في الهند وإن كانت اللغة الملاوية هي لغة التخاطب والتجارة . وفي الفلبين هناك نحو 46 لغة ، وإن كانت التاجلوج Taglog هي اللغة الرسمية وتستعمل أيضاً الإنجليزية والأسبانية على نطاق كبير. وتظهر الطرفة في الصين حين يفهم الصينيون بعضهم بعضًا حين يكتبون ولا يفهمون بعضهم بعضاً حين يتكلمون ، ويرجع هذا إلى أن اللغة الصينية تستخدم رمزا لكل كلمة ولكن هذه الرموز يختلف نطقها من مكان إلى آخر [1].

وتعتبر قارة أوروبا من القارات الشديدة التعقيد لغويًا فباستثناء ألمانيا والنمسا لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة وإن كان الامتداد اللغوى لدولة ما قد يظهر في دولة أخرى كما هي الحال في امتداد الفرنسية إلى بلجيكا وسويسرا، والإيطالية إلى سويسرا، والألمانية في جمهوريات التشيك والسلوفاك وبولندا وفرنسا وهكذا. هذا وتسود مجموعة اللغات الألمانية في وسط وشمال غربي أوروبا، بينما تسود مجموعة اللغات الرومانية في غرب وجنوب غرب وجنوب وسط أوروبا، بينما تسود السلافية في شرق القارة. ويعد حاجز اللغة أهم الحواجز التي تفصل الشعوب بعضها عن بعض فالشعوب السامية تتعاطف وتتفاهم لاشتراكها في اللغة ، وكانت وسيلة النبي محمد عليه الصلاة والسلام لتوحيد شأن الأمة العربية جمعها جميعًا حول لهجة واحدة هى لهجة قريش وهى اللغة العربية ولاتزال هذه اللغة هى الرباط الوحيد الذى يربط بين شعوب العرب ويجعلهم أمة واحدة تمتد بين المحيط الأطلنطى غرباً وحتى الخليج العربى شرقاً [2].

(1) محمد عبد الغنى سعودى: مرجع سبق ذكره، ص ص 56 –57.
(2) دولت صادق وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص ص56–57.

وقد سادت اللغة الإنجليزية في الجزر البريطانية على اللغات الغالية Gaelic القديمة ، وفرض الأنجلوسكسون لغتهم على سكان الجزيرة القدماء فاندثرت لغات كورنوول وأسكتلنده.

ولا شك أن وحدة اللغة هي المسئولة عن وجود الشعب الإنجليزى رغم تعدد أصوله وعناصره ، وتعدد اللغات الأصلية فيه. واتفاق المهاجرين الأوروبيين في أمريكا الشمالية في لغة واحدة هي في النهاية التي كونت ما يسمى بالشعب الأمريكي . وتسود اللغتان الأسبانية والبرتغالية في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية والاختلاف اللغوي بين كل من أمريكا الأنجلوسكسونية وأمريكا اللاتينية مسئول إلى حد كبير في الاختلاف الثقافي والحضاري لكل منهما في القانون ونظام الحكم والثقافة . ونشأة اللغة الهولندية من اللغة الألمانية السفلى ميز الهولنديين وجعلهم شعباً قائما بذاته مختلفاً عن الشعب الألماني الذي اشتقت لغته من الألمانية العليا . كما أن نشأة اللغة البرتغالية ميز اللغة البرتغالية وفصلهم عن الأسبان.

وقد عملت القوميات الحديثة التي أنشأت لها دولاً بعد الحرب العالمية الأولى على دعم قومياتها بجعل لغاتها هي اللغات الرسمية الوحيدة وفرضها فرضًا على الأقليات اللغوية والقومية الموجودة داخل حدودها. كما أن بعض الدول الحديثة قد عملت على إحياء لغتها القديمة التي كانت قد قاربت على الاندثار مثل إحياء اللغة الكلتية في أيرلندا، وإحياء اللغة العبرية في إسرائيل. ومن هذا القبيل أيضا محاولة الفرنسيين إحياء اللغة الأمزيغية(*) في المغرب والجزائر وإنشاء قومية أمزيغية تناهض بها القومية العربية السائدة في شمال أفريقيا.

(*) الأمزيغية ؛ هي لغة الجزائر في منطقة القبائل ، والمغرب وتونس ، وهنا في مصر يتحدث بها أهل سيوه ، ومن المعروف أن الأوروبيين كانوا يطلقون عليها اللغة البربرية ، وهي تسمية غير دقيقة .

3ـ الدين:

على الرغم من أهمية الدين كعامل مهم في بناء المجتمع إلا أنه في المجتمعات المتقدمة ليس عاملاً حاسمًا في تكوين القومية، بل ربما كانت اللغة أعمق أثرًا في التفريق بين الشعوب وتكوين القوميات من الدين.

ويمكن أن نقسم الدول إلى مجموعتين فيما يختص بالدين وهى[1]:

المجموعة الأولى:

وهى التي يسودها انسجام أو وحدة دينية وهى التي يعتنق أكثر من 80٪ من سكانها دين واحد كما في العالم العربي باستثناء لبنان.

المجموعة الثانية:

وهى التي تتعدد فيها الأديان كما في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا حيث يوجد في الأولى البروتستانت والكاثوليكية واليهودية ، بينما يوجد في الثانية الكاثوليكية والبروتستانت .

ويعتبر التجانس الديني لسكان دولة ما يجمع شتاتها ويوحد بينها رباط وثيق ويظهرهم للعالم كقوة لها شأنها ، والإسلام خير دليل في أثره على العرب ، حيث جمع شملهم وجعلهم يخرجون لنشر الدين وتعاليمه على العالم.

وإذا كان الدين يعتبر عاملا من عوامل التجانس السكاني للدولة إلا أنه لم يعد كما كان قديماً من الأسباب التي تثار من أجلها المنازعات ، حيث فترت روح التعصب الديني التي كثيرًا ما أشعلت الحروب في العصور القديمة والوسطى ، كما حدث في الحروب الصليبية التي استمرت سنوات طويلة وقد حل التسامح الديني نتيجة انتشار الثقافة ، وتغلب المصالح الاقتصادية والسياسية على الاعتبارات

(1) كلية الملك خالد العسكرية: الجغرافيا السياسية، ط 2 ، المملكة العربية السعودية 414 هـ ، ص ص40 –41.

الدينية ، ومع ذلك فمازال للدين دور مهم في حياة الدول وسياساتها ؛ لأنه يعد أحد مكونات المجتمع ، ويستطيع أن يدعم قاعدة البناء السياسي للدولة ، حيث تتميز كثير من الدول بديانة واحدة كما هي الحال في كثير من الدول الإسلامية والمسيحية والهندوكية والبوذية.

A- التركيب الإثنوجرافي:

ويقصد به الشعوب أو الأجناس Ethnos أو القوميات Nationalization التي توجد داخل إطار الوحدة السياسية والقومية ليس لها علاقة كبيرة بالجنس أو السلالة وأنه لا توجد سلالة نقية تماما ، بل نجد كثيرا من القوميات والشعوب تضم سلالات ذات أصول مختلفة كما في فرنسا على سبيل المثال.

وتعد اللغة عاملًا مهمًا في تكوين الأمة ؛ لأنها الوسيلة التي يستطيعون التفاهم بها والإعراب عن مثلهم وثقافتهم وأدبهم ، كما يؤدي الدين دورًا قويًا في تقوية الشعور القومي في حياة السكان.

ويقصد بالقومية شعورًا متبادلًا بين الأفراد يجعلهم متأثرين في عواطفهم وسلوكهم بفكرة الولاء لوطن لأنهم نبت أرض واحدة ومصالحهم السياسية والاقتصادية واحدة ، وأمانيهم وآمالهم واحدة يتأثرون بمؤثرات واحدة (سواء في الأحزان أو في الأفراح) ، بصرف النظر عن ميولهم الطائفية أو الدينية أو مصالحهم الفردية[1].

كما تقسم الأقليات إلى قسمين:

أ- أقليات قومية:

أي تدخل في تكوين القومية الأصلية للسكان مثل النوبيون في مصر والفرنسيون في كندا والألمان في البرازيل وشيلي ، والإيطاليون في الأرجنتين. كما

(1) محمد عبد الغنى سعودى: مرجع سبق ذكره، ص ص 62 -63.

يمكن أن يندرج تحت هذا النوع من الأقليات القومية فيما يعرف بالأقليات السلالية مثل الزنوج في الولايات المتحدة ، واليابانيين في البرازيل ، والباسك في فرنسا ، والأتراك في بلغاريا واللاب في السويد.

ب - أقليات غير قومية:

وهي الأقليات التي لم تنصهر مع غالبية سكان الدولة وبعضها قانع بوضعه في الدولة التي وجد نفسه فيها ، مثل البولنديون في ألمانيا ، والألمان في دول أوروبا الشرقية. والبعض الآخر من الأقليات لا أمل لها في الانفصال مثل الأرمن في تركيا وسوريا ، والإيطاليون في يوغسلافيا.

وأخطر الأقليات جميعًا هي التي تأمل في الانضمام إلى دولتها الأم[1].

جـ - أقليات دينية:

وهو نوع من الأقلية يعبر عن تجمع قطاع من السكان، في إطار من عدم التجانس والانسجام ، لكي تتألف الأقلية. ويكون العامل الديني هو محور التجمع أو سبب الانفصال ، الذي ينتهي إلى أغلبية و أقلية ، في داخل الإطار العام للكيان البشري.

وليس غريبًا أن يصنع الدين هذا التأثير، الذي يصنع مظهرًا من مظاهر التفرقة والتمزق ، بل قد يكون التأثير شديد الوطأة، إذا ما ترتب على ذلك نوعٌ من أنواع الاضطهاد الديني. وليس من الضروري أن يكون الاضطهاد مباشرًا، بل يكفي أن يترتب على الفروق الدينية انتقاص حق معين من حقوق الأقلية، لكي تحس بأحاسيس الأقلية، ولكي تعاني من تفوق الأغلبية وربما تسلطها[2].

(1) دولت صادق وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص82.
(2) صلاح الدين الشامي، مرجع سبق ذكره ، ص 112.

ومن أبرز الأقليات الدينية في العالم تلك الأقليات المسلمة المنتشرة في صربيا وسلوفينيا وكرواتيا ورومانيا ومقدونيا والجبل الأسود في قارة أوروبا ، فضلا عن بعض الجماعات البشرية القليلة العدد في نيبال وسريلانكا، وبورما وتايلاند وكمبوديا وفيتنام وتايوان والتبت وكوريا والفلبين في قارة أسيا.

5ـ الموارد الاقتصادية:

يعد البناء الاقتصادي القومي عنصرًا رئيسيًّا من عناصر قوة الدولة فقد كان الاقتصاد الزراعي والصناعي الأمريكي من العوامل الرئيسية في انتصار الحلفاء في الحربين الأولى والثانية ، كذلك مكن الاكتفاء الذاتي لألمانيا مقاومة حصار الحلفاء على السلع الاستراتيجية في كلا الحربين. وفي أوقات السلام فإن السيطرة الاقتصادية لدولة ما على دولة أخرى تحمل في طياتها سيطرة سياسية ، كذلك يؤدى التكامل الاقتصادي داخل أجزاء الدولة الواحدة التي توفر عوامل الترابط بينها كما هي الحال في أستراليا والولايات المتحدة وكندا ، حيث كانت الوحدة الاقتصادية عنصرا موحدا بين أجزاء هذه الدولة.

وقد ترتبط السيطرة الاقتصادية لدولة ما بسيطرة سياسية ومن أمثلة ذلك الإمبراطوريات السابقة حيث كان الضم السياسي مرتبطاً وملازما للتوسع الاقتصادي للدولة المسيطرة .

وحتى بعد الاستقلال فإن هذه المناطق تعد مرتبطة اقتصاديا لفترة من الزمن ما لم تحصل الدولة على استقلال سياسي واقتصادي حقيقيين[1].

وتعتمد قوة الدولة على مواردها الاقتصادية وقدرتها على الإنتاج الصناعي سواء لأغراض السلم أو الحرب ولا تصل الدولة إلى مرتبة الدول العظمى إلا إذا توافر لديها القدر الكافي من الموارد الاقتصادية الأساسية داخل حدودها أو كان لها من القوة والنفوذ ما يضمن الحصول على هذه الموارد من مواطنها الأصلية ، ومثل

(1) فتحي محمد أبو عيانه ، مرجع سبق ذكره، ص ص 489 –490.

هذا الشرط من شأنه أن يحول دون بلوغ الكثير من الدول نيل هذه المرتبة ، وليست العبرة بتوفر الموارد الاقتصادية المتنوعة في الدولة ، وإنما المقياس كذلك هو استغلال هذه الموارد واستثمارها بدرجة تكفل معها الرخاء للدولة في وقت السلام والقدرة على الدفاع في وقت الحرب وذلك أمر مهم ؛ لأن القدرة العسكرية للدولة تعد مقياساً مهمًّا من مقاييس عظمتها.

وتقاس المقدرة الاقتصادية للدولة بعدة طرق أهمها حجم الناتج القومي أو الدخل القومي ، كذلك تقاس بمتوسط نصيب الفرد من الدخل أو الإنتاج القومي وليس حجم الناتج القومي كافيًّا هو الآخر ، بل العبرة في الارتباط الأمثل بين الحجم والتقدم ونوع الإنتاج والخدمات التي تنتج ومدى الدور الذي يؤديه كل منها للدولة سلمًا أو حربًا[1].

ومهما كانت أهمية وفرة أو ندرة الموارد الطبيعية في البناء الاقتصادي إلا أن وجود الاكتفاء الذاتي في جميع الموارد عند دولة معينة مسألة مستحيلة، فالولايات المتحدة مثلا لا تعيش في اكتفاء ذاتي برغم وفرة مواردها المتنوعة . وهذا ما حدا ببعض الدول إلى الحديث عن المناطق الاقتصادية في العالم ؛ أي التعامل مع منطقة تضم مجموعة دول بموارد مختلفة . وأمام مشاكل الاقتصاد الدولي المتزايدة في أواخر القرن العشرين يتجه العالم نحو التكتلات الاقتصادية الدولية، وعاد الحديث عن اقتصاد السوق الحر بعد فشل النظام الاقتصادي الموجه داخل الكتلة الشرقية، في الوقت الذي يبرز دور الصناعات الإلكترونية بعد دخول العالم مرحلة ما بعد الثورة الصناعية [2].

6ـ النقل والموصلات:

من أهم عوامل تقدير قوة الدولة أن تكون هناك شبكة مواصلات تستطيع بواسطتها نقل الناس والمعدات من مكان إلى آخر في سهولة ويسر.

(1) المرجع السابق: ص490.

(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره ، ص ص 34-35 .

فبدون وسائل المواصلات يصعب نقل المواد الخام إلى المراكز الصناعية والمواد المصنوعة إلي الأسواق. ويصبح الدفاع عن الدولة من أكبر المشاكل التي تواجهها الدول إذا لم يكن هناك وسيلة لنقل الجيوش والمعدات والمؤن بين أجزاء الدولة . ويمكن القول بأن هناك خطوطاً من الطرق والسكك الحديدية تعتبر إستراتيجية من الدرجة الأولي وضعت من أجل التسهيلات الحربية ولم يؤخذ في إنشائها أي حساب للجانب الاقتصادي . فإذا نظرنا إلي الطرق العديدة التي مدتها حكومة الهند في جبال الهمالايا وإلى الحدود الهندية الصينية لوجدنا أن الهدف من بناء هذه الطرق هو عسكري أكثر منه اقتصادي[1] . كما يتعذر الدفاع والهجوم إن لم تكن هناك وسائل سريعة للنقل تتحرك عليها الجيوش والأدوات الحربية من مكان إلى آخر، ولا تكاد دولة من الدول تخلو من وجود بعض الطرق الإستراتيجية والخطوط الحديدية الإستراتيجية. ويعتبر مد الخطوط الحديدية أو الطرق من العوامل التي تساعد على الوحدة القومية لأنها تربط سكان الأمة بعضهم ببعض، وتمتلك معظم الدول شبكات من الطرق أو الخطوط الحديدية ، تنتشر من العاصمة إلى الأطراف كما في فرنسا وبريطانيا[2] ولا يتم نمو الدولة وانتشارها وسيطرتها على جزء منها إلا إذا كانت هناك شبكة من الطرق المعبدة أو السكك الحديدية أو عدد من المطارات التي تهبط فيها الطائرات يوميًا .

فاتحاد كل من كندا وأستراليا والولايات المتحدة ما كان يتم لولا أن مدت الطرق المعبدة وخطوط السكك الحديدية إلى جميع أجزاء الأراضي الفيدرالية. ولم يستطع الاتحاد السوفيتي أن يسيطر على أراضية لو لم يمد الخط الحديدي الممتد من موسكو غربًا إلى جبال الأورال وسيبيريا وحتى الساحل الشرقي المطل على المحيط الهادي عند مدينة فلاديفوستك. ومن ثم أخذت عدة تفرعات لهذا الخط لتكون نواة

(1) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، ص 61 .

(2) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 81 .

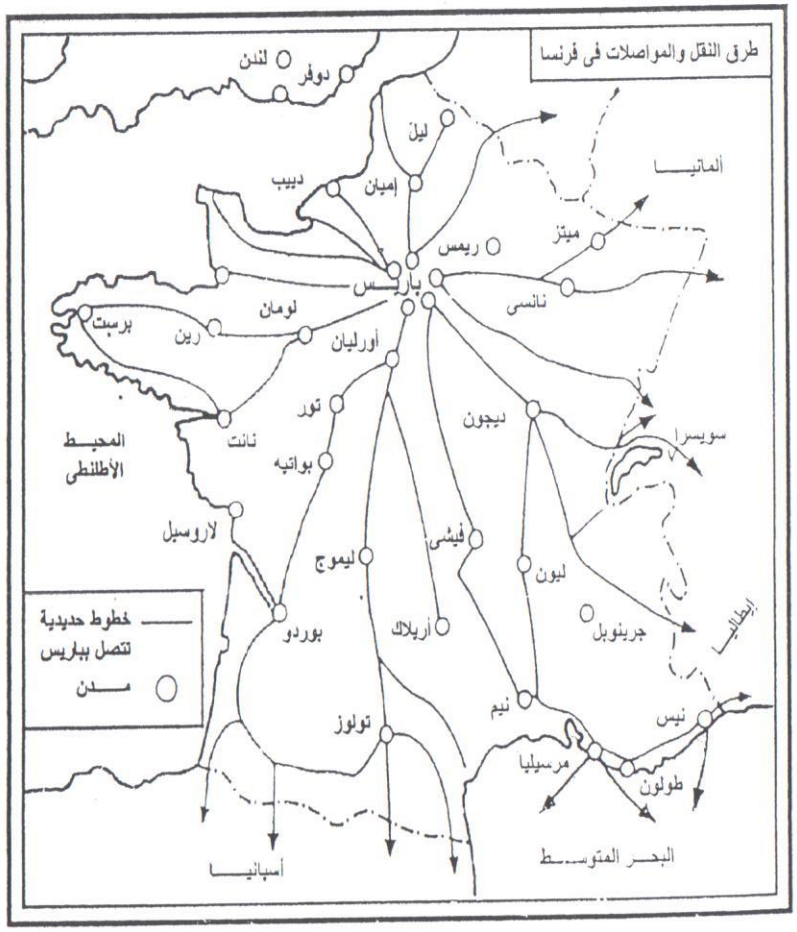

شكل (30) : طرق النقل والمواصلات في فرنسا وارتباطها بالعاصمة باريس

بتصرف عن: محمد عبد الغني سعودي

الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية في ضوء الاستراتيجية العالمية

تطور مفهوم الجغرافيا السياسية في القرن التاسع عشر وتفرع عنها مضمون جديد يعرف بالجيوبولتيكا Gopolitik ، وإذا كانت الأفكار الجيوبوليتكية قديمة ترجع إلى الإغريق إلا أن الجيوبولتيكا لم يظهر كعلم له أساسيات محددة ، إلا في مطلع القرن العشرين، حيث ظهرت مجموعة من النظريات والقواعد المنظمة لهذا العلم والتي ترتبط بحالة السلم وبالعلاقات الدولية بوجه عام .

ويتناول هذا الفصل مفهوم الجيوبولتيكا وتطورها ، والعلاقة بينها وبين الجغرافيا السياسية، ثم يتعرض لدراسة مفهوم الاستراتيجية وأهم النظريات التي تحكمها .

أولاً: تعريف الجيوبولتيكا ومجالها:

الجيوبولتيكا هو مصطلح مكون في الأصل من كلمتين إغريقيتين هما (Geo) وتعني الأرض و(politique) وتعني سياسة الدولة. وإذا كانت الجغرافيا الساسية علم وصفي تحليلي يعالج العلاقات المكانية المتصلة بالوحدة السياسية ، فإن الجيوبولتيكا يعالج هذا الموضوع ولكن في إطار المصالح القومية العليا وفي إطار السياسة الدولية .

والجيبولتيكا مصطلح جديد، وأول من ابتكره هو العالم السويدي رودلف كيلين Rudolf Kiellen أستاذ التاريخ والنظم الحكومية في جامعة جوتبرج في السويد (1864–1922) ، وقد ظهر هذا المصطلح الجديد في كتابه الذي أصدره تحت عنوان "الدولة كمظهر من مظاهر الحياة" والذي نشره سنة 1917م .

وعرف كيلين الجيوبولتيكا بأنها "نظرية الدولة ككائن جغرافي أو ظاهرة تشغل حيزًا من الأرض" وأهم ما يعني به هذا العلم دراسة الوحدة السياسية (الدولة) في إطار بيئتها الجغرافية. غير أن الإلمام بعلم الجغرافيا أو بعلم السياسة كل على حدة لا يكفي لفهم الجيوبولتيكا؛ لأن معرفة كل من الأرض والدولة معًا يعدان من أهم مجالاتها[1].

ويعرف " جون كيفير" John E. Kieffer الجيوبولتيكا في كتابه" الحقائق والقوى العالمية " Realites and world power" ؛ إذ يقول « أن الجيوبولتيكا تتكون من عدة أشياء ولكنها في الأساس عبارة عن نهاية السلوك الأولي الذي يعتبر فيه الدولة الأم الحقيقة الأساسية ؛ لذا فهي تكون قاعدة تقوم عليها السياسة الخارجية أو قد تكون السياسة الخارجية بذاتها. ويقول: أن هذه النظرة ما هي إلا نمو طبيعي نابع من حضارة صناعية على مستوى عال » وعليه يمكن القول حسب رأيه أن الجيوبولتيكا ما هي إلا السياسة الخارجية للدولة من وجهة النظر الوطنية[2].

وقد ورد تعريف الجيوبولتيكا في مجلة الجيوبولتيكا "Geoplitika" الألمانية عام 1928م بأنها "أي الجيوبولتيكا هي علم علاقة الأرض بالعمليات السياسية. وأن موضوعها يقوم على قاعدة جغرافية عريضة ولاسيما على الجغرافيا السياسية التي هي علم الكائنات السياسية في مكانها وبيئتها[3].

وتظهر الفكرة الأساسية للجيوبولتيكا الألمانية واضحة في مختلف التعاريف التي صدرت عن معهد ميونيخ للجيوبولتيكا the Geopolitical Institute of Munich وأهم هذه التعريفات هي [4]:

(1) فيفلد، بيرسي، مرجع سبق ذكره، ص 11.
(2) عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 129 – 130.
(3) المرجع السابق، ص 130 .
(4) فيفلد، بيرسي، مرجع سبق ذكره، 11 – 12 .

- الجيوبولتيكا هي النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض.
- الجيوبولتيكا هي العلم الذي يبحث في المنظمات السياسية للمجال الأرض وتكوينها.
- الجيوبولتيكا هي الأساس العلمي الذي يقوم على فن العمل السياسي للدولة في كفاحها المميت من أجل حصولها على مجالها الحيوي.

وهناك من يرى في الجيوبولتيكا أنها تعني أمرًا آخر عما ورد ذكره ، فهي على رأي الجغرافي الفرنسي ديمانجون "Demangon" ، حيث عرف الجيوبولتيكا « بأنها عبارة عن مسعى وطني الغرض منه الدعاية والتعليم، وأنها دراسات تهدف إلى تبرير الأهداف السياسية لدولة معينة »

ولقد جاء في إحدى الإذاعات الألمانية – أثناء الحرب – عن تعريفها للجيوبولتيكا بأنها "علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات، وأنه يهدف بصفة خاصة إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدول وساستها"

كما جاء في مجلة " Zeitschrift Fur Geopolitik" الألمانية تعريف الجيوبولتيكا بأنها "العلم الذي يبحث في درجة اعتماد الأحداث السياسية على الأرض وهي قائمة على الأسس العامة لعلم الجغرافيا السياسية التي تبحث في التنظيمات السياسية للمجال الأرضي وكل من العاملين المكاني والزماني . وهي تهدف إلى تجهيز الدولة بالأسلحة التي تستعين بها عند القيام بأي عمل سياسي، والتي يمكن أن تسترشد في توجيه حياتها السياسية.. فهي والحالة هذه يجب أن تصبح الضمير الجغرافي للدولة" يتضح من التعريف السابق مدى تأثير محرري المجلة الألمانية بتعريفهم للجيوبولتيكا بأراء كل من راتزل وكيلين .

ثانيًا: العلاقة بين الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية:

من خلال العرض السابق يتضح مدى العلاقة القديمة التي تربط الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية لدرجة أن معظم الكتاب بمن فيهم الكتاب الجغرافيون يخلط بين العلمين ويعتبر أن الجيوبولتيكا مرادف للجغرافيا السياسية .

وإذا كانت الجيوبولتيكا كما ذكر كيلين تتناول حيوية الدولة وحركتها في مجالها الإقليمي وفي المجتمع الدولي في ضوء الحقائق الجغرافية ، فإن الجغرافيا السياسية تدرس الحقائق الجغرافية التي تسهم في تكوين سياسة الدولة وشخصيتها. أو بتعبير آخر ، أن الجغرافيا السياسية تهتم بتحليل بيئة الدولة تحليلًا موضوعيًا، أما الجيوبولتيكا فتقوم على دراسة الدولة من ناحية مطالبها وأهدافها على مستوى السياسة الدولية. لذلك فإن دارسي الجغرافيا السياسية هم " معتدلون" في دراسة التأثيرات الجغرافية، أما دراسو الجيوبولتيكا فهم "متطرفون" ويرون أن التأثيرات الجغرافية هي الأساس في قوة الدولة وعلاقاتها الخارجية في مجريات السياسة الدولية.

تأسيسًا على ذلك نستنتج أن الجيوبولتيكا هي دراسة متحركة -تتميز بديناميكية معينة-. وعرضة لعوامل التغيير، لكن يبقى العامل الجغرافي مؤثرًا في العلاقات الدولية. وأن الدراسات الجيوبولتيكية لا تتوقف عند حد التعرف على دراسة وتحليل الحوادث الماضية، بل تركز كذلك على الحاضر وما سيكون عليه المستقبل. وإذا كان بعض الكتاب والدراسيين يرى أن الفوارق ضئيلة بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا، ومنهم من يراهما مفهومًا واحدًا كما سبق أن أشرنا، غير أننا نعتقد بوجود فاصل أساسي بينهما هو في كون الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة الدولة كما هي كائنة، بينما تسعى الجيو بولتيكا إلى تصورها كما يجب أن تكون في ضوء المعطيات الجغرافية[1].

(1) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص62 .

وعلى ذلك فإن الجغرافيا السياسية هي الأصل الذي تفرعت منه الجيوبولتيكا، أو بمعنى آخر أن الجيوبولتيكا هي أحد فروع الجغرافيا السياسية.

ويعبر عن ذلك كارل هاوسهوفر بقوله : "إن الجيوبولتيكا وليدة الجغرافيا السياسية ؛ لأنها المحرك لما يتناوله هذا العلم الأخير من حقائق فتجعل منها مادة يستعين بها الزعيم السياسي" والفرق بين العلمين إنما يظهر بالتأكيد على أحدهما. وقد أوضح أوتومول Otto maul أحد كتاب معهد ميونج في معرض حديثه لتوضيح الفرق بين الجيبولولتيكا والجغرافيا السياسية بقوله : "أن الجيوبولتيكا تعني بالمطالب المكانية للدولة، في حين تقتصر مهمة الجغرافيا السياسية على فحص ودراسة ظروف مجالها الأرضي"

هذا وتستمد الجيوبولتيكا مادتها من أربعة مصادر هي: الجغرافيا السياسية والتاريخ، ثم الدراسات التخصصية في موضوعي الامبريالية (الاستعمار) والاستراتيجية العسكرية والبحرية والجوية. وقد سبق أن تناولنا أهمية الجغرافيا السياسية بالنسبة للجيوبولتيكا. أما بالنسبة للصلة بين الجيوبولتيكا وعلم التاريخ فيجب الإشارة إلى أن الأحداث التاريخية في نظر الجيوبولتيكيين ما هي إلا مظهر من مظاهر النشاط الجغرافي. فالظروف الجغرافية في وادي النيل وفي دجلة والفرات كانت من غير شك مواتية لقيام الحضارات النهرية، في حين أن الجسر الذي يربط بينهما كان من المحتم على الفاتحين لهذين الواديين – الأشوريين والفرس والأغريق – عبوره .

وللتاريخ عناصره الثلاثة: الإنسان والمكان والزمان . أما الجيوبولتيكا فلها عنصران اثنان فقط: الأرض الدولة، وهي في تفسيرها للحاضر تعتمد على تفسير الماضي، كما أن الأحداث الجيوبولتيكية المستقبلية تنتج عن الظروف الحالية.

كما أن الجيوبولتيكا ترتبط بالإمبريالية (الاستعمار) والدراسات المتعلقة بها. فالعمل على تأسيس الإمبراطوريات كان من الصفات المميزة لسياسات دول المحور منذ قيام الفاشية والنازية والنزعة العسكرية اليابانية. يقابل هذا من الناحية الأخرى الرغبة الطبيعية عند الدول الاستعمارية الكبرى المحافظة على ممتلكاتها.

وتتعدد العوامل التي تدفع الدول إلى التسلط الاستعماري ومنها الرغبة في تملك مصادر المواد الأولية، وإيجاد سوق لتصريف منتجاتها ومصنوعاتها، والبحث عن أراضٍ يمكن أن تستوعب الفائض السكاني لهذه الدول الاستعمارية، والاكتفاء الذاتي لهذه الدول من الناحية الاقتصادية، فضلا عن احتلال القواعد الاستراتيجية. وتوضح الخريطة السياسية للعالم عام 1919م النتائج التي ترتبت على سياسة التوسع الاستعماري من الناحية السياسية . فقد كان لبريطانيا إمبراطورية تعادل 140 مرة قدر مساحتها، ولهولندا ما يساويها 60 مرة، ولفرنسا 20 مرة قدر مساحتها ، وفي حالة اليابان كانت مساحة مستعمراتها بعد الحرب العالمية الأولى تبلغ أربعة أمثال مساحة بلادها الأصلية، كذلك إيطاليا بعد ضم الحبشة وليبيا إليها، فقد أصبحت النسبة بين رقعة البلاد الأصلية والبلاد التي تستعمرها كنسبة 1 : 12، أما ألمانيا فكانت معاهدة فرساي قد جردتها من كل مستعمراتها[1].

هذا وتعد دراسة الاستراتيجية العسكرية والبحرية والجوية مصدرًا مهمًا آخر من مصادر الجيوبولتيكا ولا يزال الأميرال ماهان المرجع الأول في كل ما يتعلق بالقوة البحرية، كما يتزعم القائد كلاوس فيتز Clauesvitz جميع من كتبوا عن القوة البرية. أما عن الاستراتيجية الجوية فيحتل الماجور سيفيرسكي Seversky مكانة كبيرة في هذا المجال. والجيوبولتيكيون دائبون على الاستفادة من التجارب التي أحدثتها الحروب الماضية. فالنصر البحري الذي أحرزه البريطانيون في موقعة

(1) فيفلد، برس، مرجع سبق ذكره، ص 16 – 17 .

"الطرف الأغر" سنة 1805م ، هيأ الفرصة أمام علمهم أن يرفرف على جميع البحار، وقد تجلى هذا في حرق مدينة واشنطن سنة 1814م ، وفي الحصار الذي فرضوه على الساحل الإطلنطي للولايات المتحدة ، وفي حرب الأفيون" ضد الصين (1840–1842) وما تبعهم من استيلائهم على ميناء هونج كونج ، كذلك تجلت هذه السيادة في "حرب القرم" ضد الروس (1854– 1856) والغارة البحرية على ميناء" برتروبا فلوفسك) Petropavlovsk في شبه جزيرة "كمتشكا"، وفيما قاموا به من جعل المحيط الهندي في أوائل القرن التاسع عشر بحيرة بريطانية مع استمرار النفوذ البريطاني داخل بلاد الهند، وفي حرب البوير بجنوب أفريقيا (1899–1902)[1].

ثالثًا: تطور الجيوبولتيكا:

إن موضوع دراسة الجيوبولتيكا ليس أمرًا حديث النشأة رغم حداثة المصطلح الذي أطلق عليه والذي يرجع إلى القرن العشرين فقد وردت إشارات في التاريخ القديم توضح العلاقة بين السلوك السياسي للإنسان وبيئته الجغرافية. فقد أشار أرسطو (383–322ق.م) إلى الدولة المثالية في كتابه عن السياسة، وذكر أن أهم عناصر قيام الدولة هي عدد السكان وموارد الثروة ، وأن العلاقة بين هذين العنصرين هي التي تحدد مدى قوة الدولة أو ضعفها كمركب سياسي. وأعتقد بأن عدد السكان يجب إلا يكون كبيرًا حتى لا يصعب حكمة، وألا يكون صغيرًا بحيث يستضعف، ورأي أن الاعتبار السياسي يؤدي دورًا كبيرًا في تحديد الحجم الأمثل لسكان الدولة المثالية من أجل تحقيق الرفاهية لكل فرد في مجتمعها[2] .

كما أشار أرسطو إلى السلوك البشري وأثره في السياسة حيث ذكر ان سكان البلاد الباردة وبصفة خاصة سكان أوروبا لديهم روح قوية، ولكن ذكاءهم

(1) المرجع السابق، ص 15 – 16 .

(2) محمد محمود الديب الجغرافيا السياسية منظور معاصر، مرجع سبق ذكر، ص2 .

ومهارتهم، محدودين، وهذا هو السبب في رأيه في أنهم يحيون حياة حرة نسبيًا دون أن يحرزوا أي تقدم سياسي، أو يبدو أية مقدرة على حكم غيرهم" أما سكان آسيا في رأيه فهم موهبون في الذكاء والمهارة الفنية ولكن تنقصهم الروح وهم من أجل هذا يحيون حياة استعباد وتبعية.

كما أشار استرابو (63ق.م –21م) في كتابه "الجغرافيا" إلى إمكانيات الإمبراطورية الرومانية ودولتها الأم "إيطاليا"، من حيث أنها (أي إيطاليا) تتمتع بموقع ممتاز ومناخ ملائم، وموارد متعددة، وهي لذلك تحتل المكان الطبيعي الأكثر ملائمة لقيام دولة تتسع مساحتها من حولها (أي إمبراطورية) وأن يكون بالدولة الأم (إيطاليا) مقر حكم هذه الإمبراطورية[1].

وأشار العالم العربي الشهير " ابن خلدون " المتوفي سنة 880 هـ في مقدمته الشهيرة "مقدمة ابن خلدون" ميل سكان وسط أفريقيا إلى الدعة والمرح على ضوء ظروف المناخ السائدة هناك، ووضع قوانين توضح تطور الدولة واحتلالها على أساس رابطة الدم التي تجمع بين أفراد القبيلة وتشد بعضهم إلى بعض.

وفي العصور الوسطى: أشار "بودان" Bodin (1530–1596م) في كتابه Six livers de la Republique أن الخصائص القومية تختلف باختلاف المناخ والسطح فشعوب الأقاليم الباردة، والمناطق الجبلية يتميزون بالقوة والنظام والشجاعة، وحيث أن الشخصية القومية تختلف باختلاف البيئات، فإن التركيب السياسي للدول يتأثر إلى حد كبير بهذا التباين".

أما مونتسيكيو Montisquieu (1689–1755) فقد أشار في كتاب "روح القوانين" L,spritdelois "أن المناخ البارد يرتبط عادة بالحرية السياسية، بينما يؤدي

(1) محمد متولي، محمود أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص 28.

المناخ الحار إلى العبودية المطلقة، والسهول الفسيحة تسمح بتكوين إمبراطوريات فيها. بينما تنمي الجبال الشعور بالاستقلال والحرية، كما أن سكان الجزر (يقصد الجزر البريطانية) يمكنهم أن يدافعوا عن حريتهم بفاعلية أكثر من سكان الجهات القارية[1].

وقد ظهرت إشارات عن الجيوبولتيكا دون أن يذكر هذا المصطلح فنجد هنريلش فون فريتزكي Heinrilch Von Freitscke وهو أستاذ ألماني في علم التاريخ ينادي دائمًا بتوسيع رقعة الرايخ عن طريق الفتح العسكري. كما عمل كارل ريتر Karl Ritter على توسيع النواحي العلمية للدراسات الجغرافية اعتقادًا منه أن التاريخ إنما يكشف عن الطريقة التي استطاع الإنسان بواسطتها أن يكيف نفسه وفق بيئته الطبيعية. وكان "ريتر" أستاذًا لعلم الجغرافيا في جامعة برلين وكان يقوم إلى جانب ذلك بالتدريس في الكلية الحربية الألمانية.

وقد ذكر ريتر أن القارات تعتبر أعضاء رئيسية لكائن حي عظيم إلا وهو الكرة الأرضية الحية. ومن رأيه أن الحركات البشرية وتاريخ الشعوب تتأثر بظروف السطح والمناخ، وأن قيمة الأساس الجغرافي للإنسان تتغير دائما مصاحبة تطور قواه وتقدم التاريخ.

أما فرديريك[2] راتزل Firedrich Ratizel (1844–1904) فقد ارتقى بعلم الجغرافيا السياسية إلى درجة يمكن أن تبدأ عندها الجيوبولتيكا، وقد تم له بعد دراسة مستفيضة للعلوم الطبيعية، وكان له إسهامات في هذا المجال من خلال مراسلته لجريدة Kolnische Zeitung أن يشغل كرسي الجغرافيا في جامعة ليبزج

(1) محمد عبد المجيد عامر، مرجع سبق ذكره، ص 27.

(2) تنطلق باللغة الألمانية فردريش.

وقد نشر في سنة 1896م ، في مجلة Petermanns Mitteilungen مقالا عنوانه **"قوانين النمو الأرضي للدول"** ومع أن "راتزل" اعتبر نفسه جغرافيا سياسيًّا إلا أن أتباعه اعتبروا دراساته وكتاباته جيوبولتيكية. وقد وضع راتزال مجموعة من القوانين سميت باسم **"قوانين التوسع السبعة"** والتي بموجبها تنمو الدول وأهم هذه العوامل القوانين هي[1]:

1- إن رقعة الدولة تنمو بنمو الثقافة Kulture فكلما انتشر السكان وحملوا معهم طابعًا خاصًا للثقافة، فإن الأراضي الجديدة التي يحتلها هؤلاء تزيد في مساحة الدولة"

2- "إن نمو الدولة عملية لاحقة لمختلف مظاهر نمو سكانها، وهذا النمو يتبع التوسع التجاري والنشاط التبشيري.

3- إن نمو الدولة يستمر حتى تصل إلى مرحلة الضم ، وذلك بإضافة وحدات صغيرة إليها"

4- " إن حدود أية دولة تكون العضو الخارجي للدولة وتحدد مدى نموها"

5- "إن الدول في نموها تسعى إلى ضم الأقسام السياسية المختلفة مثل السهول والأنهار والمناطق الساحلية والمناطق الغنية بثروتها المعدنية أو بإنتاجها الغذائي".

6- "إن المحرك الأول للتوسع الأرضي بالنسبة للدول البدائية يأتي من الخارج على يد حضارة أعلى من حضارتهم.

7- "إن الميل العام للتوسع ينتقل من دولة إلى دولة أخرى ، ثم يتزايد ويشتد." وينطبق على هذا القانون المثل القائل (أن الشهية تزداد نتيجة لتناول الطعام) .

(1) فيفلد، بيرسي، مرجع سبق ذكره، ص 26 – 27 .

والخلاصة : أن راتزل يرى في الدولة كائنًا حيًّا تدفعه الضرورة للنمو حتى ولو دفعه هذا إلى استخدام القوة.

وكان كتاب راتزل في الجغرافيا أول كتاب يتضمن قواعد الجغرافيا السياسية التي عرفت حتى الوقت الذي ظهر فيه. ويظهر في صفحات هذا الكتاب بصورة واضحة فكرة راتزل في أن مساحة الرقعة التي تشغلها الدولة تعد أفضل معيار يستدل منه على قوتها في أراضيها. ومن أراء راتزل أن الحدود السياسية بين الدول ما هي إلا علامات مؤقتة تشير إلى ظروف معينة بالنسبة للصراع القائم بين الدول في سبيل التوسع الإقليمي.

كما رأي أن الدول الصغرى لا سبيل لها في الحياة وأنها ستفنى لا محالة ؛ لأن الدول الكبرى المجاورة ستبتلعها، ولا يبقى في النهاية إلا الدول الكبرى القوية، وحتى هذه الدول فإنها ستدخل في نضال مرير مع بعضها البعض من أجل السيطرة على العالم[1] .

رابعًا: النظريات الجيوستراتيجية العالمية:

الإستراتيجية Strategy هي كلمة يونانية الأصل تعني في الاصطلاح فن أو علم القيادة العامة في الحرب ؛ أي جميع التدابير اللازمة لتحقيق النصر[2] وقد اشتقت الكلمة من ستراتيجوس Strategus اليونانية بمعنى القائد، وتقوم بوضعها القيادات العليا البرية والبحرية والجوية متعاونة. وقد استخدمت أيام اليونان لتعني فن قيادة القوات العامة .

وقد تطور استخدام المصطلح على يد " **كلاوس فيتز**" في القرن التاسع عشر الذي درس العلوم العسكرية على أسس عقلية فعرف الإستراتيجية على أنها "نظرية

(1) محمد متولي، محمود أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص 30 .

(2) أحمد عطية الله، القاموس السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 54 .

استخدام المعارك كوسلية للوصول إلى هدف الحرب" في ضوء مفهومه الأساسي الذي يقول بأن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخري وعلى الرغم من وجاهة تعريف كلاوس فيتز فإن المنظرين العسكريين الرئيسيين مثل " ليدل هارت" وأندريه بوفر" و "ماوتسي تونج" و "سوكولوفسكي" قدموا تعريفاتهم المختلفة والتي يجمع بينها الاتفاق على أنها علم وفن إعداد الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة بشكل مباشر وغير مباشر من أجل تحقيق هدف السياسة الذي تتعذر تنفيذه بوسائل أخرى[1].

والإستراتيجية لا تقتصر على كسب معرفة في ميدانها ، بل تشمل الخطة العامة لكسب الحرب فتعمل على كل ما من شأنه القضاء على الروح المعنوية للعدو وزلزلة اقتصادياته بتخريب مراكز الإنتاج الحربي والمدني على حد سواء وإعاقة خططه العسكرية بتدمير شبكات مواصلاته، فمن ثم كان نجاح الإستراتيجية في الحروب الحديثة الشاملة تستلزم تعاون جميع أسلحة الجيش، وقد كان لاستخدام السلاح الجوي لاسيما قاذفات القنابل ، ثم الغواصات من العوامل المهمة في تطوير الإستراتيجية العسكرية المعاصرة، فضلا عن التهديد اليوم باستخدام الأسلحة النووية.

ويختلف مفهوم الإستراتيجية عن التكتيك Tactics ، فهو فن القيادة على أرض المعركة ذاتها، فإذا كانت الإستراتيجية هي التخطيط الذي يوضع لكسب الحرب، فالتكتيك يوضع لخوض كل معركة على حدة، وقد اشتقت الكلمة أيضًا من كلمة تاسين اليونانية، وهي فعل معناه يهيئ للحرب. وتتغير الإستراتيجية والتكتيك حسب الظروف، وإذا كان التكتيك أكثر تغيرًا ومرونة حسب ظروف كل معركة، وحالة العدو وتكتيكاته. فإذا قلنا الإستراتيجية العالمية، فهي إذًا فن

(1) الموسوعة السياسية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت 1990، ص 169 – 170.

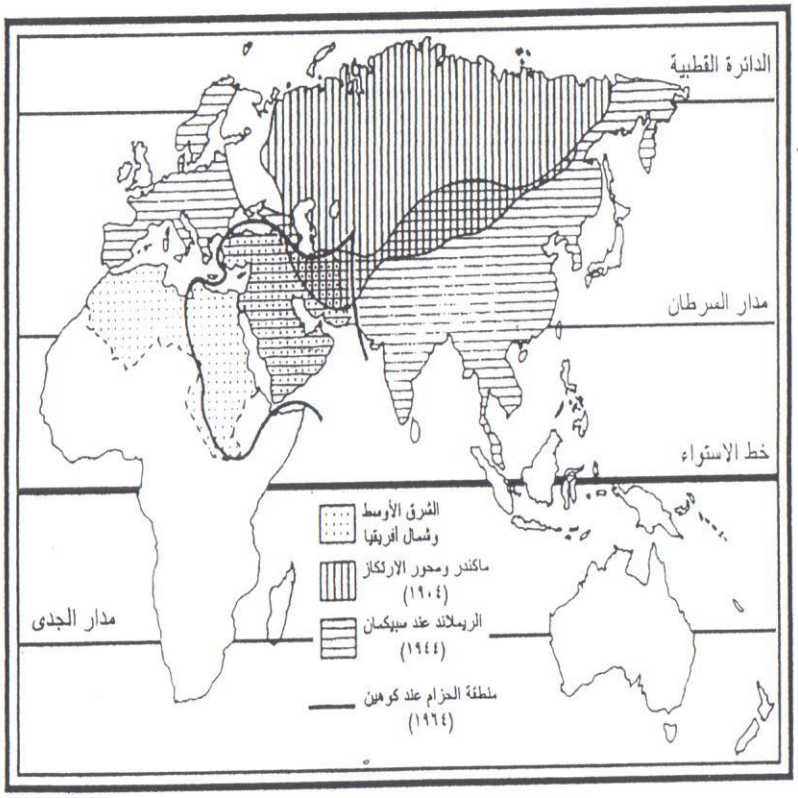

شكل (31) : الملامح الجيوبولتيكية للعالم (ماكندر – سبيكمان- كوهين)

استخدام القوة ولكن على مستوى عالمي[1]. والتعريف المألوف للإستراتيجية العالمية، فهي إذًا فن التخطيط العسكري في مجال التطبيق ومع ذلك فقد تجاوز مفهوم الإستراتيجية العمل العسكري إلى العمل الاقتصادي والسياسي، فأصبحت تعني جميع جوانب التخطيط، العسكري والاقتصادي والسياسي في إطارها العملي أو التطبيقي.

وقد ظهرت الحاجة إلى اصطلاح آخر يتفق مع الأهمية الكبرى للجغرافيا بالنسبة للعلاقات القومية والدولية ككل فمن هنا ظهر الاصطلاح المقترح – الجيواستراتيجية أو الإستراتيجية الجغرافية[2].

والجيوستراتيجية هي التخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري، الذي يهتم بالبيئة من ناحية استخدامها في تحليل تفهم المشكلات الاقتصادية أو السياسية ذات الصفة الدولية. وبعبارة أخرى تبحث الجيوستراتيجية في المركز الاستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية سواء في الحرب أو السلم، فتتناوله بالتحليل إلى عناصره أو عوامله الجغرافية العشرة وهي: الموقع، الحجم، الشكل، الاتصال بالبحر، الحدود، العلاقة بالمحيط، الطبوغرافيا، المناخ، الموارد، والسكان[3].

وتتعدد النظريات الجيوستراتجية التي تتناول قوة الدولة على المستوى العالمي سواء على مستوى البر أو البحر أو أطراف العالم وفيما يلي دراسة لهذه النظريات:

(1) محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره، ص 518.

(2) يطلق عليها البعض الجغرافيا الاستراتيجية ويعرفها بأنها جغرافية الخطط العسكرية كالتدريب وهندسة العمليات وبيئة مناطق العمليات ومصادر الدعم فهي بهذا تدرس أثر العوامل البيئية على الأنشطة العسكرية "والتنبؤ بما سيحدث في ظل ظروف معينة.

(3) أمين عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 36 – 37.

هاوسهوفر وفكرة المجال (1869–1946).

ولد كارل هاوسهوفر K. Houshofer سنة 1869م، في ميونخ ودرس في أكاديمية الحرب حتى سنة 1909م وقد أوفدته هيئة أركان الحرب الألمانية إلى اليابان كمراقب عسكري في سنة 1908م عندما كان ضابطًا صغيرًا في الجيش فدرس النظم اليابانية وصار خبيرًا في شئون الشرق الأقصى والمحيط الهادي.

وقد زاول مهنة تدريس الجغرافيا في جامعة ميونخ قبل الحرب العالمية الأولى وخلال تلك الحرب ترقى في العسكرية حتى وصل إلى رتبة قائد في الجيش الألماني، ولكنه بعد انتهاء الحرب عاد إلى ميونخ ليتولى من جديد تدريس الجغرافيا السياسية والعلوم العسكرية عام 1919م، حيث كتب نظرياته الجيوبولتيكية في عدة كتب ومئات من المنشورات والمقالات حتى وصل فيها إلى منصب الأستاذية سنة 1920، ثم أسس بعد ذلك بقليل معهد ميونخ للجيوبولتيكا، وفي سنة 1924م، بدأت مجلة الجيوبولتيك الألمانية Zeitochrift fur تنشر آراءه الخاصة في الجيوبولتيكا.

وكان من طلابه أحد مساعديه في الحرب وهو "رودولف هيس" الذي كان صديقًا حميمًا لهتلر وعلى يده تمت مقابلة هاوسهوفر لهتلر في سجنه في قلعة لاندرزبرج ويقال أن هذه المقابلة وما دار فيها من نقاش أوحت لهتلر بالفصل الرابع عشر من كتابه "كفاحي" الذي حدد فيه أهداف السياسة الخارجية للحزب النازي. كما قابل بعد الحرب رودولف كيلين وتعاون معه حتى وفاة كيلين سنة 1922م وأصبح الوريث العقلي له.

وعلى هذا فإن مبدأ المجال الحيوي Lebensraum الذي نادى به القائد هاوسهوفر" والذي طبقه أدولف هتلر متصل اتصالا وثيقًا بفكرة أن "الدولة كائن حي" وهذه إحدى تعاليم "راتزل".

ويبدو أن فكرة المجال أخذت تظهر بعد انتصار ألمانيا على فرنسا سنة 1870م وظهورها كقوة قارية منافسة لبريطانيا في الصناعة والتجارة، وبعد أن تعرف الألمان على ممتلكات القوى الدولية القديمة على أساس جغرافي. ومن الآراء السياسية لهاوسهوفر أنه كان يتفق مع راتزل في أن المحيط الهادي له أهمية استراتيجية كبيرة وأنه منطقة من مناطق السيطرة؛ إذ يمكن السيطرة منها على العالم كله وكان يتفق مع راتزل أيضًا في أن الدولة كائن حي وأنها في حاجة إلى التوسع الإقليمي، ولكنه كان يختلف عن راتزل في أنه كان قوى النزعة، وأنه كان لذلك يسخر فكرته دائمًا لخدمة بلاده وفي تحقيق مطالبها السياسية[1].

ويعد هاوسهوفر أكثر من كتب عن الجيوبولتيكا، وله سلسلة دراسات ومؤلفات كان أهمها كتابه "القوة والعالم" Macht und Erde المنشور سنة1935م. إن المجال الجغرافي عند هاوسهوفر هو الذي يتحكم في تاريخ البشر، وأن الدولة التي لا تنمو وتتوسع تهلك وتندثر وقد اتخذ معهد ميونخ تبريرًا لهذا التوسع هو فكرة ضغط السكان وكثافتهم؛ لأن الزيادة السكانية تتطلب مزيدًا من الثروات الطبيعية ومزيدًا من المساحات.

وكان هاوسهوفر يعتقد أن السيادة على المجال يجب أن تأتي عن طريق العوامل الجغرافية والبشرية، وأن مشكلة ألمانيا تكمن في عدد سكانها "الكبير" 85 مليونًا في عهد هتلر" على مساحة جغرافية قدرها 600 ألف كم^2، في حين أن دول أوروبية أخرى تسيطر على مساحات أكبر وعدد سكانها أقل من الشعب الألماني، وهكذا أصبحت نقطة المجال الحيوي Space vital متداولة عن القادة الألمان، وباتت حلا مرتقبًا للمشكلة الألمانية، وطريقًا نحو التقدم والقوة[2].

(1) محمد متولى، محمود أبو العلا، مرجع سبق ذكره، ص38.
(2) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص ص 68 – 69.

وفي الناحية العسكرية رأي هاوسهوفر أن القوة العسكرية تقوم على ثلاث أدوات هي: الجيش والأسطول وسلاح الطيران. أما عن الجيش فيقول "لايزال المشاة هم الذين يقررون مصير القتال؛ لأنهم هم الذين يستولون على المجال الأرضي" ويقول في القوة البحرية "إن زحف أية دولة من الدول نحو المجد يجب أن ينظر إليه على أنه خطوة من الخطوات السياسية الحاسمة في تاريخ العالم" ولما كانت السيادة البحرية ضرورية لنجاح العمليات الحربية الواسعة أصبحت أحد أساسيات القوة العسكرية للدول، أما السلاح الجوي فقد كان في رأي هاوسهوفر عبارة عن قوة مكملة للجيش والأسطول فقط، هذا وقد أبرز هاوسهوفر في كتاباته الفرق بين الحدود القارية والحدود البحرية للدولة فالأولى تحد من نموها، أما الثانية فتفتح الطريق أمامها إلى مختلف البحار والسواحل.

وذكر هاوسهوفر أن الصراع استمر طويلًا بين قوى البر والبحر معًا في مجمل الأحوال، رأي هاوسهوفر وزملاؤه في معهد ميونخ للجيوبولتيكا أن نهاية الصراع سوف تتقرر بوصول القوة البرية إلى شاطئ البحر وأن القواعد الحربية المحدودة بدأت تفقد أهميتها الاستراتيجية لتحل محلها القواعد الكبرى، فمنطقة قناة السويس بدون قيمة حربية إذا لم تخضع كل من مصر وفلسطين لدولة واحدة، وجزيرة سنغافورة محدودة الأهمية في شبة جزيرة الملايو إذا ما قيست بمنطقة جنوب شرق آسيا كلها[1].

وأخيرا يجب أن نشير إلى أن فكرة المجال ارتبطت بالتوسع الإقليمي، وهذا ما طبقته الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية داخل الأراضي العربية، ولكن مع عنصرية أشد من العنصرية النازية.

(1) عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره ص 148.

ماكندر وقلب العالم (1861–1947)

يعد السير هالفورد ماكندر Sir Holford Mackinder أحد الجغرافيين البريطانيين البارزين ، وقد شغل هذا الأستاذ عدة مناصب علمية، فكان مديرًا ونائبًا لرئيس الجمعية الجغرافية الملكية .

وتعد نظرية قلب العالم HeartLand والتي جاء بها ماكندر أول نظرية عامة في الاستراتيجية العالمية ، كما أنها إحدى النظريات المعروفة في مجال صراع القوى العالمية وقد جاء بنظرية في مقال له ألقاه في الجمعية الجغرافية الملكية تحت عنوان "محور الارتكاز الجغرافي لعلم التاريخ" The Geogrphical Pivot of History أوضح فيه باختصار الأسس التي بنى عليها نظريته، ومضمون النظرية أن ماكندر نظر إلى العالم ككل نظرة كوكبية، فوجد أن الماء يشغل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية، بينما يشغل اليابس ربع مساحتها فقط، كما وجد أن قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) تشغل ثلثي مساحة اليابس ، ثم لاحظ أن هذه القارات الثلاث يسكنها من سكان العالم نحو 90٪، بينما لا يسكن القارات الأخرى سوي 10٪ من سكان العالم .

واعتبر قارات العالم القديم الثلاث قارة واحدة ضخمة أطلق عليها جزيرة العالم World Island ويرى ماكندر أن من يستطيع أن يسيطر على هذه الجزيرة العالم فإنه يستطيع أن يسود العالم. وأن أية قوة بحرية لن تقف في وجه القوة البرية بحكم أن الأخيرة ستكون مسيطرة على هوامش الجزيرة العالمية بما في ذلك القواعد البحرية مثل جبل طارق وعدن وبومباي وسنغافورة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القوة البرية بما تمتلك من إمكانيات بشرية وموارد طبيعية ستكون في مركز أقوى يمكنها من غزو أية قارة أخرى أو جزيرة خارجية وفرض السيطرة عليها.

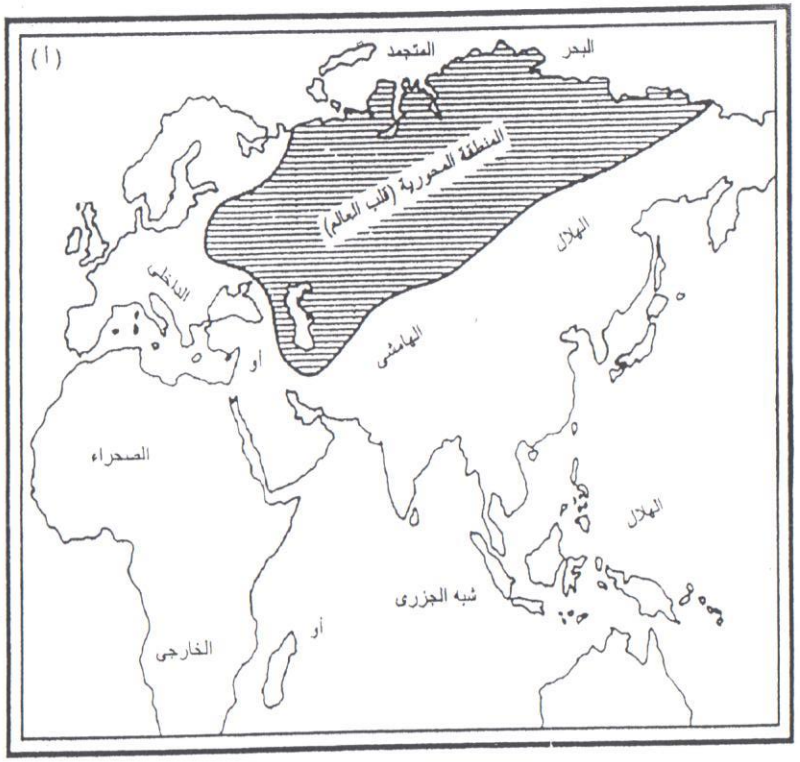

شكل (32): ماكندر وقلب العالم

ويرى ماكندر أن الدول التي تستطيع أن تضع يدها على قلب العالم ستكون هي الدول العظمى في العالم ويرجع ذلك للأسباب الآتية:

1- أن هذه الدول ستكون في منأي عن أي هجوم إلا من ناحية الغرب.

2- تتمتع هذه الدولة بأمان كاف يتيح لها استغلال مواردها وإمكانياتها، وتصبح دولة متقدمة في مجالات الزراعة والتعدين والصناعة، ومن ثم يصبح قوة اقتصادية كبرى لا تستطيع أي دولة أخرى أن تنافسها.

3- ستستطيع هذه الدولة أن تبني قوة عسكرية عظمى تتيح لها الزحف في كل الاتجاهات، ومن ثم تستطيع أن توسع من مجالها إلى أقصى حد، ففي أوروبا تتوسع غربًا وجنوبًا، وفي آسيا شرقًا وجنوبًا بشرق، ثم إلى بقية الجزيرة الكبرى، وأما بقية العالم فسيكون أمره سهلًا[1].

يرى ماكندر كذلك – أن السيطرة على جزيرة العالم لن تأتي إلا للقوة التي تشغل أواسط آسيا، تلك المنطقة الداخلية المحمية الشاسعة المساحة التي تمتد من حوض نهر ينسي في الشرق حتى شرق أوروبا في الغرب، ومن المحيط القطبي في الشمال حتى تركيا ومنغوليا في الجنوب. وقد أطلق على هذه المنطقة في أول الأمر منطقة الارتكاز Pivot Area، ثم أطلق عليها فيما بعد قلب العالم (الهارتلاند) Heartland[2].

ويرى ماكندر أن حركة التاريخ البشري ليست إلا صراعًا بين الدول القارية والدول البحرية، فالدول القارية تسعى دائمًا وأبدًا إلى شواطئ البحار وخاصة

(1) محمد عبد المجيد عامر، مرجع سبق ذكره، ص35.

(2) محمد صبحي عبد الحكيم: دراسات في الجغرافيا العامة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة 1980، ص ص 292-293.

البحار الدافئة، ومن هذه الدول روسيا وألمانيا والنمسا والمجر. بينما تسعى الدول البحرية إلى بسط سلطانها على قلب القارات، هكذا فعلت أسبانيا والبرتغال، ومن بعدها فرنسا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا، وغيرها من الدول الأوروبية البحرية. ويرى ماكندر أن الصراع بين القوى العالمية سيكون في صالح القوى القارية وليس القوى البحرية.

ويمكن تلخيص نظرية ماكندر بالعبارات المشهورة الآتية:

" أن من يسيطر على شرق أوروبا يتحكم في قلب العالم"

"وإن من يسيطر على قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم"

"ومن يسيطر على جزيرة العالم يتحكم في العالم كله"

ولكن مفهوم قلب العالم (الهارتلاند) عند ماكندر تغير بعد ذلك في عام 1919م وذلك أثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس. عندما نشر كتابًا عنوانه "المثل العليا للديمقراطية والحقيقة الواقعة" Democratie Ideals and Reality"، حيث مد حدود نطاق قلب العالم نحو الغرب ليشمل قسمًا من اسكندیناوه ويخترق من شبه جزيرة جوتلاند، ويمتد عبر وسط أوروبا على امتداد جبال دالماشيا وعبر مضيق الدردنيل ومعظم آسيا الصغرى؛ أي أنه أضاف كل أوروبا الشرقية بما تحويه من موارد اقتصادية وسكان، كذلك أدمج في قلب العالم مناطق التبت وأعالي الأنهار الصينية والهندية في منغوليا والتبت.

ومع أن الدول الأنجلو سكسونية لم تعر كتاباته أي اهتمام يذكر إلا أننا نجد هاوسهوفر قد قرأ كتاباته، اقتنع اقتناعا راسخًا بصحة نظريته، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فأثارت حوادثها في النهاية اهتمام كل من إنجلترا وأمريكا بآراء هذا الكاتب الكبير وأعيد طبع كتابه في سنة 1942م. وفي سنة 1943م وكان

قد تقدم به العمر فأعاد صياغة أفكاره عن نظرية قلب العالم عندما نشر مقالا جديدًا في مجلة الشئون الخارجية (عدد يوليو سنة1943) حيث اتسمت أراؤه بالواقعية عن ذي قبل ، حيث وجد أن 9/ 12 من مساحة الكرة الأرضية تغطيها مياه البحار، وأن الأرض اليابسة لا تشغل سوى 3/ 12 من مساحتها، كما لاحظ وحدة البحار واتصالها ببعضها البعض مما يبرر أن نطلق عليها جميعًا اسمًا واحدًا هو المحيط العالمي World Ocean بدلا من تعدد أسمائها : الأطلنطي والهادي والهندي والمتجمد الشمالي والمتجمد الجنوبي ، وقد تبدو جزيرة العالم التي يحيط بها المحيط العالمي غريبة على آذان من اعتادوا التقيد بالتوزيعات الجغرافية على اعتبار أنها قارات ومحيطات، ولكن هذه الحقيقة تتضح ، إذا نحن تذكرنا أن أوروبا ما هي إلا شبه جزيرة لآسيا لا يفصلها عنها سوى جبال أورال، مثلها في ذلك مثل الهند، التي تكون هي الأخرى شبه جزيرة صغيرة لآسيا ، تفصلها جبال الهيمالايا عن بقية القارة.

أما أفريقيا فتواجه أوروبا وتطل عليها بسواحل البحر المتوسط لمسافة 3800 ميل، وهي تتصل في الوقت نفسه - بقارة آسيا اتصالا كاملا عن طريق برزخ السويس[1] واتصالا غير كامل عن طريق مضيق باب المندب عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، ولا يفصل بينهما وبين أوروبا سوى مضيق جبل طارق الذي يمثل المدخل الغربي للبحر المتوسط، ويفصل بين جنوب أسبانيا وشمال المغرب ويتراوح اتساعه بين 12 – 36كيلو مترًا كما أن اصطلاح Mediterranean - أي البحر

(1) انفصلت آسيا عن أفريقيا بعد حفر قناة السويس عام 1869م ولكن في الواقع إن آسيا تكاد تكون متصلة ؛ لأن قناة السويس عرضها لا يتجاوز نصف كيلو متر ، ويتم العبور بين الجانبين الشرقي والغربي للقناة عن طريق نفق الشهيد أحمد حمدي والذي يمر أسفل القناة وحديثًا عبر كوبري الفردان.

المتوسط - اسم ملائم لهذا البحر ؛ لأنه مصطلح مركب من عبارة لاتينية معناها البحر الذي يتوسط اليابس، واليابس هنا هو أوروبا وأسيا وأفريقيا[1] .

كذلك تصور ماكندر منطقة ارتكاز أخرى ولو أنها أقل أهمية من سابقتها وسماها القلب الجنوبي وتتكون هذه من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ذلك الحد الطبيعي المنيع الذي يفصل بين الجنسين الأبيض والأسود وتفيض مياه هذا القلب من الهضاب الداخلية إلى كل من النيجر والكونغو والزمبيزي والأورانج واللمبوبو . وتصلح الأجزاء العليا لهذه الأنهار كلها للملاحة إلى مسافات طويلة تبلغ مئات الأميال، وتقل صلاحية هذه الأنهار بالقرب من مصباتها بسبب وجود الشلالات. وثمة وجه آخر للشبه بين منطقتي القلب الشمالية والجنوبية ، ذلك أن كلاً منهما يوجد به غابات وحشائش كثيرة . ويتصل القلبان الشمالي والجنوبي، بعضهما ببعض عن طريق جسر بلاد العرب ، وبلاد العرب في رأي ماكندر هي تلك التي تمتد من النيل غربًا إلى ما وراء الفرات الشرق ، وهي مسافة تبلغ 800 ميل ومن سفوح جبال طوروس شمالًا حتى خليج عدن ؛ أي ما يبلغ 1800 ميل . وتمتاز هذه المنطقة بوجود ثلاث طرق مائية منها وهي النيل والبحر الأحمر ، ثم نهر الفرات والخليج العربي. كما أن بلاد العرب نفسها تكون طريقًا بريًا بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي .

ماهان والسيادة العالمية (1840– 1914)

الفرد ثاير ماهان Alferd thayer Mahan ، هو مؤرخ وضابط بحري أمريكي ولد عام 1840م ، وتخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية عام 1859م ، وقد أشار إلى الدور الذي يؤديه البحر في تقرير مصير البشرية، حيث ألف كتابًا في الاستراتيجية العالمية تحت عنوان "أثر القوة البحرية في التاريخ فيما بين سنتي

(1) فيفلد، بيرسي، مرجع سبق ذكره، ص ص 29 – 30 .

1660، 1873" (the Influence of sea power upon History) وتتلخص نظرية ماهان في القوة البحرية بأن السيطرة على البحر ضرورة أولية للسيادة العالمية ، وما من دولة يمكن أن تكون قوة برية وبحرية كبرى في آن واحد، باستثناء فرنسا التي تشرف على سواحل المحيط الأطلنطي وعلى سواحل البحر المتوسط في نفس الوقت.

وقد أكد ماهان أهمية التطور البحري في تاريخ الدول، كما أكد أن أهم عامل جغرافي يؤثر في قوة الدولة لا يكمن في عدد الكيلو مترات المربعة من الأراضي التي تمتلكها الدولة بقدر ما يكمن في طول سواحلها وفي طبيعة موانيها.

وقد أدت الكشوف الجغرافية – خاصة – إلى تغيير المقياس الاستراتيجي للعالم ، وإلى اتساع أبعاده البحرية والبرية، وإلى تغيرات واسعة النطاق في أهمية المواقع الجغرافية، وظهر في هذه الفترة بما يعرف بجيوستراتيجية "القوة البحرية" بكل وضوح، وارتبطت هذه الاستراتيجية بالأبعاد الجديدة للعالم، وبالعلاقات الجديدة بين اليابس والماء، وبالتوزيع الجديد لأهمية المواقع الجغرافية، وانطلقت هذه القوى البحرية (البرتغال، أسبانيا، هولند، إنجلترا، فرنسا وغيرها) لتسيطر – تقريبًا – على العالمين القديم والجديد معًا.

وكانت بريطانيا النموذج الأساسي للقوى البحرية، حيث كونت إمبراطورية برية واسعة تفصلها عن البحار والمحيطات، ولم يكن لها أن تحقق ذلك – منذ البداية – ولا أن تحافظ طويلا على ما حققته دون أن تضع لنفسها استراتيجية محكمة تتحرك في إطارها. تجلت عناصرها فيما يلي[1]:

- تفوق عوامل القوة البحرية، وإمكان السيطرة على اليابس من البحر.
- التوسع البحري في مناطق العالمين القديم والجديد.

(1) عمر الفاروق: قوة الدولة، دراسات جيوستراتيجية، مرجع سبق ذكره، ص ص 82 – 83 .

- إحكام السيطرة على الطرق الموصلة بينها وبين إمبراطوريتها.
- التأمين العسكري للمناطق والطرق معًا، والسيطرة على أعالي البحار بواسطة أسطول متفوق شديد الفاعلية.

لذلك أكد ماهان أن بريطانيا تعتبر القوة الأولى في العالم لما تتمتع به من موقع بحري، أو من قواعد منتشرة في العالم[1] ، تمكنت من المحافظة على تفوقها البحري. ورأي أن الولايات المتحدة وهي آمنة في حدودها الحالية تكاد تشبه الجزيرة ويمكنها أن تخلف بريطانيا في السيطرة البحرية العالمية وترث إمبراطوريتها[2] .

كما أكد ماهان أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تمتلك قوة بحرية قوية وقواعد بحرية حولها سواء في جزر هاواي نحو الغرب أو منطقة البحر الكاريبي ونيوفوندلاند في الشرق .

كما رأى ماهان أن الدولة التي تقع على البحر يجب أن يكون لديها قوة بحرية مدعمة بجيوش برية ليس في أراضيها فحسب بل ، وفي قواعد خارج حدودها حتى يمكنها أن تدفع الخطر عن أراضيها قبل أن يصل إلى سواحلها. لقد ركز ماهان اهتمامه إلى تاريخ أوروبا وشمال الأطلنطي والمحيط الهندي وأشار إلى ما قاله ماكندر ينطبق على الاتحاد السوفيتي كقوة بريه تتمتع بمساحات شاسعة من الأراضي بحيث يصعب الوصول إلى وسطها وخاصة وسط آسيا ، كما أشار إلى أن المنطقة الواقعة بين خطي عرض 30 درجة ، 40 درجة شمالًا ما هي إلا منطقة نزاع بين القوى البرية ممثلة في الاتحاد السوفيتي والقوى البحرية ممثلة في بريطانيا في ذلك الوقت، وأن قناة السويس وقناة بنما سوف يكونا منطقتيْ نزاع سياسي في المستقبل.

(1) سيطرت بريطانيا على العديد من المواقع البحرية الإستراتيجية في العالم ، مثل جبل طارق وقناة السويس ومضيق باب المندب وسنغافورة.

(2) محمد مرسي الحريري، مرجع سبق ذكره، ص 502 .

وتنبأ ماهان بأن كلا من بريطانيا واليابان وألمانيا والولايات المتحدة سوف تجد من مصلحتها السيطرة على كل من الاتحاد السوفيتي والصين، وكان يرى أنه لا بد من وجود عازل بحري بين أمريكا والاتحاد السوفيتي بحيث تسيطر أمريكا على البحار والمحيطات ألّا تدع القوى المعادية لها أن تنزل إلى مياه المحيطات. ورغم ما حققته بريطانيا من قوة وبروز عالمي - بعد قرون - في إطار هذه الإستراتيجية، إلا أنها وغيرها من القوى البحرية قد فقدت قواعدها البحرية البعيدة (المستعمرات) وتراجعت عن سيادتها العالمية، وحلت محلها قوى أخرى (الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، الصين) وتعتمد هذه القوى من النواحي الجغرافية على قواعدها البرية الخاصة الكامنة.

وقد تحققت نظرية ماهان بعد الحرب العالمية الثانية بتفوق الولايات المتحدة الأمريكية وبروزها الفائق كقوة عالية نظرًا لوفرة القاعدة الأرضية الكافية من حيث المساحة والنوع، فضلا عن موقعها البحري وتبنيها نفس الاستراتيجية البحرية البريطانية. كما قدر لفروض ماكندر عن القوى البرية" - أيضا - أن تتحقق مع البروز الفائق للاتحاد السوفيتي في ذات الساحة، وأيضًا في ذات الفترة[1].

سبيكمان والهلال الهامشي (1893- 1943)

نيكولاس سبيكمان Nicolas J. Spykman أستاذ بجامعة ييل Yale للعلاقات الدولية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو من المتعمقين في السياسة العالمية، حيث اهتم بصفة خاصة بالعلاقة بين الجغرافيا السياسة الخارجية ونشر عددًا من المؤلفات التي مربها العالم في الحربين العالميتين وراقب اتجاهات الدول، وخاصة

(1) فقد الاتحاد السوفيتي مكانته كقوة عظمى منذ الحرب العالمية الثانية وحتى عام 1991م، حيث تفكك إلى مجموعة من الجمهوريات وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العظمى الوحيدة في العالم.

ألمانيا والاتحاد السوفيتي في الوصول والتحكم في أوراسيا وخرج بنتائج عديدة أهمها أن لموقع الدولة الجغرافي أهمية كبرى في رسم سياستها الداخلية والخارجية وبالرغم من أنه قد شك في قدرة منطقة قلب الأرض من السيطرة على العالم؛ لأنه كان يعتقد بأن الاتحاد السوفيتي لا يتمتع بالميزات التي تؤهله لمركز القيادة. فالأحوال المناخية والثروات الطبيعية في روسيا كما رآها لا تشجع على التوسع لقد كان سبيكمان ينظر إلى أن مركز الثقل في الاتحاد السوفيتي هو روسيا الأوروبية وليس في القسم الآسيوي من الاتحاد السوفيتي غير أن سبيكمان خرج بنظرية جديدة لتوزيع القوى في العالم سماها " حافة الأرض أو الريملاند Rimland " ويقصد بحافة الأرض الهلال الداخلي والذي يطوق قلب العالم. لقد اعتبر سبيكمان حافة الأرض وهي المنطقة الساحلية التي تفصل بين قلب العالم والبحار والمحيطات من أهم مناطق العالم من الناحية الاستراتيجية ويشمل إقليم الحافة معظم قارة أوروبا باستثناء روسيا الأوروبية وآسيا الصغرى والجزيرة العربية والعراق وإيران وأفغانستان والهند وجنوب شرقي آسيا والصين وكوريا. اعتبر هذه المناطق مناطق التقاء أو مناطق التصادم بين القوى البرية ممثلة في قلب العالم والقوى البحرية ممثلة في الدول الكبرى غير الاتحاد السوفيتي وألمانيا[1].

وقام سبيكمان بتعديل نظرية ماكندر في الاستراتيجية العالمية لتضبح على النحو التالي:

"من يتحكم في إقليم الحافة[2] يسيطر على أوراسيا".

"من يتحكم في أوراسيا يسيطر على العالم".

(1) حسين حمزة بندقجي، مرجع سبق ذكره، ص190.

(2) يقصد بالحافة هنا المناطق الساحلية أو ما يعرف بالهلال الداخلي أو الهامشي.

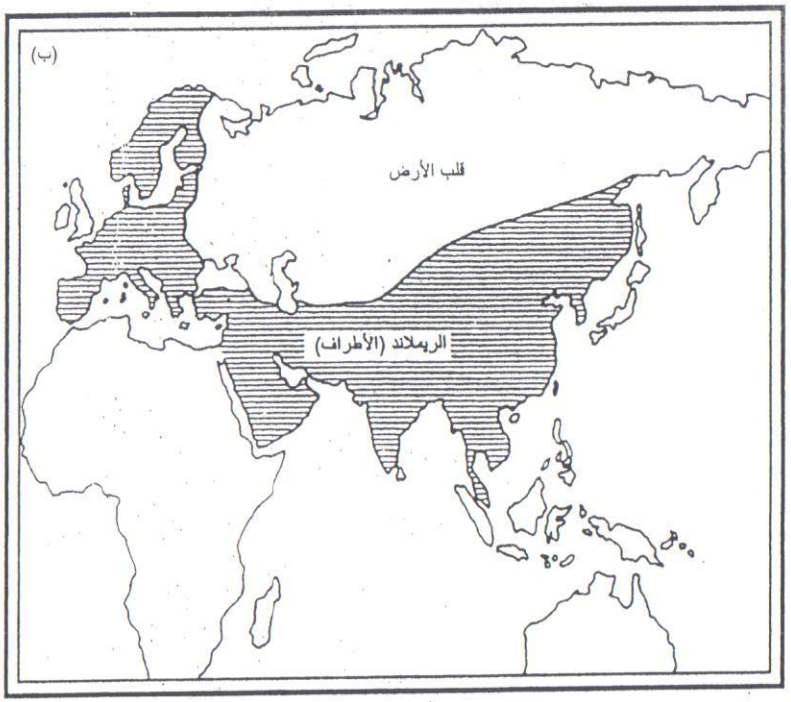

شكل (33): سبيكمان ومنطقة الريملاند (الأطراف)

والخلاصة : أن سبيمكان يتفق مع ماكندر في أن الصراع العالمي في حقيقته هو صراع بين قوى البر وقوى البحر. غير أنه يختلف معه في تقدير مستقبل هذا الصراع إذ أنه ينتهي إلى أن النصر في هذا الصراع، سيكون لقوى البحر وليس لقوى البر.

سفيرسكي والقوى الجوية:

في أعقاب التقدم التكنولوجي الذي ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت نظريات جديدة في المجال السياسي ترى بأن الجو هو الميدان الذي تكمن فيه القوة العالمية.

ويعتبر "الكسندر دي سفيرسكي" De seversky من أكبر المؤيدين لهذه النظرية الجديدة حيث نشر كتابًا في سنة 1950م تحت عنوان "القوى الجوية مفتاح البقاء" Air power Key to survival وقد أشار سفيرسكي إلى أن القوى الجوية هي السلاح الفيصل في الصراع العالمي، ذلك أن الطيران قد أفقد عامل "الموقع" الجغرافي قيمته الحيوية. كذلك يرى سفيرسكي أن أمريكا اللاتينية هي مجال السيادة الجوية للولايات المتحدة، بينما مجال السيادة الجوية للاتحاد السوفيتي هو جنوب وجنوب شرق آسيا، وأفريقيا جنوب الصحراء، وهناك مجال مشترك للسيادة الجوية للدولتين معًا وهو أمريكا الشمالية، وقلب اليابس الأوراسي وأوروبا البحرية، وشمال أفريقيا، والشرق الأوسط وفي هذا المجال المشترك للقوانين سيتقرر مصير الصراع العالمي تبعًا لسيادة إحدى القوانين.

وقد تعرضت أفكار سفيرسكي للنقد بعد تقدم أسلحة الدمار الشامل في عقد الخمسينيات الستينيات من القرن العشرين، كما برزت قوى إقليمية في شمال العالم أو في جنوبه ذات سيطرة جوية هامة خارج سيطرة القوتين العظميين. وهناك من دعا في مجال السيطرة الجوية إلى الربط بين أوراسيا وأمريكا الشمالية عبر المنطقة القطبية بواسطة الطيران، وذكر جورج رينر Renner في سنة 1944م أن هذه المنطقة هي بمثابة قاعدة السيطرة العالمية الجديدة في الحرب والسلم[1].

وثمة رأي آخر هو رأي "سليسور" Silessor وهو أن القوى الجوية ما هي إلا ملحق للقوى البرية والبحرية، ذلك أن السيادة الجوية وحدها لن تقرر المصير النهائي للصراع العالمي. ويعتقد سليسور في نظرية معادلة إقليم الحافة - قلب

(1) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، ص 73.

اليابس، كما يرى أن هناك مجالين للحرب المحدودة هي: الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا. وفي مثل هذه الحروب المحدودة يرى أن السيادة الجوية هي مفتاح العمليات الحربية البرية والبحرية [1].

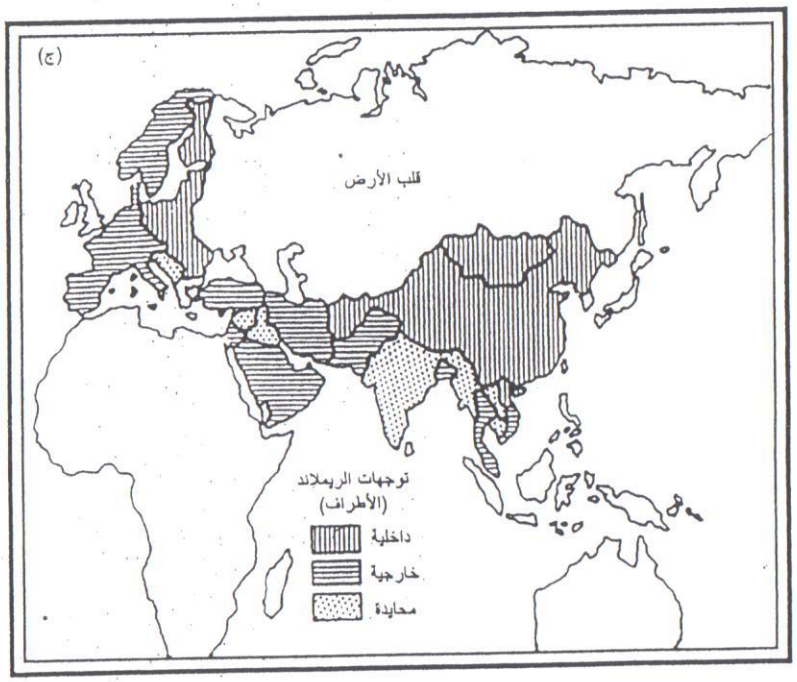

شكل (34): مينج وتوجهات الريملاند (الأطراف)

(1) silessor, j., the Great Deterrent, New york 1957, PP 264-285– 285
نقلاعن: محمد صبحي عبد الحكيم: الجغرافيا العامة، مرجع سبق ذكره، ص 298 .

الفصل السابع

الجغرافيا السياسية للمضايق والممرات البحرية العالمية

الجغرافيا السياسية للمضايق والممرات البحرية العالمية

الممرات البحرية هي الفتحات التي تصل بين بحرين أو مسطحين مائيين، وهي إما طبيعية وتشمل المضايق، وإما صناعية وتشمل القنوات البحرية.

وسوف نتعرض في هذا الفصل لدراسة المضايق في البداية ، ثم نتبعها بدراسة القنوات البحرية.

أولاً المضايق:

المضيق عبارة عن ممر بحري يصل بين مسطحين مائيين ويفصل جزئين من اليابس أو أكثر عن بعضهما ، وقد يقل عرض المضيق ليصل إلى بضعة أمتار مثل المضايق التركية بالقرب من اسطنبول. وقد يتسع عرضه ليصل إلى 32 كيلو مترا أو أكثر مثل مضيق دوفر بين بريطانيا وفرنسا، ومضيق بيرنج بين روسيا والولايات المتحدة، ولذا فإن المياه لا تعتبر مضيقًا بالمعنى الجغرافي إلا إذا توافرت فيها الشروط التالية[1]:

1- أن تكون جزءًا من البحر.
2- أن تكون محدودة الاتساع.
3- ألا تكون قد تكونت بطريقة صناعية.
4- أن تفصل منطقتين من الأرض وتصل بين منطقتين من البحر، فلولا المضيق لانفصلت المنطقتان البحريتان انفصالا كاملاً.

(1) موسوعة السياسة، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص ص 231 – 313.

وقد عرفت محكمة العدل الدولية المضيق بأنه "ممر بين جزئين من الأرض يصل بين جزئيين من البحر المفتوح".

لكن هذا التعريف الذي ينطبق على المفهوم الجغرافي للمضيق ليس بتعريف كاف[1]، فليس كل مضيق جغرافي خاضعًا لأحكام القانون الدولي. ولتحديد المضايق التي يحكمها القانون الدولي وعلينا أن نحدد أمرين: **أولهما**: أي المضايق يدخل في سيادة الدولة الشاطئية، **وثانيهما**: المعيار الذي نحدد به المضايق التي يسمح فيها بحق المرور البرىء. وسوف نوضح هذين الأمرين بشيء من التفصيل:

1- **المضايق الداخلية والمضايق الدولية**: تنطبق الحجج التي تُشَبِّه الخليج بالإقليم الوطني على المضيق ؛ لأن أمن الدولة أكثر تعرضًا للخطر بالنسبة للمضيق ؛ ولذا فإن الاتجاه هو جعل مياه المضيق مياها داخلية وإغلاقها في وجه مختلف الأغراض عدا الملاحة.

ويفرق القانون الدولي بين نوعين من المضايق في هذا الشأن: المضيق الذي يقع في إقليم دولة واحدة، وهذا يعامل حسب الاتجاه السائد، على أنه مياه داخلية، وإن زاد عرضه عن ضعفي المياه الإقليمية. والمضيق الذي يقع في إقليم أكثر من دولة، مثل بحر الشمال، وهذا يختلف حكمه. فإن كان بين دولتين متقابلتين ولا يزيد اتساعه عن ضعفي اتساع المياه الإقليمية (مثل المضيق الكائن بين الدانمارك والسويد) فإن كلتا الدولتين تمارس سيادتها على الشريط البحري المعادل لمياهها الإقليمية. فإذا تداخلت حدود الدولتين حُدِّدَ خط الحدود في منتصف المضيق، أو في منتصف المجرى الصالح للملاحة، ما لم تقرر المعاهدات الخاصة حكمًا مغايرًا.

2- **حق المرور البري في المضيق**: رغم أن مياه المضيق قد تعتبر مياهًا داخلية فإنها تخضع لنظام المرور البريء للسفن الأجنبية. فالمضيق الذي يصل بين

(1) يطلق على المضيق أيضا لفظ البوغاز.

بحرين عامين (**كمضيق جبل طارق**) يجب أن يترك للملاحة الحرة البريئة للدول كافة حتى وإن كان شاطئاه لدولة واحدة وكانت مياهه إقليمية أو داخلية وهذه نتيجة طبيعية لمبدأ حرية البحار. وقد أخذت به محكمة العدل الدولية في الدعوى المعروفة بدعوي ممر كورفو بين بريطانيا وألبانيا عام1947م.

لكن التعامل الدولي بقي غير مستقر في شأن حكم المرور في مضيق يصل بين بحر عام وبحر إقليمي إلى أن أبرمت اتفاقية جنيف (الخاصة بالبحر الإقليمي) لعام 1958م . فقد قررت المادة 16 – ف 4 منها عدم جواز إغلاق المضيق في وجه المرور البريء للسفن الأجنبية في المضايق التي تستخدم للملاحة البريئة بين جزء من البحر العام وجزء آخر منه أو من بحر إقليمي لدولة أجنبية. ولكن للدولة الشاطئية أن تتخذ كافة احتياطات الأمن التي تراها لازمة، كأن تحدد عدد السفن الحربية التي تمر في وقت واحد، أو مدة بقائها. وكان هذا النص محل اعتراض من الدول العربية؛ لأنه لا يكاد ينطبق إلا في حالة مضايق تيران (مفتاح خليج العقبة) ويقصد منه إلى خدمة المصالح الإسرائيلية باستحداث سابقة في القانون الدولي[1].

وتصنف المضايق من الناحية القانونية تبعًا لطبيعة الحيز المائي إلى أربعة أنواع من المضايق[2]:

1- مضايق تصل بين بحر عام وبحر إقليمي مثل مضيق هرمز الذي يفصل بين المحيط الهندي والخليج العربي.

2- مضايق تصل بين بحرين عامين مثل البوسفور والدردنيل وجبل طارق وباب المندب وماجلان.

(1) المرجع السابق، ص 313 .

(2) محمد محمد زهرة: الجغرافيا السياسية، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2004، ص 81.

3- مضايق تصل بين بحر عام وبحر داخلي كمضيق جوبال الذي يمتد بين البحر الأحمر وخليج السويس ويقع الأخير كله في الأراضي المصرية.

4- مضايق في نفس البحر مثل مضيق مسينا.

كما يمكن تصنيف المضايق من وجهة النظر الجغرافية إلى مجوعتين[1].

المجموعة الأولى: تصل بين بحر عال وبحر داخلي مثل مضيق كرتش الذي يصل بين البحر الأسود وبحر آزوف (جزء من البحر الأسود في أقصى الشمال)

المجموعة الثانية: وتصل بين مسطحين من البحار المفتوحة مثل مضيق ماجلان الذي يصل بين المحيط الهادي والمحيط الأطلنطي ومضيق جبل طارق الذي يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي.

وقد بلغ عدد المضايق البحرية دون الممرات والقنوات الأخرى نحو 33 مضيقًا[2].

ويوضح الجدول رقم (4) أهم هذه المضايق.

وتؤدي المضايق إلى تقصير المسافات بين الدول وقد كانت معظم المضايق في وقت ما مراكز كبيرة لمرور التجارة العالمية، مع أنها قد لا تؤدي هذه الوظيفة في الوقت الحاضر، ومثال ذلك، لا يمر بمضيق ماجلان ومضيق بيرنج سوى عدد قليل من السفن. وعلى سبيل المثال كان لمضيق ماجلان أهمية كبيرة لمرور التجارة العالمية قبل شق قناة بنما سنة 1914م. إلا أن أهميته تضاءلت بعد هذه السنة بسبب إنشاء قناة بنما. وعلى الرغم من ذلك مازالت إنجلترا تحتل جزيرة فوكلاند المشرفة عليه، وبسببها دارت الحرب بين إنجلترا والأرجنتين سنة 1982م. في حين ما زالت مضايق الدانمارك.

(1) المرجع السابق، ص ص 80 – 81.

(2) أمين محمد اليوسفي: النظام القانوني للمضايق العربية، بيروت، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت 1988، ص ص 319 – 223 نقلا عن المرجع السابق، ص80.

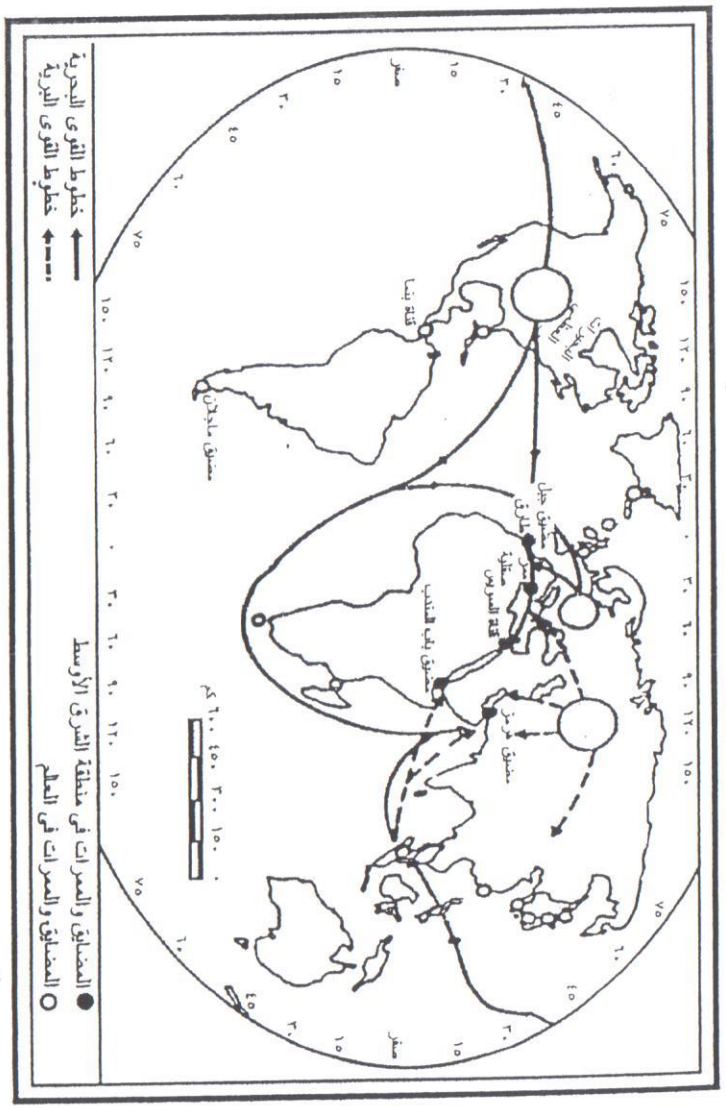

بتصرف عن: محمد زهرة

شكل (35) المضايق والممرات البحرية العالمية وخطوط استراتيجية القوى العالمية المعاصرة

وجبل طارق وباب المندب وهرمز ودوفر وملقا محتفظة بأهميتها التجارية الكبيرة.

ونظرًا للأهمية التجارية والبحرية والإستراتيجية لبعض المضايق فإن القوى العالمية تبذل ما في وسعها لتحول دون وقوع هذه المضايق كليًا أو جزئيًا تحت سيطرة دول معادية، وبالتالي تعمل على بقاء الطرق البحرية مفتوحة ومؤمنة لسفنها. ومن أفضل الأمثلة على ذلك سيطرة بريطانيا على مضيق جبل طارق وفوكلاند وملقا وباب المندب، نظرًا لأهميتها الاستراتيجية لتأمين مرور السفن البريطانية. وقد انتهت سيطرة إنجلترا على مضايق العالم لكنها ما زالت تحتل مضيق جبل طارق.

جدول (4) : الممرات والمضايق البحرية المستخدمة في الملاحة الدولية(*)

المضيق	السيادة الدولية	العمق بالمتر	الطول بالميل البحري	متوسط عدد السفن اليومي
جبل طارق	أسبانيا/ المغرب	1000-82	36	140
أوترانتو	ألبانيا / إيطاليا	732-88	40	-
الدردنيل	تركيا	90-45	31	357
البوسفور	تركيا	7	15	57
تيران	مصر	183-73	7	-
باب المندب	جيبوتي/ اليمن/ ارتيريا	42-35	50	-
صقلية	تونس/ إيطاليا	200	80	-
هرمز	عمان / إيران	91-55	80	-
قناة موزمبيق	موزمبيق	1830	100	80
ملقا	إندونيسيا / ماليزيا	97-21	300	150

المضيق	السيادة الدولية	العمق بالمتر	الطول بالميل البحري	متوسط عدد السفن اليومي
سنغافورة	سنغافورة/ إندونيسيا / ماليزيا	183-27	75	150
سوندا	إندونيسيا	183-27	70	-
لومبوك	إندونيسيا	280-192	27	8
سان برناردينو	الفلبين	-	183.55	-
لوزون	الفلبين	183-55	5	-
غرب كوريا	كوريا الجنوبية/ اليابان	62	26	-
ممر وندورد	كوبا/ هايتي	396	40	-
ممر مونا	الولايات المتحدة/ الدومنيكان	274-61	50	-
فلوريدا	الولايات المتحدة/ البهاما/ كوبا	1042	730	-
أو يسوند	الدانمارك / السويد	9	58	-
كاتيجات	الدانمارك / السويد	124-17	125	142
دوفر	فرنسا / بريطانيا	37-20	30	350

(*) المصدر: الهادي أبو لقمة، محمد الأعور: الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته 1993، ص 132.

كما أن معظم المضايق أو الممرات المائية المنتشرة على سطح الكرة الأرضية قد أصبحت مناطق جذب لمزاولة عمليات الاتصال بين الجهات الواقعة على طرفيها، مما يخدم أغراضًا متعددة فإلى جانب الأنشطة العسكرية والإستراتيجية بصورة عامة ،

فإنها تخدم أغراضًا أخرى متنوعة، كسرعة الاتصال وتيسير سبل حركة النشاط الاقتصادي في مختلف صوره بما في ذلك خدمة تجارة الترانزيت، وتنشيط عمليات السياحة وغيرها من الأنشطة الأخرى، ولو أنها في أحيان أخري قد تسهم في بعض الأنشطة التي تضر بالمصلحة القومية لتجارة التهريب والهجرة غير الشرعية، وخدمة العديد من الأغراض غير المشروعة مما يوجب السهر على مراقبتها.

وفيما يلي دراسة لهذه المضايق :

1ـ مضيق جبل طارق: Strait Of Gibraltar.

كان يعرف في عهد الفينيقيين باسم أعمدة هرقل وهم أول من عرفوه وعبروه. يصل مضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي ، ويفصل بين جنوب أسبانيا وشمال المغرب ، ويمثل المضيق أقرب نقطة اتصال والتقاء بين الوطن العربي (الجناح الأفريقي) وقارة أوروبا. ويتراوح اتساع المضيق بين 12 –36كم[1] ، ويخترق المضيقَ ممرٌ من المياه الدولية ، وتقع صخرة جبل طارق على الجانب الأسباني من الناحية الشرقية لمدخل المضيق ، وبذلك فهي تسهل عملية التحكم فيه. ويلاحظ أن أقصى الطرف الجنوبي لأسبانيا الممثل في منطقة طريفة ذات موقع أفضل من جبل طارق من جهة التحكم في المضيق ، لكن يعيبها عدم وجود مرفأ طبيعي بها ، علاوة على صعوبة الدفاع عنها بعكس صخرة جبل طارق. ويقع جبل طارق الحصين في شبه جزيرة طولها 5 كيلومترات، وعرضها 1.5كيلومترات، ولا تزيد مساحة شبه الجزيرة عن 6.5كم^2 ، ويجاورها من الغرب خليج مائي وترتفع صخرة جبل طارق ارتفاعًا حادًّا عن جميع الجهات التي تحيط بها ، ويبلغ منسوبها نحو 389 مترًا فوق مستوى سطح البحر ، فيما عدا جهة الغرب باتجاه الخليج، ويبعد طرفها الجنوبي (رأس أوروبا) عن أقرب نقطة على ساحل أفريقيا مسافة 25 كيلو مترًا .

(1) حسام الدين جاد الرب: جغرافية العالم العربي، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة 2002، ص13 .

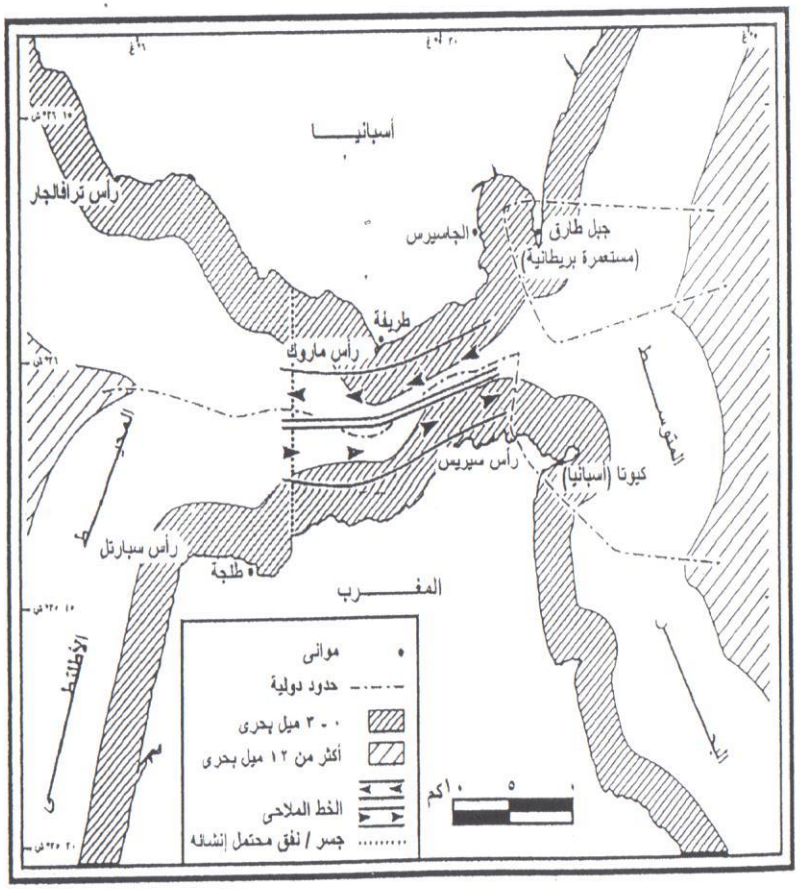

شكل (36) مضيق جبل طارق

وفي الغرب يقع ميناء له مرفأ عميق تصل مساحته إلى2 كم^2 . أما المدينة فتقع شرق الميناء، والكل محصن طبيعيًا، ويبلغ طول المضيق 58 كيلو مترا وعرضه 12.5 كم، وأعمق جزء في مجراه الملاحي يبلغ نحو 935 مترًا وأقل عمق فيه 320 مترًا[1].

ولمضيق جبل طارق أهمية كبيرة بالنسبة للدول الأوروبية، خاصة تلك التي ليست لها موانيء على البحر المتوسط مثل إنجلترا ، وذلك لتأمين الطرق الموصلة إلى مصالحها في الشرق . وعندما كانت إنجلترا مسيطرة على قناة السويس كان باستطاعتها حبس دول البحر المتوسط بإغلاق القناة ومضيق جبل طارق . ويتسم مضيق جبل طارق بكثافة حركة مرور الملاحة فيه ؛ إذ تمر به نحو 150 سفينة يوميًا عدا القوارب الصغيرة والغواصات . كما يمر عبره نحو 50 ٪ من تجارة البترول العالمية ؛ إذ تشكل ناقلات البترول ثلث السفن التي تعبر المضيق بما يعادل نحو 73 ألف ناقلة في السنة ، وتعبره يوميًا معديتان بين طنجة ومدن الساحل الأوروبي .

وتفكر أسبانيا والمغرب في إنشاء جسر فوقه أو نفق تحته، وتفضل المغرب إنشاء جسر معلق على المضيق، لكن تحبذ أسبانيا فكرة الجسر الثابت على المضيق . وتم الاتفاق سنة 1982م على إنشاء نفق تحت المضيق تمر فيه السكك الحديدية ليربط بين أوروبا وأفريقيا، هذا على الرغم من الصعوبات التي تكتنف ذلك لعدم انتظام عمق المضيق . كما تم إنشاء خط أنابيب تحت المضيق لنقل الغاز الطبيعي من الجزائر إلى فرنسا مرورًا بالمغرب . ويلاحظ أن منطقة مضيق جبل طارق ليس لها أهمية اقتصادية ذاتية على الإطلاق، كما أنها ليست ميناءً تجاريًا كبيرًا، وإنما اكتسبت شهرتها من موقعها الجغرافي وقد تضاءلت الأهمية العسكرية لجبل طارق نتيجة للتطور الذي طرأ على أسلحة الحرب، ولكن المضيق مازال محتفظًا بكل أهميته البحرية التجارية ، علاوة على أنه يعد محطة لتموين السفن بالوقود والمياه والغذاء.

(1) http:// WWW. qalqilia.edu.ps./ inde.htm,, P.1

ونظرًا لأهمية هذا المضيق، فقد سعت القوى البحرية للسيطرة عليه ، منذ عهد الفينيقيين سنة 1100 ق . م ، والإغريق سنة 700 ق . م ، والقرطاجيون سنة 600 ق . م ، وقام طارق بن زياد سنة 711م ، تحت قيادة موسى بن نصير بعبور المضيق، وفتح الأندلس ، فقد كان يطلق على الجهة المقابلة للمغرب العربي في أوروبا اسم جبل الصخرة ، إلا أنه تحول بعد الفتح العربي، إلى جبل طارق بن زياد، تخليدًا لما قام به هذا القائد العربي من أمجاد بطولية، ومنذ تلك الفترة استقر المسلمون بالأندلس ما يقرب من ثمانية قرون متتالية وكان لهم مطلق الحرية في التصرف والسيطرة على هذا المضيق ، إلا أن تفككهم إلى أسر ودويلات وإمارات مكن الأسبان منهم ، فتخلوا عن الأندلس مكرهين ، ومن ثم فقد أصبح للأسبان مطلق الحرية في السيطرة على هذا المضيق الذي كان له دوره المهم أيام المسلمين في ربط الشمال الأفريقي بالأندلس ، وكان البحر في تلك الفترة بحيرة عربية ، فقد كان العرب المسلمون يسيطرون على جميع مضايقه ولو أن دور مضيق جبل طارق كان أهم من بقية المضايق الأخرى[1].

كما استولت إنجلترا على المضيق في 21 يوليو عام 1704م . وفكرت ألمانيا في الاستيلاء على صخرة جبل طارق في نهاية الحرب العالمية الأولى، ولم تكف أسبانيا إطلاقًا عن مطالبة إنجلترا بالجلاء عن جبل طارق ؛ لأنه بالقانون الطبيعي جزء من بلادها .

وقد سلكت أسبانيا مسالك مختلفة لتحقيق هدفها فلجأت أولًا إلى القوة سبيلًا لاسترجاع جبل طارق ، ولكنها فشلت في ذلك ؛ لذا أغلقت أسبانيا باب العنف في محاولة استرجاع المنطقة منذ منتصف القرن الثامن عشر . وبعد ذلك عرضت أسبانيا على إنجلترا أن تتخلى لها عن سبتة ومليلة على الساحل المراكشي أو جزيرة

(1) الهادي أبو لقمة، محمد الأعور: الجغرافيا البحرية، مرجع سبق ذكره ص 134 .

سانت دومينجو أو بورتوريكو أو جزر الباهاما أو منطقة ماثالكفير في سبيل أن تجلو عن هذه المنطقة ، ولكن إنجلترا رفضت هذا العرض . وتحاول أسبانيا سلميًا في الوقت الحاضر استرجاع المنطقة . وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن للقوى المتحكمة في سبتة ومليلة أن تهدد مضيق جبل طارق لقرب المسافة بينهما .

ويتبع القسم الجنوبي من المضيق المملكة المغربية، وقد دار صراع بين إنجلترا وألمانيا وفرنسا وأسبانيا بخصوص السيطرة على هذا الساحل المراكشي . وقد عملت إنجلترا على استبعاد النفوذ الألماني تمامًا منه أملًا في أن تسيطر عليه، ولما لم تنجح خطتها في ذلك ودت أن تراه تحت سيطرة دولة صديقة لها مثل فرنسا، أو أن يصبح ملكًا لأسبانيا. وقد وقعت المغرب تحت الاستعمار الفرنسي باستثناء الساحل الشمالي الذي خضع للسيادة الأسبانية وتحولت طنجة إلى مدينة محايدة بوضعها تحت السيادة الدولية، وظل هذا الوضع ساريًا حتى سنة 1956م ، عندما استقلت المغرب وضمت إليها طنجة والساحل، الذي كانت تحتله أسبانيا عدا مدينتي سبتة ومليلة الخاضعتين لأسبانيا.

ولم تحدث أي مشكلة بخصوص الملاحة في المضيق إلى الوقت الحاضر، وليس هناك شك في أن الدوافع السياسية للسيطرة على شواطئ المضيق ترجع إلى الرغبة في إبقائه مفتوحًا وقت الحرب، أو مفتوحًا لسفن دول معينة ومحرمًا على غيرها. وقد أعلنت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة سنة 1964م ضرورة تطبيق مبدأ حق تقرير المصير في جبل طارق بناء على طلب أهل المنطقة نفسها. وأوحت اللجنة بإجراء مفاوضات ثنائية بين أسبانيا وإنجلترا لحل النزاع. وإذا استردت أسبانيا جبل طارق من إنجلترا، وظلت مسيطرة على سبتة على الشاطئ المغربي فإن المياه الإقليمية الأسبانية ستصل إلى 12 ميلًا بحريًا وبذلك سوف تشغل كل المدخل الشرقي للمضيق ويساند الاتحاد الأوروبي بقاء أسبانيا في مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين ليظل شاطئا المضيق تحت السيطرة الأوروبية (إنجلترا في الشمال، وأسبانيا في

الجنوب)، خاصة بعد الصحوة الإسلامية في دول شمال أفريقيا خشية سيطرة المسلمين على شاطئه الجنوبي[1].

2- مضيق المندب: Strait of Babal- Mandab

يصل مضيق باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي عبر خليج عدن، ويبلغ متوسط عمقه 35 مترًا وطوله 50 ميلا بحريًا ويمثل المضيق المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، حيث تقترب القارتان الأفريقية والأسيوية. وقد زادت أهمية مضيق باب المندب بعد حفر قناة السويس عام 1869م ويشرف على المضيق كل من جيبوتي وإرتريا كما تعد الصومال من الدول التي تؤدي دورًا حيويًا في هذا المضيق. وتقسم جزيرة بريم والتي تعرف باسم أميون المضيق إلى ممرين ، الشرقي منهما يعرف باسم الإسكندر وهو الأصغر والأقل أهمية من الناحية الملاحية، حيث يبلغ متوسط عمقه 26 مترًا في حين يتراوح عرضه بين 2 – 3 كيلو متر.

أما الممر الغربي وهو الأهم ملاحيًا فيبلغ عمق مياهه 300 متر تقريبًا، بينما يصل عرضه نحو 16 كيلو مترًا[2]، وتشرف اليمن على هذا الممر إشرافًا كاملًا وتمثل مياهه أقليمية ، واليمن بهذا الموقع تتمتع بمزايا استراتيجية واقتصادية وعسكرية ، مما يحمل الدول العظمى منها والصغرى للتسابق على كسب صداقتها[3] حيث أن باب المندب ممر حيوي للبترول، وهو مفتاح الدخول إلى حوض البحر الأحمر والتعامل مع دوله واستخدام خلجانه (السويس والعقبة).

ويقع باب المندب في إقليم سياسي يتميز بالتوتر الشديد لذلك قام تنافس شديد بين القوى العظمى للسيطرة على منطقة القرن الأفريقي وشبه الجزيرة العربية[4].

(1) http:// www.qaqilia.edu.ps/index.htm,op.cit.,, PP 1-3

(2) حسام الدين جاد الرب: جغرافية العالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص ص14– 15

(3) محمد سعيد الخطيب: الوضع القانوني للبحر الأحمر، دار النهضة العربية، القاهرة 1975، 656 ص ص – 659

(4) Drysdale, A.& Blake, G, The middle East and North Africa, a political Geography, op. cit, P 135 .

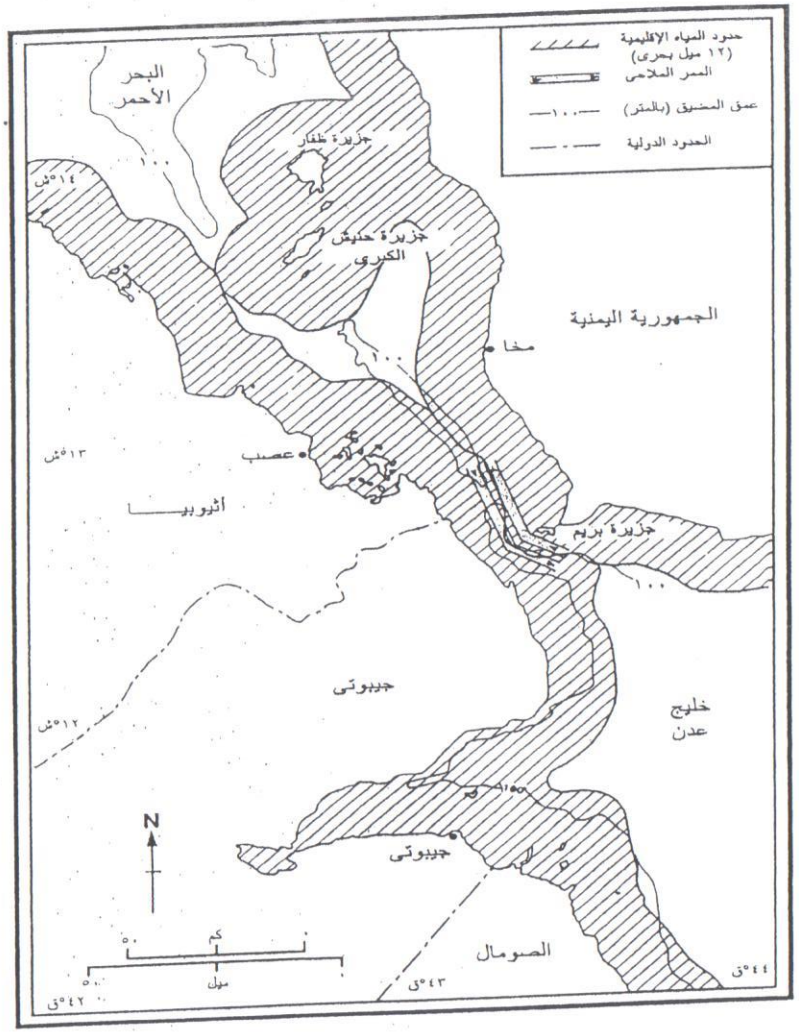

شكل (37) مضيق باب المندب

ونظرًا لأهميته الاستراتيجية والتجارية فقد استولت بريطانيا على جزيرة بريم عام 1799م ، ثم على عدن عام 1839م ، وكان الهدف من ذلك ضمان الوصول إلى مستعمراتها في جنوب شرق آسيا وأستراليا وشرق أفريقيا وجنوبها ، وكذلك جزرها العديدة خاصة في المحيطين الهندي والهادي وظلت على هذا الحال حتى عام 1967م بعد استقلال عدن ، وهكذا أصبحت مع قناة السويس مفتاحًا بحريًّا مهمًّا في أيدي العرب ، وقد ظهرت أهمية المضيق خلال حرب أكتوبر عام 1973م، عندما تم إغلاقه مع قناة السويس في وجه الملاحة الإسرائيلية . وقد كان هذا المضيق سببا رئيسيًّا في ازدهار الموانيء العربية القريبة منه ، باعتبارها محطات حيوية لإصلاح السفن العابرة وتموينها بالوقود وغير ذلك من متطلبات . ومن هذه الموانيء عدن وجيبوتي[1].

3- مضيق هرمز[2] : Strait of Hormuz

وهو مضيق بحري مهم يصل بين الخليج العربي وخليج عمان ، ويصل طوله نحو 100 ميل بحري ، في حين يبلغ عمقه 100 متر ، وتطل عليه إيران من الشمال والشمال الشرقي ، وسلطنة عمان من الغرب والجنوب الغربي ، وأضيق مناطق المضيق تلك التي تقع بين جزيرة لاراك Jazirat Larak وجزيرة كيوان Quoin الكبرى العمانية ، حيث يصل عرضها نحو 21 ميلًا بحريًّا . ويصل عرض المياه الإقليمية في المضيق لكل من سلطنة عمان وإيران نحو 12 ميلًا بحريًّا زادت إلى 15 ميلًا بحريًّا ويمثل المضيق المنفذ الوحيد لعدد من الدول العربية مثل العراق ، الكويت ، البحرين ، قطر ، والإمارات العربية المتحدة .

وقد اشتق المضيق اسمه من الجزيرة جزيرة هرمز – الواقعة وسط المضيق ، حيث توجد قلعة برتغالية يرجع تاريخها إلى عام 1514م مما يوضح الأهمية الاستراتيجية

(1) محمد صبري محسوب: العالم العربي، دراسة جغرافية دار الفكر العربي، القاهرة 2002، ص 22 .
(2) يطلق عليه البعض باب السلام .

والتجارية خاصة للدول الغربية، وقد استولت القوات البريطانية والإيرانية على الجزيرة في سنة 1662م، ونظرًا لأن مضيق هرمز يقع بين أراضي دولتين وهما إيران وسلطنة عمان وفي الوقت نفسه يربط بين جزئين من مياه البحار العالية وهي مياه البحار العالية لخليج عمان بمياه البحار العالية للخليج العربي، فتنطبق عليه حالة المضيق الذي يقع بين أراضي دولتين ، فيكون والحالة هذه خاضعًا لسيادة واختصاص الدول الساحلية على مقدار بحارها الإقليمية أو إلى خط الوسط لمجرى المياه حسب اتساع المضيق، وبما أن اتساع المضيق حوالي 23 ميلا ، فإنه يقع ضمن المياه الإقليمية العمانية والإيرانية، ولكونه يربط بين جزئين من البحار العالية ، فإنه يخضع لمرور الملاحة الدولية دون الحاجة إلى أخذ إجازة مسبقة من الدولتين الساحليتين[1].

ويمثل مضيق هرمز أهم المضايق الملاحية في العالم ، حيث إن حوالي ثلثي تجارة البترول البحرية تمر عبره ، فالناقلات العملاقة تستخدم الممر الملاحي العميق ؛ إذ تعبره حوالي 80 سفينة يوميًا ، حيث يسمح عمق المياه بالمرور للناقلات النفطية العملاقة .

وتوجد بالمضيق قناتان ملاحيتان ، تقع القناة العميقة منهما بالقرب من الساحل العماني ، بينما توجد القناة الأقل عمقًا بالقرب من السواحل الإيرانية.

ويمتاز المضيق بوجود الجزر والجزيرات الصغيرة وأهم هذه الجزر هي: طنب الكبرى – طنب الصغرى – أبو موسى – قشم – لاراك – كيوان الكبرى – كيوان الصغرى – هنجام[2].

(1) عبد الله شاكر الطائي: مضيق هرمز وتأثير احتمال إغلاقه على الاقتصاد الدولي، مقال منشور ضمن الموسوعة السنية في الشيعة الاثنى عشرية، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) بتاريخ 4/ 9/ 2006 .

(2) Drysdale, A.& Blake G., op. cit., P 138 .

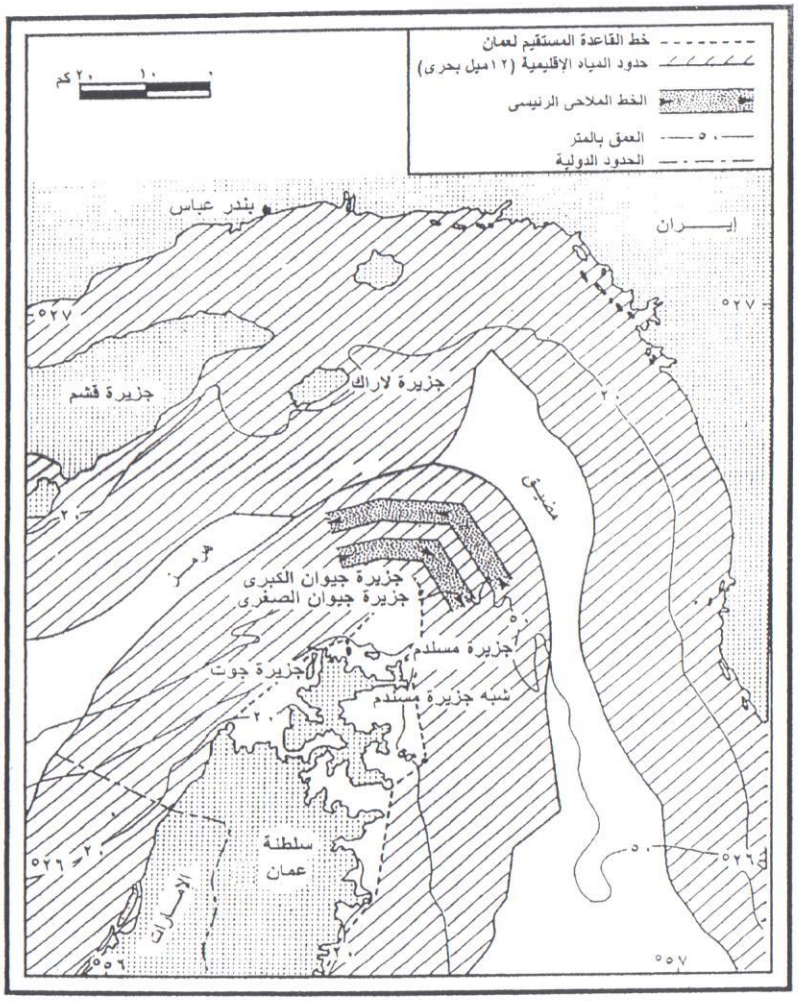

شكل (38) مضـــيق هـــرمز

ويعترض الملاحة في المضيق بعض الصعوبات نظرًا العواصف المد والجزر، والتيارات البحرية القوية والتي يصل تيارها بين (0.4 – 0.8) عقدة في فصل الشتاء، و (0.6 – 1.7) عقدة في فصل الصيف، كما أن الأمواج العالية وانعدام الرؤية التي غالبًا ما يكون مرجعها الغبار، تؤثر على الملاحة عبر المضيق.

ولا تقتصر أهمية مضيق هرمز في كونه معبرًا للتجارة، وحلقة وصل بين آسيا وأوروبا، وممرًا استراتيجيًا ذا أهمية سياسية ملحوظة، فالخليج يزخر بالثروة البترولية، وفي جوفه الذي يحوي كنوزًا من الثروات الحية وغير الحية، كما تقع على شواطئ الخليج المراكز البترولية الرئيسية لإيران، ومعامل تكرير البحرين التي تكرر ثلثي إنتاج السعودية من البترول والذي يمر أيضًا عبر مضيق هرمز.

وهكذا يتضح خطر مضيق هرمز. غير أن الخطر لم يتضح حقيقة إلا بعد إعلان بريطانيا عام 1968م عزمها على الانسحاب من الخليج في نهاية 1971م، ثم انسحابها بالفعل الذي طرح قضية الأمن في الخليج بإلحاح، والذي فجر عدة خلافات بين العرب وإيران على شاطئ الخليج[1].

وقد أبدت إيران اهتمامًا واضحًا بالخليج وقضاياه وتأمين أوضاعه بما لا يضر بمصالحها بعد انسحاب بريطانيا فيما عبر عنه البعض في ذلك الوقت بأنها تخطط لخلافة بريطانيا في الخليج، وهو اتجاه لم يخفه المسئولون الإيرانيون والكتاب الإيرانيون وسندهم في شرعية هذا التفكير أن إيران أكبر دولة في الخليج العربي، وأن هذا الخليج كان ولا يزال المتنفس الرئيسي لها ومنفذها إلى العالم الخارجي من خلال المدن الإيرانية على شاطئ الخليج في حوضه الأدني، فضلًا عن اشتداد الخلاف في ذلك الوقت (1971م) بين إيران والعراق حول شط العرب، ونظرًا لأن

(1) عبد الله الأشعل: قضية الحدود في الخليج العربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة سبتمبر 1978، ص 95.

الخليج العربي يحتوي على 60٪ من احتياطي البترول العالمي، ويغطي 70 ٪ من احتياج الدول الغربية، 90 ٪ من استهلاك اليابان؛ لذلك يوصف مضيق هرمز الذي يتحكم في هذا الخليج بأنه العنق الرئيسي[1]، لذلك كانت الجزر الموجودة به أكثر حيوية فقامت إيران عام 1971م بعد انسحاب بريطانيا باحتلال الجزر الإماراتية الثلاث، والتي تقع في مدخل الخليج العربي وهي: طنب الكبرى، طنب الصغرى وأبو موسى في تحد سافر للشرعية الدولية وللسيطرة على مضيق هرمز وتهديد أمن دول الخليج العربي. وما زالت إيران تسيطر على هذه الجزر حتى الوقت الحاضر على الرغم من مناشدة دولة الإمارات بالتخلي عن هذه الجزر.

4- المضايق التركية (البوسفور والدردنيل):

مضيق البوسفور: Strit of Bosprus

يشكل مضيق البوسفور مع مضيق الدردنيل وبحر مرمرة، ما يعرف في التاريخ الدبلوماسي، باسم "المضايق" فهو عبارة عن قناة ضيقة تفصل أوروبا عن آسيا وتصل البحر الأسود وبحر مرمرة في تركيا[2] وتتصف هذه القناة بسبعة أجزاء متتالية، يتصف كل منها برأس من جهة ولاجون من الجهة الأخرى. والبوسفور جزء من ممر مائي يجرى من البحر الأسود إلى البحر المتوسط، ويبلغ طول المضيق 31 كيلو مترًا، ويتراوح عرضه بين 0.6 – 3.2 كيلو مترًا، ويبلغ أقصى عمق للمضيق نحو 105 أمتار. تطل مدينة اسطنبول (القسطنطينية سابقًا) على الطرف الجنوبي من المضيق وعلى بعد 10 كيلو مترات شمالي اسطنبول، حيث تبلغ القناة أقصى ما تكون عليه من الضيق، يوجد حصانان، الواحد قبالة الآخر، بناهما محمد الثاني

(1) أمين محمد اليوسفي: النظام القانوني للمضايق العربية، مرجع سبق ذكره، ص ص 202 – 207

(2) الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص ص 312 – 313.

عام 1453م لحماية الممر، وللبوسفور أهمية تجارية عظيمة فهو المنفذ الوحيد والصالح للاستخدام أثناء فصل الشتاء لسفن وغواصات الاتحاد السوفيتي (سابقًا). وتبسط تركيا سيادتها على الأرض الواقعة على جانبي المضيق.

ويرجع اسم البوسفور إلى كلمتين يونانيتين تعنيان مخاضة الثيران، ربما لضيق الممر في بعض الأماكن بما يسمح للثيران بالخوض فيه من جهة لأخرى. وتشير الأساطير الإغريقية إلى آيو العذراء الجميلة التي عبرت البوسفور سباحة على هيئة بقرة بيضاء. وقد صنع الملك الفارسي داريوس الأول جسرًا شهيرًا من القوارب عبر البوسفور في حملته على تراقيا حوالي 513 ق.م، وقد اكتمل بناء أول جسر يصل جانبي البوسفور عام 1973م، ويصل جسر البوسفور بين قطاعي اسطنبول الأوروبي والآسيوي، واكتمل بناء جسر ثانٍ هو جسر السلطان محمد الفاتح عام 1988م وهو يربط أيضا جانبي اسطنبول.

وفي مؤتمر المضايق عام 1841م تم الاتفاق على عدم السماح للسفن الحربية بالمرور من مضيقي البوسفور والدردنيل إلا بإذن مسبق من تركيا. وفي عام 1923م فتحت معاهدة لوزان المضيقين لسفن الدول المختلفة[1].

وفي عام 1936م استعادت تركيا سيادتها على هذا الممر المائي وفقا لاتفاقية مونترو Montrux، حيث اجتمع ممثلو بلغاريا وفرنسا وبريطانيا واليونان ورومانيا وتركيا والاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا بهدف تنظيم حق المرور والملاحة في مضيق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة بطريقة تؤمن، في إطار أمن تركيا وآمن البحر الأسود والبلدان المطلة عليه، مع التأكيد على حرية الملاحة في هذه المضايق، وأهم النصوص التي نصت عليها معاهدة مونترو ما يلي[2]:

(1) http://www.Global Arabic Encyclopedia.htm.

(2) الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، ص 675.

1- التأكيد على مبدأ حرية المرور والملاحة في المضايق.
2- تتمتع السفن التجارية في زمن السلم بالحرية الكاملة في المرور والملاحة في الممرات في أي وقت ومهما كانت جنسيتها وحمولتها لقاء رسم متفق عليه.
3- أما في حالة الحرب التي تكون فيها تركيا طرفًا للسفن التجارية التابعة لبلدان غير مشتركة في الحرب وغير معادية لتركيا المرور بحرية شرط ألا تقدم أية مساعدة للعدو.
4- من حق البلدان الأجنبية وبشكل خاص البلدان المطلة على البحر الأسود في تمرير بعض قطعها البحرية ضمن معايير محددة وأصول مرعية وذلك في حالة السلم.
5- في حالة الحرب التي تكون تركيا فيها طرفًا يصبح حق مرور القطع الحربية الأجنبية رهنًا بإدارة الحكومة التركية. كما أن هذه المادة تطبق أيضًا عندما تعتبر تركيا نفسها مهددة بحرب وشيكة.

وقد شكلت هذه المعاهدة نصرًا لتركيا التي أكدت سيادتها على المضايق بعد أن كانت معاهدة لوزان عام 1924م قد حرمتها منها.

مضيق الدردنيل: Strait of Dardanelles

مضيق الدردنيل مضيق استراتيجي يربط بحر إيجة ببحر مرمرة الذي يصل بدوره بالبحر الأسود بمضيق البوسفور وهو يفصل أوروبا عن جنوب شرق آسيا الصغرى.

وترجع كلمة الدردنيل إلى اسم مدينة إغريقية قديمة هي دردنوس التي تقع بالجانب الآسيوي من المضيق، وكان الإغريق يسمون هذا المضيق هليسونت ويمتد المضيق من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويتراوح عرضه بين 5 كيلو مترات ونصف وستة كيلو مترات، بينما يبلغ طوله 71 كيلو مترًا. وهو بذلك أكثر طولًا واتساعًا من البوسفور ويتميز سطح الدردنيل عادة بقوة تياره في اتجاه بحر إيجه.

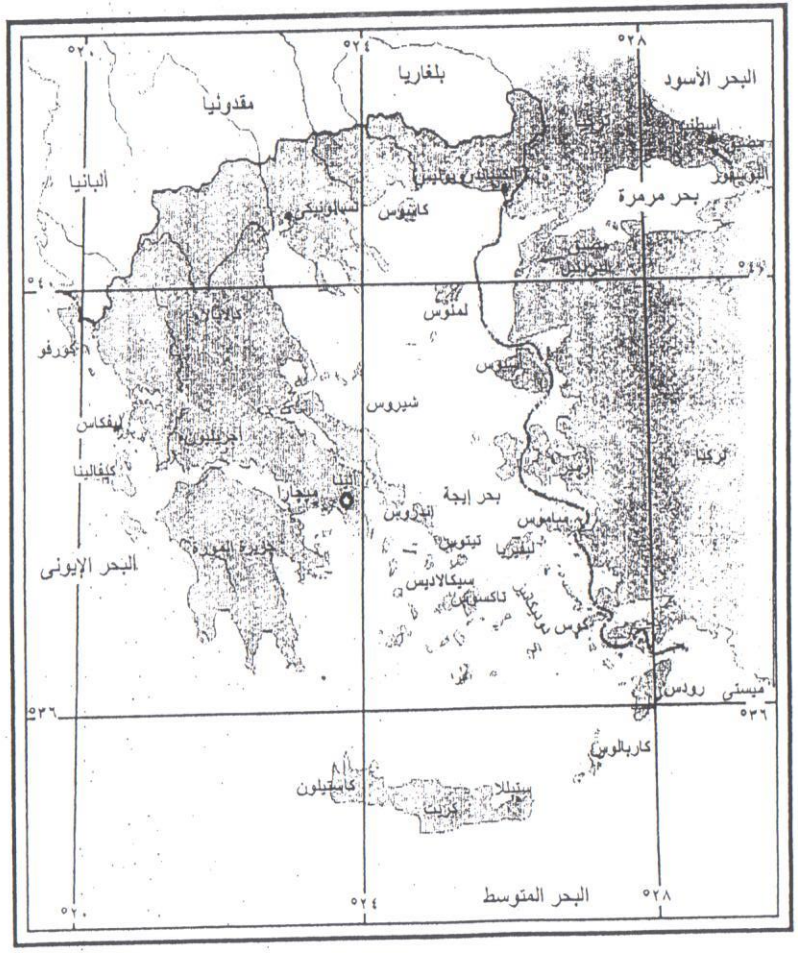

شكل (39) المضايق التركية والجزر اليونانية والتركية

وفي سنة 480 ق.م ، أقام أحشورش الأول ملك فارس قنطرة من المراكب عبر الدردنيل قرب أبيدوس من خلالها قاد جيشًا للاستيلاء على أوروبا . وفي سنة 334 ق.م قاد القائد المقدوني الإسكندر الأكبر جيشه مستعملًا قنطرة مماثلة عبر الدردنيل للوصول إلى آسيا . وبعد مرور مئات السنين أصبح المضيق ذات أهمية للدفاع عن الإمبراطورية البيزنطية. وبعد سقوط هذه الإمبراطورية استولى الأتراك العثمانيون على الدردنيل، وفي سنة 1841م اتفقت القوى الكبرى في أوروبا وهي (بريطانيا، فرنسا، بروسيا والنمسا) على أن تعطي لتركيا دور المراقب لكل السفن التي تمر عبر الدردنيل، وقد تجددت هذه الاتفاق عدة مرات في سنوات 1856م ، 1871م ، 1878م[1].

وقد جعل موقع مضيق الدردنيل المهم هدفًا للمطامع السياسية في العصر الحديث ، لذلك فقد كان خلال الحرب العالمية الأولى مسرحًا لحملة فرنسية – إنجليزية (فبراير/ نوفمبر 1915م) ، كانت ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية خاصة. اقترح هذه الحملة ونستون تشرشل، الذي كان في ذلك الحين وزير البحرية البريطانية، وكان الهدف الأول منها احتلال المضايق من أجل السيطرة على الممر، والحفاظ على الاتصالات الحيوية بالنسبة لروسيا ، بين الجزء الشرقي من البحر المتوسط والبحر الأسود . وكان لها هدف آخر كذلك هو المحافظة على صربيا، حيث كانت المقاومة قد ضعفت، والضغط على بلغاريا التي كانت تميل نحو دول المحور ، وعلى اليونان ، حيث كان تعاطف الوزير فنيزيلوس مع الحلفاء بحاجة إلى تشجيع ودعم ضد ميول الملك قسطنطين المشايعة للألمان . أخيرًا فإن دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا في نوفمبر عام 1914م ، لم يؤد إلى القرار العثماني القاضي بإغلاق المضايق فحسب ، وإنما أدي أيضًا إلى تهديد ألماني لقناة السويس.

(1) http://www.Global Arabic Encyclopedia.htm.

تكبد الأسطول الإنجليزي – الفرنسي، الذي كان بقيادة الأميرال "جيبرات" خسائر فادحة ولم يستطع إسكات مدافع العثمانيين القوية، ولا المدفعية الألمانية – التركية المتحركة. كما أنه لم يتمكن من تنظيف حقول الألغام التي زرعها الأتراك في الممر الضيق الذي يسيطرون على ضفتيه ؛ لذا صدر قرار بدعم العملية البحرية بتحرك بحري، فنزلت القوات الفرنسية – الإنجليزية في شبة جزيرة جاليبولي في أبريل عام 1915م ، والذي اعتبر نجاحًا تقنيًا ، بزيادة عدد الجنود الذين نزلوا في ميناء سالونيك اليوناني ، والذين شكلوا في يونيو عام 1917م الجهة الشرقية في البلقان تحت قيادة الجنرال فرانشيه ديسبيري. وكانت الخسائر جسيمة بالنسبة للقوات البرية والبحرية على السواء، وبلغ عدد الغواصات التي دمرت ثماني غواصات[1].

أدي الفشل الذريع الذي منيت به حملة الدردنيل إلى استقالة ونستون تشرشل من وزارة الحربية، إلا أن هذا الفشل أوضح أن كل عملية بحرية في أية منطقة يجب أن ترتبط بمخطط يسمح بتركيز رءوس جسور على شواطئ العدو ويفتح جبهات جديدة . لم يذهب هذا الدرس سدى ، فقد سنحت الفرصة لتشرشل، أثناء الحرب العالمية الثانية ، لأن يستفيد من هذه التجربة البائسة.

وفي سنة 1923م ، فتحت معاهدة لوزان الدردنيل أمام كل الدول ،.وفي سنة 1936م ، أعطى ميثاق مونترو تركيا حق إعادة إضفاء العسكرية على المضيق.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية كان المضيق مسدودًا أمام كل السفن إلا تلك التي ترخص لها تركيا، وعلى الرغم من أن التحكم في الدردنيل كان مهددًا بسبب الحرب، فقد تمكنت تركيا من مراقبته. وبعد الحرب العالمية الثانية لم يتح للاتحاد السوفيتي بسط نفوذه على الدردنيل ، وقد دعمت القوى الغربية ، حق تركيا في هذا

(1) الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، ص 674 .

المضيق الاستراتيجي ، وصارت لتركيا أهمية إستراتيجية خطيرة في إستراتيجية الكتلة الغربية ضد الكتلة الشرقية فأمكنها من أن تسمح لأساطيل الكتلة الغربية بالمرور إلى البحر الأسود لتدمير المنطقة الصناعية الرئيسية في قلب دول الاتحاد السوفيتي (السابق) ، وهي تمثل صمام أمان للقوى الغربية ضد الزحف الروسي جنوبًا إلى الشرق الأوسط ، وطرق الملاحة الدولية هناك ، ومن ثم تنظر الولايات المتحدة إلى تركيا على أنها قاعدة عسكرية مهمة في سلسلة الحلقة النارية، التي تعتمد عليها لمواجهة الكتلة الروسية.

والسفن العابرة من البحر الأسود إلى بحر إيجة مجبرة على المرور في ممرات مائية تركية لمسافة 320 كيلو مترًا ، وهذه الميزة الكبيرة دفعت حلف الأطلنطي إلى أن يضم إلى صفوفه دولة بهذا الموقع الاستراتيجي الخطير الحاكم لحركة الكتلة الروسية ؛ إذ تمثل المضايق التركية المخرج الوحيد للسفن الروسية من البحر الأسود المغلق . وفي المتوسط تمر في المضايق التركية سفينة حربية روسية كل 36 ساعة ، بينما تمر عبرها 20 سفينة تجارية روسية يوميًا ، وتمثل السفن والغواصات التجارية الروسية 40 ٪ من الحمولة المارة في المضيقين (الدردنيل والبوسفور). وقد طالب الاتحاد السوفيتي أكثر من مرة بتعديل معاهدة مونترو بأن تشترك دول البحر الأسود جميعًا في الإشراف على الملاحة في المضايق، ويتضمن هذا المطلب تدويل الممرات المائية الإقليمية للدول الصغيرة ، لضمان بقائها مفتوحة أمام السفن الروسية التجارية والحربية في وقت السلم والحرب على حد سواء. وكان السوفيت يؤيدون مطالب بلغاريا، التي كانت ضمن دول حلف وارسو السابق، في الحصول على جزء من تركيا ليصبح لها حق الإشراف على مضيق البوسفور والدردنيل إلا أن الكتلة الغربية وتركيا رفضت هذا المطلب[1].

(1) http://www.qalilia-edu., opi cit, P.5.

وتعتبر هذه المضايق للحكومة التركية مصدرًا اقتصاديًا بالدرجة الأولى ؛ إذ تستفيد من عملية العبور، وفرض الرسوم والعوائد على تلك السفن وذلك مقابل الخدمات التي توفرها تركيا للسفن العابرة[1].

وقد بلغ عدد السفن التي تعبر المضايق التركية نحو 28 ألف سفينة سنويًا أغلبها سفن تجارية ، كما أنه في حالة حدوث صراع مسلح بين تركيا واليونان بخصوص قبرص فستتأثر الملاحة في المضيقين .

5- **مضيق ملقا**: Malaca Strait

يربط مضيق ملقا بين المحيط الهندي (بحر أندمان) والمحيط الهادي (بحر الصين الجنوبي)، وهو ينحصر بين جزيرة سومطرة (إندونيسيا) ، وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا) وسنغافورة . وهو يقصر الطريق الملاحي بين المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبي، وبذلك يعد بوابة إلى جزر الهند الشرقية والشرق الأقصى[2].

ويبلغ طول المضيق مع مضيق سنغافورة حوالي 600 ميل بحري، وقد ظهرت أهمية هذا المضيق الاستراتيجية والاقتصادية منذ زمن قديم وقد توالت عليه السيطرة من قبل الهنود والعرب والبرتغاليين، وفي السنوات الأخيرة استطاعت ماليزيا وإندونيسيا أن تسترجعا حقوق السيادة على هذا المضيق . ويتراوح اتساع مضيق ملقا ما بين 4 إلى 8 أميال بحرية في قطاعه الجنوبي و140 ميلا بحريا في قطاعه الشمالي . وهو مضيق ضحل يصل متوسط عمقه 27 مترًا ، ولذلك لا تعبره السفن ذات الغاطس الأكبر من 19.8 متر خاصة مع انتشار عدد من الجزر الصغيرة والكثبان الرملية في جزئه الجنوبي[3].

(1) الهادي أبو لقمة، محمد الأعور، مرجع سبق ذكره، ص 147 .
(2) محمد محمود الديب، مرجع سبق ذكره، ص 625 .
(3) محمد صبري محسوب: جغرافية البحار والمحيطات، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2002، ص 201.

وقد زادت أهميته بشكل واضح مع افتتاح قناة السويس عام 1869م ومنذ عام 1950م ، أصبح الممر الرئيسي لناقلات النفط الخام بين الخليج العربي واليابان ، حيث تمر به نحو 140 باخرة يوميًا.

6- **مضيق مسينا**: Messina Strait

يفصل مضيق مسينا بين شبه الجزيرة الإيطالية، وجزيرة صقلية، وهو عبارة عن قناة طبيعية تربط بين البحر التيراني في الشمال، والبحر الإيوني في الجنوب، ويصل اتساع المضيق إلى حوالي 32 كيلو مترا، بينما يتراوح أضيق نطاق ما بين ميلين في الشمال وعشرة أميال في الجنوب، ويبلغ أقصى عمق حوالي 100متر عند المدخل الشمالي للمضيق. وتمثل العوائق الطبيعية وخاصة الأمواج العالية والتيارات البحرية التي يتعرض لها المضيق أهم مساوئ استغلال هذا المضيق وذلك منذ القدم وخاصة في فصل الشتاء، وتظهر الأهمية الاقتصادية للمضيق خاصة بالنسبة لإيطاليا ، حيث يصل بين شبه الجزيرة الإيطالية وجزيرة صقلية، ويختصر المسافة الملاحية بين الموانيء الإيطالية فبدلا من أن تمر السفن حول جزيرة صقلية نجدها تمر عبر المضيق. كما أن المضيق لا يمثل عقبة طبيعية للاتصال بين شبه الجزيرة الإيطالية وجزيرة صقلية، حيث يتمثل الاتصال السريع ومد الكوابل الكهربائية التي ساهمت في عدم وجود عزلة بشرية واقتصادية أو حضارية بين شبه جزيرة إيطاليا وجزيرة صقلية ؛ إذ يقوم السكان على جانبي المضيق بتقديم الخدمات للسفن العابرة من وقود وتموين وغيرها، كما يقومون بمزاولة حرفة الصيد البحري، وذلك لغنى المضيق بالأسماك والأصداف البحرية.

هذا ويمثل المضيق أهمية اقتصادية واستراتيجية للحكومة الإيطالية ؛ إذ يساعد على ربط أكبر الجزر التابعة لإيطاليا وهي جزيرة صقلية بطرق ملاحية رخيصة، خاصة بشمال إيطاليا التي استطاعت أن تستغل الثروات الطبيعية المتواجدة بجزيرة صقلية وإدخالها في الصناعة، كالكبريت والأسمنت وغيرها من المعادن الأخرى.

كما استطاعت الحكومة الإيطالية بسيطرتها على المضيق من مراقبة الأنشطة العسكرية في غرب وشرق البحر المتوسط[1].

7- **مضيق ماجلان:** Mageilan Strait

مضيق ماجلان مجرى مائي ضيق وهائج الأمواج يفصل جزر تيرادل فويجو عن البر الرئيسي لأمريكا الجنوبية ويقع مضيق ماجلان عند الطرق الجنوبي تقريبا لقارة أمريكا الجنوبية. وفي عام 1520م قاد فرديناند ماجلان المكتشف البرتغالي أول بعثة كشفية أوروبية عبر المضيق أثناء أول رحلة حول العالم.

يبلغ طول مضيق ماجلان 563 كيلو مترًا، ويتراوح عرضه بين 3، 32 كيلو مترًا. وقبل شق قناة بنما كان هذا المضيق وكيب هورن أقصر الطرق المائية الموصلة من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادي[2].

8- **مضيق باس:** Bass Strait

مضيق باس يفصل جزيرة تسمانيا عن قارة أستراليا ويبلغ اتساعه حوالي 240 كيلو مترًا، ويتراوح عمق هذه الرقعة من المياه الضحلة بين 55 مترًا و90 مترًا، ويكتسح المضيق تيارات المحيط القوية فتسبب ظروفًا عاصفة معظم أيام السنة.

ويشمل مضيق باس عددًا كبيرًا من الجزر منها مجموعة جزر فورنو وكنت. وسمى المضيق باسم جورج باس الذي أبحر فيه مع ماثيو فليندرز عام 1798م.

9- **مضيق كوك:** Cook Strait

وهو يصل بين المحيط الهادي وبحر تسمان، ويفصل الجزيرة الشمالية عن الجزيرة الجنوبية في نيوزيلندا.

(1) الهادي أبو لقمة، محمد الأعور، مرجع سبق ذكره، ص ص 142 – 143.

(2) http://www,Global Arabic Encyclopedia. Op. cit.

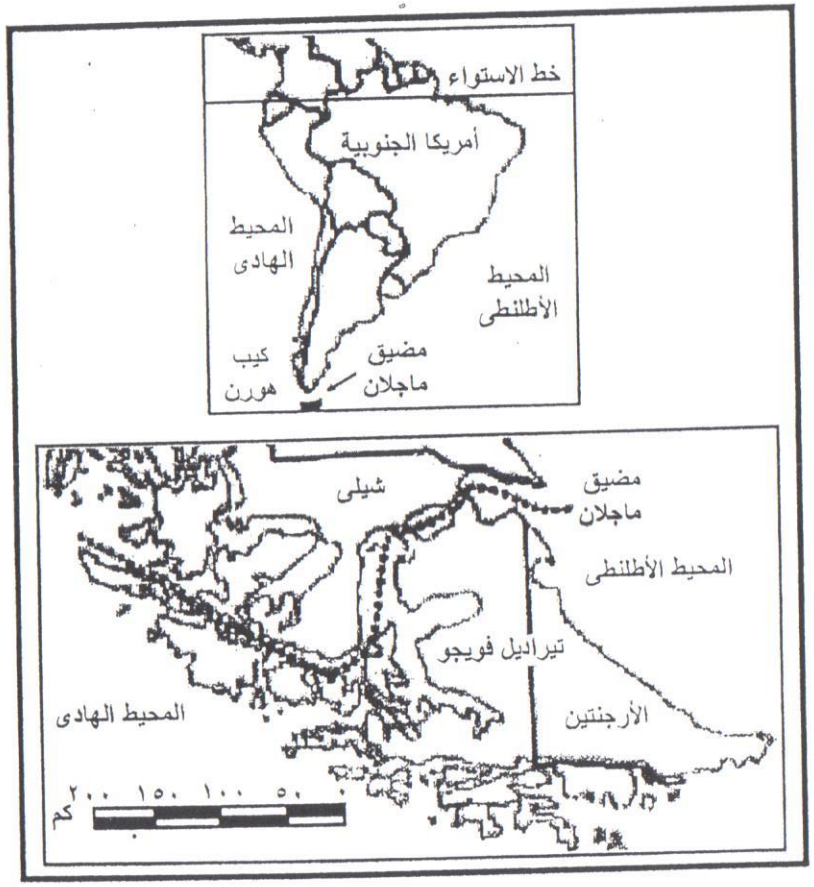

شكل (40) مضيق ماجلان

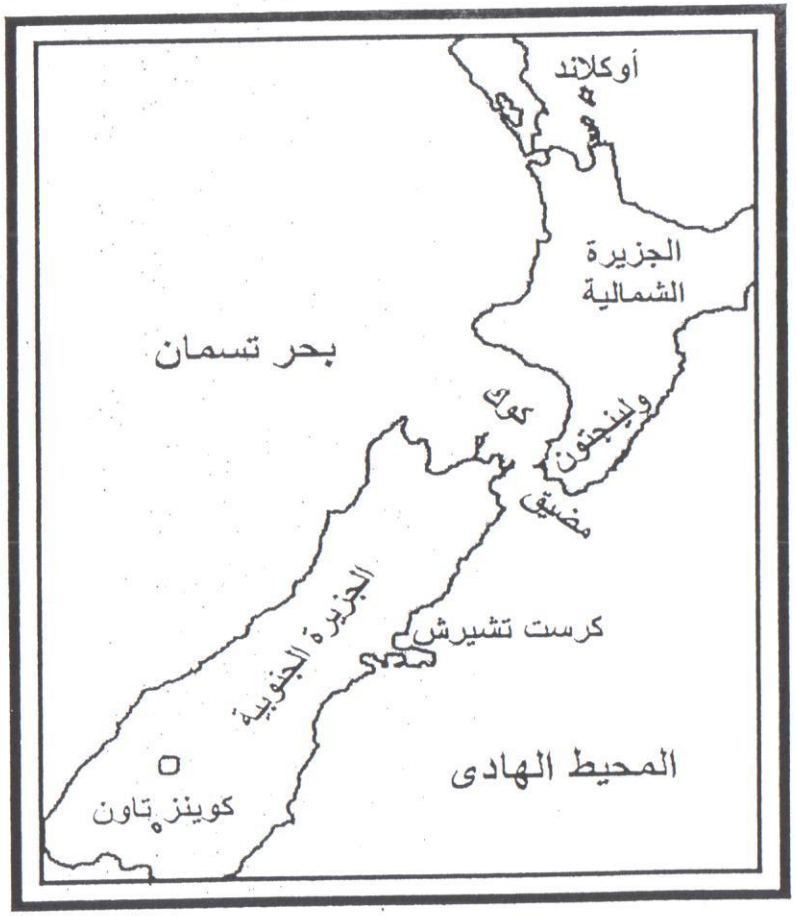

شكل (41) مضيـق كوك

ثانيًا: الممرات البحرية العالمية (القنوات):

تتشابه القنوات الملاحية مع المضايق، فكل منهما يصل بين مسطحين مائيين، ويمكن اعتبارها مضايق اصطناعية ضيقة جدًّا وقد تقع القنوات الملاحية عند مستوى سطح البحر مثل قناة السويس وقد تقع فوق سطح البحر مثل قناة بنما وتمر بها السفن بمساعدة الأهوسة. وتعتبر قناة السويس، وبنما، وكييل من أهم القنوات الملاحية في العالم، ويمكن إضافة القناة الروسية، التي تصل بين البحر الأبيض الروسي وبحر البلطيق، وهي قناة داخلية لاستخدام روسيا فقط وليست مفتوحة أمام الملاحة الدولية. وهناك فكرة لشق قناة برزخ كرا على الحدود بين ماليزيا وتايلاند، وأخرى في نيكاراجوا بأمريكا الوسطى لمساعدة قناة بنما.

ويوضح الجدول التالي أطوال القنوات في العالم

جدول (5) أطول القنوات في العالم(*)

القناة وموقعها	الطول / كم
قناة سان لوران – كندا	293
قناة ستالين (بالاتحاد السوفيتي السابق)	225.6
قناة السويس – مصر	195
قناة ألبرت – بلجيكا	129
قناة لينين – روسيا	99.4
قناة كييل – ألمانيا	99
قناة الفونس الثالث عشر – أسبانيا	85
قناة بنما – بنما	80
قناة يومون – الولايات المتحدة الأمريكية	72
قناة هيوستون – الولايات المحتدة الأمريكية	69
قناة مانشستر – بريطانيا	64
قناة ويلاند – كندا	43.4

(*) المصدر: حسن عبد الله الشرقاوي، موسوعة أرقام لها معنى، مكتبة جزيرة الورد – مصر.

وفيما يلي دراسة لأهم القنوات في العالم:

1ـ قناة السويس : Suez Canal

تعد قناة السويس من أهم الممرات البحرية في العالم، وهي أهم طريق ملاحي يربط بين الشرق والغرب وهي قناة مائية تقع إلى الغرب من شبه جزيرة سيناء وتصل بين البحرين الأحمر والمتوسط .

وقد سجل التاريخ أن حكام مصر الأقدمين قاموا بحفر قناة صناعية تربط بين البحرين الأحمر والمتوسط ، ولكن بشكل غير مباشر وذلك من خلال ربطها بنهر النيل أو بأحد فروعه (الفرع البيلوزي) ومن أشهر تلك القنوات[1]:

قناة الملك سنوسرت الثالث عام 1874 **ق.م.**

قام الملك سنوسرت الثالث وهو أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة بشق قناة تربط البحرين المتوسط والأحمر عن طريق النيل وفروعه ، وسميت هذه القناة باسم قناة سيزوستريس **وقد كانت السفن** القادمة من البحر المتوسط تسير في الفرع البيلوزي من النيل حتى "يوناستس" (الزقازيق الحالية) ثم تتجه شرقا إلى تيخاو" (أبو صير الحالية) ومنها عبر البحيرات المرة التي كانت خليجًا متصلًا بخليج السويس ومنها إلى البحر الأحمر .

وما زالت آثار هذه القناة واضحة المعالم حتى الآن بمحاذاة المجرى الحالي لقناة السويس بالقرب من جنيفة . إلا أن هذه القناة كثيرًا ما ردمت وتجددت في عصور الفراعنة والرومان .

(1) شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، موسوعة ويكيبيديا نقلًا عن بور سعيد أون لاين .
http://www.en.wikipedia .org /wikil/copyrights.

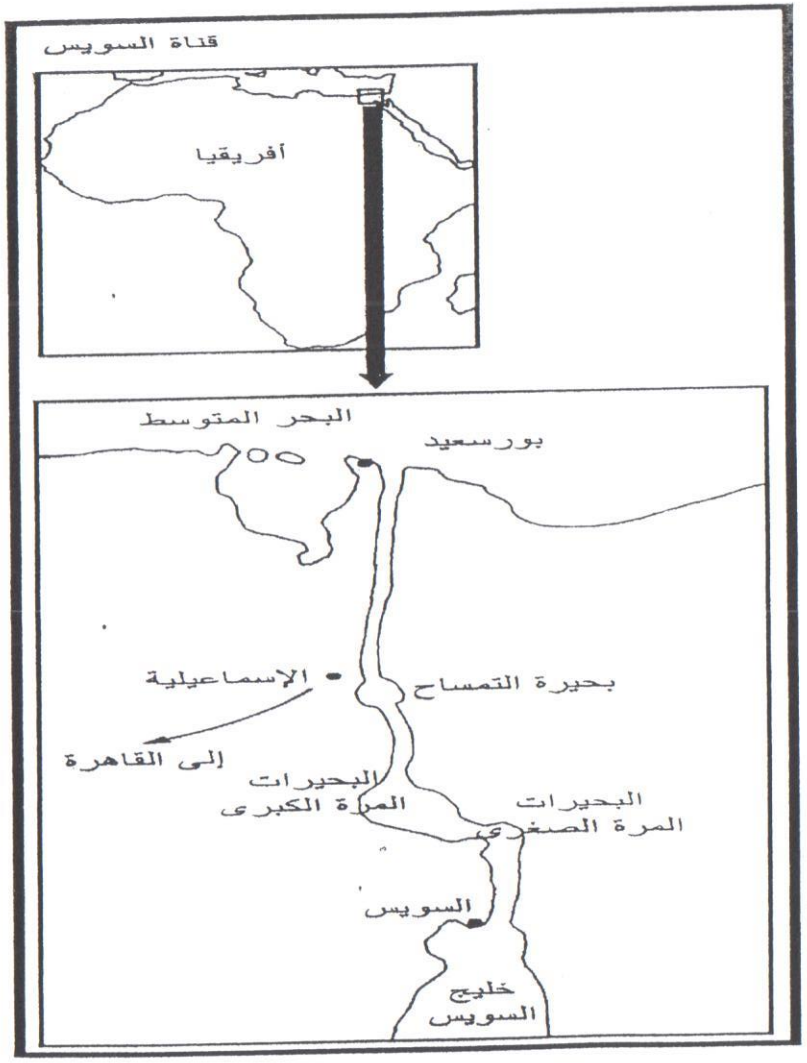

شكل (42) قناة السويس

قناة سيتي الأول عام 1310 ق.م:

جاء سيتي الأول" ملكا على مصر خلفًا لأبيه "رمسيس الأول" مؤسس الأسرة التاسعة عشر، وقد اختلف المؤرخون في دوره في حفر القناة، ولكن الأرجح أنه أعاد حفر القناة في عهده من عام 1319 – 1300 ق.م.

قناة نخاو عام 610 ق.م:

الملك نخاو هو أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، فكر في حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر. وحول هذا الموضوع يقول "هيرودوت" (القرن الخامس ق.م) أنجب إبسماتيك نيكوس (نخاو) الذي حكم مصر وهو أول من شرع في حفر القناة التي تؤدي إلى بحر أروتوري (البحر الأحمر).

قناة دارا الأول عام 510 ق.م:

في عهد الاحتلال الفارسي لمصر، ظهرت أهمية برزخ السويس، حيث ازدهرت خطوط المواصلات البحرية بين مصر وبلاد فارس عبر البحر الأحمر، أثناء حكم "دارا الأول" ملك الفرس من عام 522 – 485 ق.م الذي أعاد الملاحة في القناة، وتوصيل النيل بالبحيرات المرة، وربط البحيرات المرة بالبحر الأحمر.

قناة الاسكندر الأكبر عام 335 ق.م:

عندما فتح الإسكندر الأكبر Alexander the Great مصر عام 332 ق.م أشرف على تخطيط مشروع القناة لنقل سفنه الحربية من ميناء الإسكندرية وميناء أبي قير بالبحر المتوسط إلى البحر الأحمر عبر الدلتا والبحيرات المرة، كما بدأ تنفيذ قناة الشمال، إلا أن المشروعين توقفا لوفاته.

قناة بطليموس الثاني عام 285 ق.م:

في القرن الثالث قبل الميلاد "قام بطليموس الثاني" Ptolmey II" فيلادلفوس عام 285 ق.م باستكمال هذه القناة وأصبحت ممتدة من النيل حتى " أرسناو" (السويس حاليا) ولكن البيزنطيين أهملوها فطمرتها الرمال.

قناة تراجان (الروماني) عام 117 ق.م:

وأثناء الحكم الروماني لمصر، وفي عهد الإمبراطور "تراجان" "Trajan" عام 117 أعاد الملاحة للقناة، وأنشأ فرعًا جديدًا للنيل من "فم الخليج" بالقاهرة، وينتهي في "العباسة" بمحافظة الشرقية، متصلا مع الفرع القديم الموصل للبحيرات المرة واستمرت هذه القناة في أداء دورها لمدة 300 عام، ثم أهملت وأصبحت غير صالحة لمرور السفن.

قناة أمير المؤمنين عام 640 م:

عندما فتح المسلون مصر في عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" على يد الوالي "عمرو بن العاص" عام 640م، أراد توطيد المواصلات مع شبه الجزيرة العربية، فأعاد حفر القناة من الفسطاط إلى القلزم (السويس). وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين ومشروع هذه القناة كان في واقع الأمر ترميمًا وإصلاحًا للقناة القديمة، كان ذلك في عام 642م، واستمرت القناة تؤدي رسالتها ما بين 100 إلى 150 عامًا، إلى أن أمر الخليفة " أبو جعفر المنصور" بردم القناة تمامًا، وسدها من ناحية السويس، منعًا لأي إمدادات من مصر إلى أهالي مكة والمدينة الثائرين ضد الحكم العباسي. ومن ثم أغلق الطريق البحري إلى الهند وبلاد الشرق وأصبحت البضائع تنقل عبر الصحراء بواسطة القوافل وأغلقت القناة حتى عام 1820م.

وبعد قيام فاسكو داجاما باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح لم تعد السفن القادمة تمر على مصر، بل تدور حول قارة أفريقيا. وبعد ضم بريطانيا العظمى الهند إلى ممتلكاتها أصبح طريق رأس الرجال الصالح حكرًا على بريطانيا وحدها، لذلك فقد كان على فرنسا أن تفعل شيئًا يعيد لها مجدها وهيبتها، لذا ظهرت الحاجة لحفر قناة السويس. ولكن معظم تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب وجود اعتقاد خاطئ بأن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من منسوب البحر المتوسط.

نابليون بونابرت وحفر القناة (1798 – 1801م):

في عهد نابليون بونابرت وأثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر، وتحديدا في 4 نوفمبر 1799م ، كلف أحد المهندسين الفرنسيين ويدعي لوبيير بتشكيل لجنة لدراسة منطقة برزخ السويس لبيان جدوى حفر قناة تصل بين البحرين ، إلا أن التقرير الصادر عن لجنة لوبيير كان خاطئًا وذكر أن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من منسوب مياه البحر المتوسط بمقدار 30 قدم و 6 بوصات، بالإضافة لوجود رواسب وطمي النيل وما يمكن أن يسببه من سد لمداخل القناة مما أدى لتجاهل تلك الفكرة .

محمد على وحفر القناة (1805 – 1849):

أثناء حكم محمد علي باشا لمصر كان قنصل فرنسا بمصر هو مسيو ميمو ونائبه هو مسيو فرديناند دي ليسبس في ذلك الوقت عام 1833م جاء أصحاب سان سيمون الفرنسي الاشتراكي إلى مصر لإنشاء قناة السويس ولاقي حفاوة بالغة من مسيو دي ليسبس وعرض الفكرة على محمد على باشا إلا أنه عرض الفكرة على المجلس الأعلى وفضل إنشاء قناطر على النيل لمنع إهدار ماء النيل في البحر.

في عام 1840م وضع المهندس الفرنسي لينان دي بلفون بك ، والذي كان يعمل مهندسًا بالحكومة المصرية مشروعًا لشق قناة مستقيمة تصل بين البحرين الأحمر والمتوسط، وأزال التخوف السائد من علو منسوب مياه البحر الأحمر على البحر المتوسط، وأكد أن ذلك لا ضرر منه بل على العكس سوف يساعد على حفر القناة ، وأن مياه النيل كذلك يجرى ماؤها من الجنوب إلى الشمال وتصب في البحر المتوسط .

في 15 أبريل 1846م أنشأ السان سيمونيون بباريس جمعية لدراسات قناة السويس وأصدر المهندس الفرنسي بولان تالابو تقريرًا في أواخر عام 1847م مبنيًا على تقرير لينان دي بلفون أكد فيه إمكانية حفر قناة تصل بين البحرين دون حدوث أي طغيان بحري .

فرديناند دي ليسبس وحفر القناة:

بعد تولي محمد سعيد باشا حكم مصر في 14 يوليو 1854م تمكن مسيو دي ليسبس – والذي كان مقربًا من سعيد باشا – من الحصول على فرمان عقد امتياز قناة السويس الأول ، وكان مكون من 14 بندًا كان من أهمها حفر قناة تصل بين البحرين ومدة الامتياز 99 عامًا من تاريخ فتح القناة واعترضت إنجلترا بشدة على هذا المشروع خوفًا على مصالحها في الهند .

قام مسيو دي ليسبس برفقة المهندسين دي بلفون بك وموجل بك كبيرىْ مهندسي الحكومة المصرية بزيارة منطقة برزخ السويس في 10 يناير 1855م لبيان جدوى حفر القناة ، وأصدر المهندسان تقريرهما في 20 مارس 1855م والذي أثبت سهولة إنشاء قناة تصل بين البحرين .

وقام مسيو دي ليسبس بتشكيل لجنة هندسية دولية لدراسة تقرير المهندسين ، وزاروا منطقة برزخ السويس وبور سعيد وصدر تقريرهم في ديسمبر 1855م ، وأكدوا إمكانية شق القناة وأنه لا خوف من طمي النيل ؛ لأن بور سعيد شاطئها رملي[1].

في 5 يناير 1856م ، صدرت وثيقتان هما عقد الامتياز الثاني ، وقانون الشركة الأساسي ، وكان من أهم بنوده هو قيام الشركة بكافة أعمال الحفر وإنشاء ترعة للمياه العذبة تتفرع عند وصولها إلى بحيرة التمساح شمالا لبور سيعد وجنوبًا للسويس، وأن حجم العمالة المصرية أربعة أخماس العمالة الكلية المستخدمة في الحفر. وفي الفترة من 5 إلى 30 نوفمبر 1858م تم الاكتتاب في أسهم شركة قناة السويس ، وبلغ عدد الأسهم المطروحة للاكتتاب 400 ألف سهم بقيمة 500 فرنك للسهم الواحد، وتمكن مسيو دي ليسبس بعدها من تأسيس الشركة وتكوين مجلس إدراتها.

(1) http://www.cn.wikipedia. org/wikil

في 25 إبريل 1859م ، أقيم احتفال بسيط ببور سعيد للبدء بحفر قناة السويس ، وكان يوجد 100 عامل حضروا من دمياط، وفي أوائل عام 1860م بلغ عدد العمال 1700 عامل. في عام 1861م ركزت الشركة على إنشاء ميناء بور سعيد، فأقامت منارة لإرشاد السفن وكوبري يمتد من البحر إلى الشاطئ لتفريغ شحنات السفن والمعدات اللازمة للحفر، وأنشأت أيضًا حوضًا للميناء وأقامت الورش الميكانيكية مثل الحدادة والخراطة والنجارة وأقامت مصنعًا للطوب.

قام الخديو سعيد في 12 إبريل 1861م بزيارة الميناء الذي حمل اسمه فيما بعد . وفي 18 نوفمبر 1862م أقام مسيو دي ليسبس احتفالا بمناسبة الانتهاء من حفر القناة البحرية المصغرة ووصول مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التمساح وأقيم الحفل في منطقة نفيشة .

وكان الخديو إسماعيل قد تولى حكم مصر في يناير 1863م وتحمس للمشروع ولذلك أنشأ محافظة القنال في مارس 1863م برئاسة إسماعيل حمدي بك، وفي نفس العام وصلت مياه الترعة الحلوة مدينة السويس. وفي مارس 1869م وصلت مياه البحر المتوسط إلى البحيرات المرة، وفي 15 أغسطس ضربت الفأس الأخيرة في حفر القناة وتم اتصال مياه البحرين في منطقة الشلوفة .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم استخراج 74 مليون متر مكعب من الرمال وبلغت تكاليف المشروع 369 مليون فرنك فرنسي، وبلغ عدد العمال الذين اشتركوا في حفر القناة مليون عامل[1]، وبلغ عدد الذين ماتوا أثناء الحفر 125 ألف عامل[2].

(1) يعتقد المؤلف أن هذا الرقم مبالغ فيه للغاية.

(2) انتشر الكثير من الأمراض بين العمال وكان أكثرها مرض الطاعون والكوليرا .

وفي 16 نوفمبر 1869م دعا الخديو إسماعيل أباطرة وملوك العالم وقريناتهم لحضور حفل الافتتاح ، وكان حفلا أسطوريًا ووصلت الحفلة إلى مستوى فاق ما نسميه حكايات ألف ليلة وليلة[1].

وصف القناة الحالية:

تقع قناة السويس داخل الأراضي المصرية، وبلغ طول القناة 195 كيلو متر[2] من ميناء بور سعيد على ساحل البحر المتوسط وحتى ميناء السويس على ساحل البحر الأحمر بما في ذلك مجراها في البحيرات المرة وبحيرة التمساح وتفريعاتها، وتسير القناة مع الحافة الشرقية لبحيرة المنزلة في خط مستقيم حتى بحيرة التمساح، ثم تنحرف شرقًا إلى البحيرات المرة فخليج السويس، ويتراوح عرضها بين 300 – 350 مترا وقد قامت الحكومة المصرية بعمل تفريعات للقناة زادت من طولها بمقدار الثلث ويبلغ طول قطاعاتها المزدوجة 68 كيلو متر، ويتراوح عمقها بين 20 – 25 مترًا.

الأهمية الاقتصادية والتجارية للقناة:

أدي افتتاح القناة إلى تقصير المسافة بين موانى غرب أوروبا والهند بحوالي 8000 كيلو متر، وعملت على تقليل أهمية طريق رأس الرجاء الصالح إلى أدنى حد، فيما عدا وقت الأزمات.

فمن مقارنة قناة السويس بطريق رأس الرجاء الصالح نجد أن الباخرة تقطع المسافة من موانى غرب أوروبا عبر قناة السويس إلى البحر الأحمر ، ثم موانى الخليج العربي في 37 يومًا، بينما لوسلكت طريق رأس الرجاء الصالح فتستغرق الرحلة 60 يومًا[3].

(1) http://www.en.wikipedia .org

(2) تذكر بعض المصادر أن قناة السويس يبلغ طولها على وجه التحديد 193.5 كيلو مترًا .

(3) حسام الدين جاد الرب، جغرافية العالم العربي، مرجع سبق ذكره،ص 17 .

ويطلق على قناة السويس في الوقت الحاضر اسم قناة الزيت ؛ لأن أكثر من 70٪ من الحمولة التي تمر بها عبارة عن بترول. وقد بلغ عوائد المرور بالقناة نحو1300 مليون دولار سنة 1988م ، وعبرت القناة نحو 15 ألف سفينة، تبلغ حمولتها نحو 355 مليون طن ، بينما زاد دخل القناة عام 1996م إلى 2 مليار دولار، ارتفعت إلى 2.3 مليار دولار عام 2005م .

قناة السويس والملاحة الدولية:

بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م وزيادة أهميتها كأقصر طريق تجاري بحري يربط بين الشرق والغرب، فقد كان هذا دافعًا وسببًا مباشرًا في احتلال إنجلترا لمصر عام 1882م بهدف تأمين ممتلكاتها وتجارتها في الشرق.

وقد اتفقت تسع دول على توقيع معاهدة القسطنطينية عام 1888م الخاصة بالملاحة في القناة. ونصت المعاهدة على أن تكون قناة السويس البحرية حرة ومفتوحة دائمًا في وقت الحرب والسلم، لكافة أنواع السفن الحربية والتجارية، من دون تفرقة بين الإعلام التي ترفعها السفن. وتعهدت الدول الموقعة على الاتفاقية بعدم التدخل في حرية الملاحة بالقناة في وقت السلم والحرب. وهذا لم يمنع إنجلترا من أن تحتل مصر ، وتأخذ انتدابًا على فلسطين من أجل السيطرة على القناة وحمايتها من جهة الشرق ، وعندما انتهى احتلال إنجلترا لمصر، احتفظت الأولى بقوات عسكرية في منطقة القناة، ولم تنسحب منها إلا في سنة 1954م.

وأممت مصر شركة قناة السويس في 26 يوليو 1956م . وأدى هذا إلى العدوان الثلاثي على مصر في العام نفسه . ويرجع السبب الحقيقي في هذا العدوان إلى أن إنجلترا وفرنسا ظنتا أن حركة الملاحة في القناة ستضطرب ، وأثبتت الأيام عكس ذلك، وظلت القناة تعمل بكفاءة تامة، وبقيت مفتوحة لكافة جنسيات السفن ونوعيتها باستثناء حالة واحدة ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن مصر كانت في حالة حرب مع إسرائيل ، وتعطيها اتفاقية القسطنطينية حق منع سفن الدول المتحاربة

معها من المرور في قناة السويس. وكانت إسرائيل تدعى انتهاء حالة الحرب مع مصر بعقد اتفاقية الهدنة معها في 24 فبراير 1949م ، وبالتالي عدم شرعية الإجراءات المصرية. وجاءت حرب الأيام الستة في 5 يونية 1967م ، والتي تمخض عنها ضربة خطيرة بالنسبة لمستقبل قناة السويس نتيجة إغلاقها . وأعيد فتح القناة للملاحة العالمية في 5 يونية 1975م ، وقد كان هذا هو الإغلاق الثاني للقناة بسبب الأعمال الحربية على ضفافها . فقد سبق أن أغلقت سنة 1956م ، أيام حرب السويس، التي تعرف بالعدوان الثلاثي على مصر، والذي شاركت فيه كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، وقد تأثرت مصالح العالم التجارية بسبب هذا الإغلاق ، حيث كان مفاجئًا ولم يكن هناك بديل ملاحي سوى طريق رأس الرجال الصالح الذي تطول مسافته وتطول زمن الرحلة فيه بما يؤثر على تكلفة النقل البحري وأسعار المنتجات والمواد المنقولة وهذا على عكس الإغلاق الثاني الذي تأثرت به مصر، حيث كان العالم قد طور من الناقلات. وتضمن اتفاق فصل القوات الذي عقد في أغسطس 1975م بين مصر وإسرائيل السماح للشحنات الإسرائيلية غير العسكرية بالمرور في قناة السويس ، ثم جاءت اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل 1979م لتنهي أي حظر على الملاحة الإسرائيلية في القناة.

الأهمية السياسية والاستراتيجية لقناة السويس:

لقناة السويس دور سياسي كبير، فتاريخ مصر الحديث هو جزئيًا تاريخ القناة، وأصبحت القناة عنق مصر، فمن أراد قتلها عليه بالمقتل وهو القناة. وسهلت القناة استعمار المناطق الواقعة للشرق منها. فالبعض يقول إن القناة جنت على الشرق، بينما يعتقد الآخرون بأن الشرق جني على مصر.

ويمكن تمييز دورين استراتيجيين للقناة[1] :

(1) http://www.qalqilia.edu., PP. 6-8.

1ـ الاستراتيجية القديمة:

عندما احتلت إنجلترا مصر ومشارفها من الشمال والجنوب الممثلة في قبرص وعدن ، أصبحت القناة عنق الإمبراطورية البريطانية، وحاول أعداء إنجلترا في الحربين العالميتين الأولى والثانية دق هذا العنق ولم يفلحوا ؛ لأن بريطانيا استماتت في الدفاع عن هذا الممر، الذي يربط أجزاء إمبراطورياتها ويقصر المسافة بينهما[1].

2ـ الاستراتيجية الجديدة :

طرأت أربعة متغيرات منذ منتصف القرن العشرين هي: ثورات الاستقلال والتحرير وتصفية الاستعمار من المنطقة، وتدفق البترول بغزارة هائلة في منطقة الخليج العربي، ونشأة إسرائيل في فلسطين شرق القناة، وحدوث الانقلاب النووي.

فقد تحررت المنطقة من الاستعمار ، وانتعش فيها التيار القومي. وبتدفق البترول في منطقة الخليج العربي انتقلت إليها بعض الأهمية السياسية من القناة . وأصبح للشرق الأوسط قلبان هما الخليج العربي منبع البترول ، وقناة السويس شريان مرور البترول إلى مصبه في أوروبا. وأصبحت القناة تابعة للخليج بعد أن كان الخليج تابعا لها.

وقناة السويس ممر للتجارة العالمية وقت السلم وهي أيضا سلاح سياسي واستراتيجية حرب تصل انعكاساتها إلى كل البحار والمحيطات السبعة، لمرور الأساطيل الحربية فيها، فهي موقع حاكم في استراتيجية الصراع البحري العالمي، كما أنها تمثل عقدة مركزية في الملاحة والتجارة العالمية. وعمل الانقلاب النووي

(1) عبر جمال حمدان عن أهمية موقع مصر نتيجة حفر قناة السويس عام 1869م بعد أن فقدت هذه الأهمية نتيجة اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بقوله: "إن قناة السويس كعملية جراحية جغرافية اختزلت قارة بأكملها هي أفريقيا ، وأسرت طريق الرأس وأعادت وضع مصر والشرق العربي في قلب الدنيا وفي بؤرة الخريطة.

بصواريخه عابرة القارات على اختزال عنصر المسافة. ومن ثم ضاعت الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس في ظل الانقلاب النووي، ولكن أهميتها الاقتصادية تتدعم عبر الوقت.

2ـ قناة بنما : Panama Canal

تمر هذه القناة في دولة بنما، وتم افتتاحها سنة 1914م وهي تربط بين المحيط الأطلنطي في الشرق والمحيط الهادي في الغرب، وشقت هذه القناة لتفادي الدوران عن طريق رأس هورن عند الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية – ولتجنب الملاحة الخطرة وتقصير المسافة وتقليل النفقات . وقد كان فرديناند دى ليسبس رائد فكرة حفر قناة بنما بعد نجاحه في حفر قناة السويس وقد اكتشف كريستوفر كولمبس بنما عام 1502م ونزل فيها الرحالة باليو عام 1513م . وكانت بنما نقطة رئيسية لحركة البضائع الأسبانية بين أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى. وقد بدأ التفكير في حفر قناة لربط المحيطين الأطلنطي والهادي عن طريق برزخ أمريكا الوسطى منذ بداية القرن السادس عشر من قبل الحكومة الأسبانية ولكن هذه المحاولة لم تتم . عندما ثارت أمريكا الوسطى على أسبانيا في عام 1821م انضمت بنما إلى كولومبيا رغم محاولات الولايات المتحدة تشجيعها على الانفصال تمهيدًا لخلق دولة هزيلة يسهل التحكم فيها.

ولما رفضت كولومبيا عرض الولايات المتحدة الأمريكية بفتح قناة في أراضي بنما ، أقدمت الولايات المتحدة على استغلال ذلك الموقف فأرسلت قواتها العسكرية لمساعدة بنما على نيل استقلالها الذي أعلن عام 1930، وأخذت واشنطن مقابل ذلك امتياز شق القناة ووقعت اتفاقية مع بنما تسيطر الولايات المتحدة بموجبها على منطقة القناة نهائيًا لقاء أجر سنوي[1] وذلك عام 1913م . وبعد وصول الجنرال

(1) الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الأول، بيروت 1990م ، ص ص 483 – 484 .

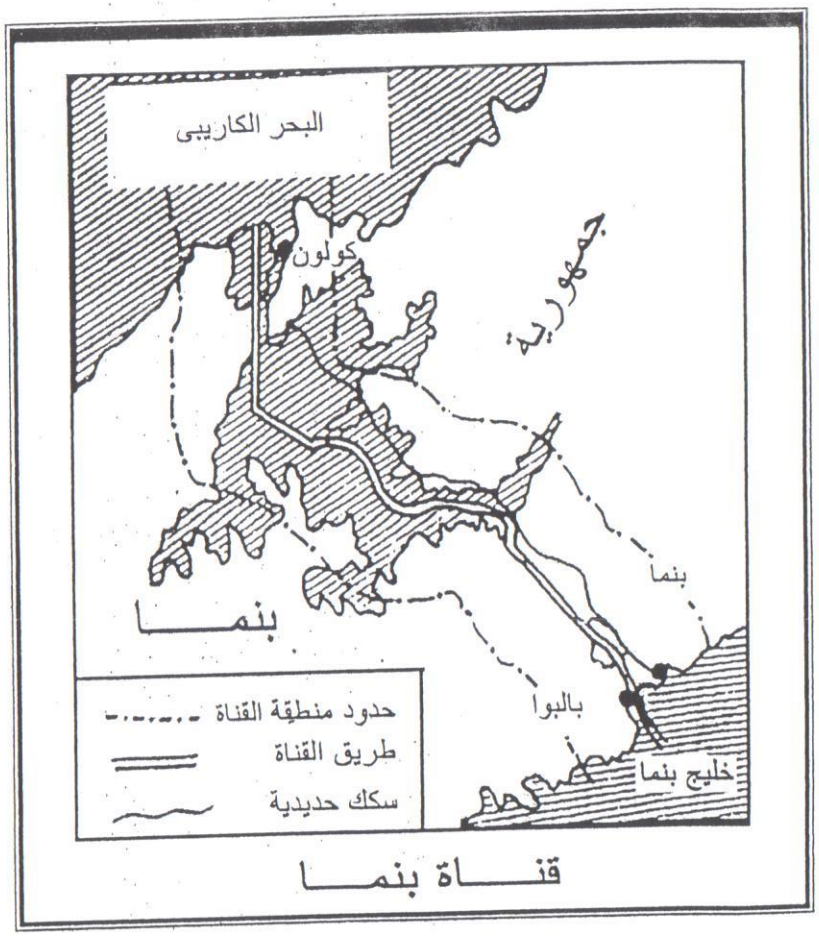

شكل (43) قناة بنما في قارة أمريكا الجنوبية

بتصرف عن: محمد عبد الغني سعودي

عمر تورخوس إلى حكم بنما بعد الانقلاب الذي قام به وأطاح بالرئيس بأرنجلو أرياس، وقامت حكومة الثورة بمحاولة عقد اتفاقية جديدة حول قناة بنما مع الولايات المتحدة ، وخاصة بعد ازدياد المطالبة الشعبية الملحة بضرورة وضع حد لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على القناة ، خاصة وأن عمر توريخوس كان قد انتهج سياسة قومية متشددة حيال هذا الموضع ، مبديًا إعجابه العلني بتجربة جمال عبد الناصر في تأمين قناة السويس .

توترت العلاقات بين بنما والولايات المتحدة نتيجة لذلك، وبعد مناقشات طويلة ومتشعبة، توصل البلدان عام 1974م إلى الاتفاق على تخلي الولايات المتحدة الأمريكية مبدئيا عن سيطرتها على القناة، إلا أن المفاوضات استمرت فترة ثلاث سنوات أخرى دون نتيجة حاسمة، كما ازدادت في سبتمبر 1976م الاضطرابات الطلابية الداعية إلى التشدد في موضوع السيادة البنمية على القناة.

وفي عام 1977م استئونفت المفاوضات حول القناة ، بعد تعيين إدارة أمريكية جديدة منها، وانتهت بتوصل الحكومتين إلى اتفاقيات جديدة حول الموضوع، طرحت على الاستفتاء الشعبي وأيدتها أكثرية الأصوات. وقد نصت هذه الاتفاقية على[1]:

1- استمرار ملكية الولايات المتحدة للقناة حتى 31 ديسمبر 1999م ، واعتبارًا من أول يناير سنة 2000م تصبح القناة ملكًا لبنما

2- إزالة القواعد الأمريكية تدريجيًا، وإنهاء وجودها سنة 1999م .

3- مشاركة الوطنيين في إدارة القناة وزيادة عددهم تدريجيًا حتى تصبح لهم الإدارة بالكامل في نهاية مده الاتفاقية .

4- حصول بنما على عائد سنوي يتراوح بين 40 – 70 مليون دولار من دخل القناة، إضافة إلى مبلغ 340 مليون دولار تقدمها الولايات المتحدة لبنما في شكل مساعدات .

(1) http://www.qalqilia, , op.cit., P.8.

شكل (44): المشروعات المقترحة لحفر قناة بديلة لقناة بنما

بتصرف عن: محمد عبد الغني سعودي

5- حياد القناة والسماح للولايات المتحدة بالتدخل، إذا ما تعرض هذا الحياد والملاحة فيها للتهديد.

وصف القناة وافتتاحها:

حاولت الحكومة الفرنسية عام 1880م حفر القناة عن طريق تتبع مناطق الغابات الاستوائية والمناطق الشديدة الانحدار دون اتخاذ مسار ثابت، إلا أن المحاولة أوقفت بعد عدة سنوات نتيجة للتكاليف الباهظة. وفي سنة 1904م أحيت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فكرة إنشاء القناة، ولكن بتصميم مختلف يعتمد على النظام التحكمي ، حيث افتتحت القناة في 15 أغسطس عام 1914م.

وقد واجه حفر قناة بنما عدة صعوبات كان أول هذه الصعوبات : ارتفاع درجة الحرارة ، وانتشار الأمراض في مثل هذه المناطق المدارية المطيرة التي تقع بها القناة والتي قضت على أكثر من 20 ألف من العمال ، وابتلعت جبل من النقود على حد تعبير ستيفن زيفيج Stefan Zweig ، كما أن انتشار المستنقعات والرمال من الصعوبات التي واجهت عملية الحفر . وكانت أكبر العقبات التي واجهت حفر القناة هي احداث ثغرة في الحاجز القاري حيث يهبط الممر هنا حوالي 300 قدم. وقد أقيم سد عبر وادي نهر تشارجز charges خلف بحيرة جاتون التي تبلغ مساحتها حوالي 164 ميلا مربعًا.

وقد أقيمت ثلاثة أهوسة عند بحيرة جاتون لرفع السفن إلى مستوى 85 قدمًا فوق مستوى سطح البحر الكاريبي لتصل إلى مستوى سطح البحيرة. وقد شيدت فتحة عبر خط التقسيم تسمى فتحة جايلارد Gailard يبلغ عرضها حوالي 300 قدم ، وطولها 8 أميال . وقد أقيم هويس بدروميجل Pedro Miguel للهبوط بالسفن لحوالي 31 قدمًا ليصل إلى مستوى مياه بحيرة ميرافلورز Mera flores، وهي بحيرة صناعية أيضًا، ثم نجد هويسين آخرين يسميان أهوسة ميرافلورز

يقومان بمهمة الهبوط بالسفن إلى مستوى المحيط الهادي عند بالبوا Balboa على بعد 8 أميال . وقد بلغت تكلفة حفر قناة بنما حوالي 546 مليون دولار ؛ أي خمسة أمثال ما أنفق في حفر قناة السويس[1].

وقناة بنما مجرى مائي صناعي يشق برزخ بنما ، وتسير القناة في اتجاه جنوبي من ساحل البحر الكاريبي (المحيط الأطلنطي) عند كرستوبال إلى ساحل المحيط الهادي عند بالبوا مخترقة مستنقعات جاتون[2]. ويبلغ طول القناة 43.5ميلا بحريا حوالي 80.6كيلو متر. والقناة بها أهوسة يبلغ عددها 12 هويسًا ؛ لأن القناة تخترق منطقة صعبة في سطحها ومناخها الحار الرطب (تقع على خط عرض 10 شمال خط الأستواء) وتتعرض المنطقة للزلازل. وظاهرة المد والجزر موجودة مع كثرة حدوث الفيضانات[3] من أجل هذا أصبحت القناة تحتوى على مراكز تحكم تساعد على ارتفاع أو انخفاض منسوب المياه في المجرى الرئيسي للقناة، حيث يصل ارتفاع منسوب المياه إلى25.9 مترًا ، وتستغرق فترة عبور القناة ما بين 8 – 10 ساعات وفقا للحركة الملاحية وظروف المناخ وقد صممت مجموعة من السفن التجارية وفقًا للمواصفات الفنية للقناة التي أصبحت تعرف بسفن القناة البنمية Panimax ، بحيث لا يتعدى طول السفينة 274.3 مترا وأقصى اتساع لا يزيد على 32.3 مترا[4].

الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للقناة:

تعتبر قناة بنما ذات أهمية تجارية واستراتيجية خاصة في ربط غرب الولايات المتحدة بدول غرب أوروبا ودول البحر الكاريبي وأمريكا الجنوبية وبالذات في نقل

(1) زين الدين عبد المقصود: نصف الكرة الغربي الأمريكي، دارسة في الجغرافيا الإقليمية، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1998، ص ص 329 –331 .

(2) أحمد عطية الله، القاموس السياسي، مرجع سبق ذكره، ص216 .

(3) فليب رفله ، أحمد سامي مصطفى:الإنسان وعمران الأرض ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 119 –120 .

(4) الهادي أبو لقمة ، محمد الأعور ، مرجع سبق ذكره ، ص ص154– 155 .

السلع ذات الحجم الكبير، خاصة وأن القناة تختصر المسافة بين تلك الدول حيث نجد أن المسافة بين نيويورك على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية وسان فرنسيسكو على ساحلها الغربي تصل إلى 13 ألف كم عن طريق رأس هورن في أقصى الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية، بينما تصل إلى 6200 كم بين ميناء ليفربول الإنجليزي وميناء سان فرانسيسكو عن طريق قناة بنما .

وتواجه قناة بنما زيادة الحركة التجارية بين المحيطين الأطلنطي والهادي، بالإضافة إلى التطورات الحديثة في صناعة السفن الضخمة، ولذلك وضعت عدة اقتراحات لإنشاء قناة جديدة في موقع آخر في أمريكا الوسطى، الاقتراح الأول إنشاء قناة تخترق برزخ تهوانبيك Tehuantepec في المكسيك، ثم اقتراح إنشاء قناة تخترق نيكاراجوا لتمتد عبر بحيرة نيكاراجو . الاقتراح الثالث إنشاء قناة تسير مع وادي اتراثو في شمال كولومبيا، بالإضافة إلى اقتراح بإنشاء قناة قريبة من القناة الحالية في بنما[1].

قناة كييل

تقع قناة كييل في أقصى جنوب شبه جزيرة الدانمارك. وشق الألمان هذه القناة سنة 1914م ، وذلك بهدف تقصير المسافة بين موانى ألمانيا الواقعة على بحر البلطيق وبحر الشمال، وذلك لتفادي المرور في مضايق الدانمارك حول شبه الجزيرة الدانماركية.

وتربط قناة كييل بين بحر الشمال وبحر البلطيق ويبلغ طولها 98.5 كيلو مترًا وعرضها يتراوح ما بين 102 – 162 مترًا وعمقها 11 مترًا، وهي تختصرا الطريق للسفن ، فهي تختصر الرحلة حول الدانمارك ما يزيد على 840 كيلو مترًا . وتقع القناة

(1) فتحي محمد أبو عيانة، محمد الفتحي بكير. جغرافية الأمريكتين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999، ص 297 .

شمال ألمانيا ، حيث تبدأ من برنسبيو تلكوج عند مصب نهر الألب إلى هولتنو، ويوجد فوقها جسر للسكك الحديدية عند رندسبرج.

وتقع في نهاية الطرف الشرقي للقناة مدينة كييل، وقد بلغ عدد سكانها 245.628 نسمة ومن أهم الأنشطة الصناعية بها صناعة بناء السفن ، وتصنيع الأسماك والطباعة وصناعة الخزف . كما أنها مركز مهم للتدريب البحري وتنتشر بالمدينة المراكز التجارية الحديثة ، كما أنها تعتبر نموذجًا لتخطيط المدن حيث يوجد بها شوارع للمشاة فقط[1] وقد كانت لهذه القناة أغراض تجارية وأهدافًا استراتيجية. وظلت هذه القناة بلا اتفاقيات دولية لتنظيم الملاحة فيها، وتحت السيطرة الألمانية المطلقة حتى سنة 1919م ، وجاءت معاهدة فرساي لتنص على فتح القناة للتجارة السلمية لكافة الدول . وصدر بناء على ذلك قرار من محكمة العدل الدولية ينص على أن قناة كييل طريق مائي دولي ، مهمتها تسهيل الحركة الملاحية لكل الدول الأوروبية التي تستخدمها إلى بحر البلطيق ، وأن القناة يجب أن تكون مفتوحة لكافة أنواع السفن التجارية والحربية دون تفرقة .

وألغت ألمانيا سنة 1936م كل هذه النصوص من جانبها وحدها، وأقامت التحصينات العسكرية على ضفاف القناة، وسمحت لسفن الدول الصديقة لألمانيا فقط بالمرور فيها . وقد أعيد فتح القناة مرة ثانية لكافة أنواع السفن ، تجارية وحربية ، من مختلف الجنسيات عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .

(1) مصطفى أحمد ، حسام عثمان: الموسوعة الجغرافية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة 2004 ، ص 156 .

الفصل الثامن

دراسة تطبيقية لبعض المشكلات السياسية في العالم

دراسة تطبيقية لبعض المشكلات السياسية في العالم

1- مشكلة كشمير:

مقدمة:

تعد مشكلة كشمير إحدى المشكلات الناجمة عن تقسيم شبة القارة الهندية بين الهند وباكستان، فعندما احتل الاستعمار البريطاني شبة القارة الهندية قسمها إلى نحو 580 إمارة ، وكان من بين هذه الإمارات إمارة جامو وكشمير، وقد كان لكل إمارة كيانها الاقتصادي الخاص ، وتختلف في مساحتها عن بقية الإمارات . وقد تم تقسيم شبه القارة الهندية عام 1947م على أساس ديني إلى دولتين هما جمهورية الهند، وتدين بالديانة الهندوسية (الهندوكية) وجمهورية باكستان وتدين بالإسلام .

وبعد أن أصدر البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند الذي أنهى الحكم البريطاني، ورغم تنفيذه اعتبارًا من 15 أغسطس1947م . وبناءً عليه ، نشأت دولة باكستان الجديدة ، وكان على الولايات والإمارات الهندية ، طبقًا لهذا القانون أن تنضم إما إلى الهند أو باكستان وانضمت معظم الولايات والإمارات إلى الهند ، بينما انضم عدد قليل من هذه الإمارات إلى باكستان وبقيت ولاية جامو وكشمير دون أن تنضم إلى أي من الدولتين ، وقد اختلفت الدولتان على كشمير ؛ إذ أعلن حاكم كشمير ضمها إلى الهند ، ولكن شعبها رفض ذلك وأصبحت البلاد مسرحًا لقتال ضار بين قوات الهند وباكستان وتمكنت الهند من الاستيلاء على الجزء الأكبر من الولاية. وضمها إليها عام 1957م كجمهورية ذات استقلال ذاتي، بينما ضمت باكستان الجزء الباقي.

ومنذ ذلك التاريخ شهدت كشمير صراعًا بين الهند وباكستان حتى الوقت الحاضر ، ويزيد من حدة الصراع كفاح المجاهدين الكشميريين ضد الاحتلال الهندي لبلدهم من جهة وسباق التسلح الخطير بأسلحة الدمار الشامل بين الهند وباكستان من جهة ثانية، وأصبحت كشمير أحد بؤر الصراع الرئيسية في جنوب آسيا[1].

وأصبحت مشكلة كشمير نموذجًا من المشكلات المتنوعة التي تهبط بمستوى العلاقات بين الدول، إلى درجات خطيرة تنذر بالخطر وصراع الحرب إذا ما تفجرت. وهي – من غير شك- تستنزف الجهد والمال وتعطل مسيرة التنمية، وتنشر التخلف في شبه القارة الهندية إن هي بقيت مستحكمة من غير حل ويمكن القول أنها تعبر عن نتيجة من ضمن نتائج سيئة كثيرة تمخض عنها الاستعمار البريطاني البغيض[2].

وإذا كانت كل من الدولتين ؛ أي الهند وباكستان تدعي أن لها الحق الأول والأخير للحصول على كشمير كجزء من ترابها وتؤيد هذا الإدعاء بعدد من الأدلة والبراهين . وحتى تتضح الأمور ينبغي أن نتعرف على طبيعة المشكلة وأبعادها، وعلى المتغيرات التي تفجرها بين الحين والأخر لنستوضح في النهاية أي الدولتين أحق بالولاية.

الوضع الجغرافي:

تقع كشمير شمال شبه الجزيرة الهندية وفي أحضان جبال الهمالايا. وتمتد بين دائراتي عرض 32°، 38° شمالًا، وتحدها باكستان من الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وتحدها الهند من الجنوب، بينما تحدها الصين من الشمال والشرق والجنوب الشرقي، كما تحدها أفغانستان من الشمال الغربي.

(1) http://www.Fahdlthani.com , op.cit., P.2.
(2) صلاح الشامي، مرجع سبق ذكره، ص 455 .

والاسم الرسمي لكشمير هو ولاية جامو وكشمير Kashmir & Jammu وتضم هذه الولاية أيضًا مناطق جليجت Giligit ولاداخ Ladakh وبلتستان، Baltistan وبونش Punch .

وتبلغ مساحة كشمير 222.236 كيلو مترًا مربعًا . وهي ذات سطح جبلي معقد؛ إذ تمر عبرها جبال الهمالايا وسليمان بعد خروجهما من عقدة البامير التي تقع في شمالها ، وتقطعها الروافد العليا لنهر السند فتزيد من تعقد السطح فيها . و تنقسم فيها سلاسل الهيمالايا إلى عدد من السلاسل المتوازية تحصر بينها واديين مهمين نسبيا هما: وادي كشمير، ووادي جامو[1].

وتعد جبال بيربانجال pirpanjal بمثابة خط تقسيم مياه بين هذين الواديين الرئيسيين اللذين يعدان امتدادًا طبيعيًا لسهول باكستان.

ويقع وادي كشمير بين سلسلة جبال بير بانجال ومرتفعات الهيمالايا العالية التي يبلغ متوسط ارتفاعها نحو 1600 متر . وتحتوى هذه المنطقة على عدد من البحيرات يصب فيها نهر جهلوم وغيرها من الأنهار . وتقع خلف وادي كشمير جبال هيمالايا العظمى التي تقع في الغرب حتى تصل إلى نانجا باربات. وتقع سلسلة زانسكار ولاداخ إلى الشمال من جبال الهيمالايا ويبلغ متوسط ارتفاع السلاسل الجبلية نحو 5000 متر. وتشكل سلسلة زانسكار العمود الفقري لجنوبي لاداخ، ويخترقها نهرا الدودا وتساراب ويصبان شمالًا في نهر السند.

وأهم الأنهار في كشمير هي: السند والذي يعد أكبر الأنهار في آسيا.وينبع من التبت ، وقد نحت هذا النهر مجري عميقًا في جامو وكشمير. ومن بين الأنهار الأخرى في كشمير هي نهر لوم ، تشيناب ، رافي ، بُيز وكلها تجري عبر البنجاب .

(1) محمد عبد المجيد عامر، مرجع سبق ذكره ، 532 .

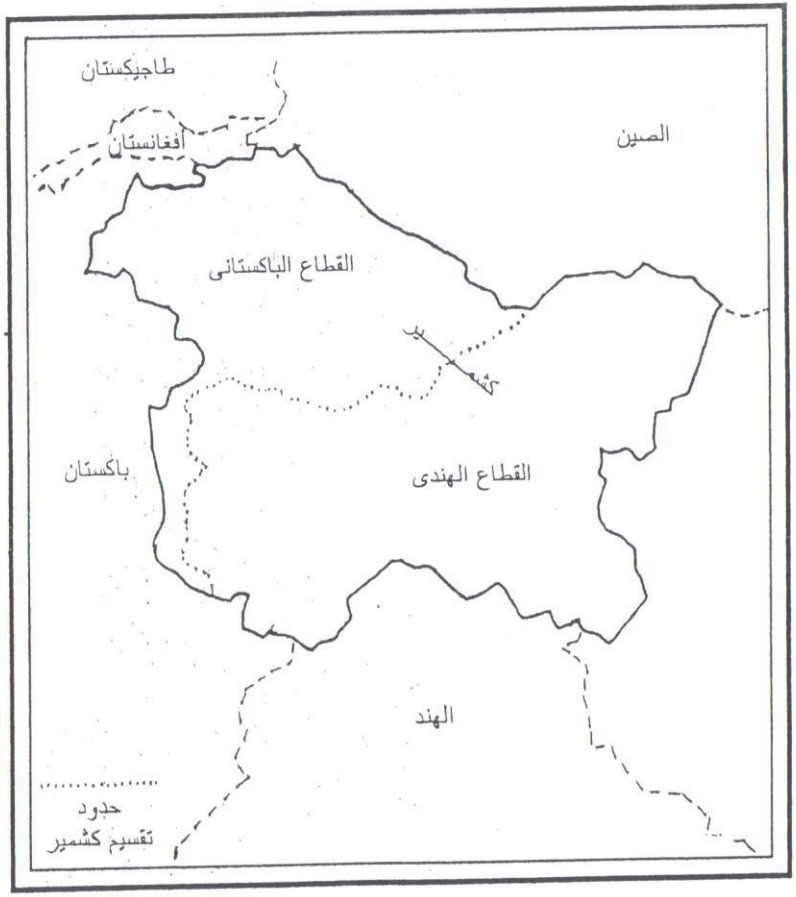

شكل (45) مشكلة كشمير

ولأنهار دودا وشايوك وتساراب وزانسكار أهميتها في منطقة لاداخ . وتتخذ بحيرة ناجين ودال مكانًا ملحوظًا في سرينجار عاصمة الولاية ، ويبلغ طولها 17 كيلو متر وعرضها 5 كيلو مترات ، ويصب في هذه البحيرة نهر جهلوم ، وإضافة إلى ذلك فإن هناك كثيرًا من البحيرات الصغيرة منها، شيشناج وهي بحيرة محبوبة من زوار الهندوس[1].

ومناخ كشمير بارد جدًّا في فصل الشتاء بسبب الطبيعة الجبلية ، وتسقط الثلوج بكثرة ، وتدوم معظم أيام السنة ، أما الصيف فهو معتدل على الجبال حار في الأودية . وأقصى متوسط لدرجة الحارة في سرينجار تتراوح بين 31^5 م في يوليو (الصيف) 4^5م في يناير الشتاء ، وأدني درجة للحرارة تسجل فيها هي 18^5م في يوليو ، 2^5م في يوليو، وقد تصل درجة الحرارة إلى 37^5م في الصيف وإلى - 11^5م في الشتاء.

وتتلقى كشمير جزءًا مهمًّا من مياهها من الثلوج المتساقطة، فأمطارها متوسطة ومتذبذبة في كمياتها وغير منتظمة في مواعيد هطولها.

وتغطي الغابات مساحة مهمة من كشمير، وهي ثروة طبيعية ومورد اقتصادي أساسي لما يصدر من أخشابها، وهي تشكل أكثر من خمسي قيمة الإنتاج المحلي، وتصدر نحو 90٪ من الأخشاب إلى غرب البنجاب عن طريق الأنهار كذلك تنمو المراعي الطبيعية على سفوح الجبال ، حيث تربي أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الثمين الذي يعرف بصوف كشمير[2] أو الذي يعرف أحيانا باسم باشمينا.

وأشهر المحاصيل الزراعية في كشمير هي الفواكه وتزرع جميع أنواعها تقريبًا في الوادي الأخضر (وادي كشمير) وهو أهم المناطق الزراعية في البلاد وأهم الفواكه

(1) http://www.mawssoah.net.gae_portal/maogen. As P.2.

(2) http://www.fahdathani.com/Article.asp.13.

هي التفاح والكمثرى والعنب ، ويصدر الفائض عن حاجة الاستهلاك من الفواكه إلى باكستان . ويعد الأرز ثاني المحاصيل الزراعية في كشمير بعد الفواكه وهو غذاء رئيسي للسكان ، ثم يأتي بعد ذلك الحبوب والقطن والزعفران[1] والتبغ واللوز والجوز .

ويعتني كثير من المزارعين بتربية الأغنام والضأن وأبقار التبت الضخمة التي يسمونها الياك ، ويخرجون بها إلى المراعي على ارتفاع 4000 متر وذلك خلال أشهر الصيف .

ومن أهم المعادن الموجودة في كشمير الحديد والفحم والذهب والقصدير والماغنسيوم والرصاص، ولا توجد مناطق تعدين يمكن استغلالها تجاريًا في كشمير . ويستخرج السكان ما يسمى لابيزلازولي وهو حجر محلى لونه بين الخضرة والزرقة (تركواز) ويستعمل هذا الحجر شبه الكريم زينة في أغطية الرأس.

ومعظم الصناعة في كشمير صناعات يدوية ، كما يوجد بها بعض المصانع الصغيرة ، وأهم الصناعات بها هي صناعة البطاطين والشالات الصوفية والفرش والسجاد الشرقي ، وصناعة الفضة والرخام ونسج الحرير ومنتجات الألبان والجلود والورق ، والصناعات الخشبية .

ويوجد في كشمير عدة مطارات تربطها بالمدن الهندية الأخرى. وهناك مطارات في "جامو"وسريناجار" و"ليه" وكثيرًا ما يوقف الشتاء القارس مطاري سريناجار ، وليه عن العمل . ومركز السكك الحديدية لكشمير هي جامو ، وتربط هذه الخطوط الحديدية شمير ببقية المدن الهندية الأخرى .

(1) يزرع الزعفران في وادي كشمير ، ويعد هذا الوادي أيضًا المنتج الوحيد في جنوب آسيا للزعفران الذي يعد عنصرًا من عناصر تلوين الطعام ، كما أنه يعطيه نكهة طبيعية تستخلص من زعفران الربيع.

وقد وضعت الحكومة الهندية استثمارات ضخمة في مجال الاتصالات بهذه الولاية ويعتبر نفق جواهر الذي يربط بين جامو ووادي كشمير من أطول الأنفاق في آسيا، ويبلغ طول الطرق في كشمير 11 ألف كيلو مترًا[1]

وقد ظل وادي كشمير ينعم بإقبال شديد من السياح والزوار منذ أيام المغول ، وتجذب كل من جُولمارج وبالهالجام كثيرًا من الزوار. ويجد التزلج على الجليد إقبالا في كشمير، كما أن الرحلات مصدر دخل مهم في كل من كشمير ولاداخ للتمتع بالطبيعة الساحرة للبلاد .

وأشهر قبائل المسلمين في كشمير هي الشيخ، السيد، المغول، والباتان. أما قبائل الهندوس فأشهرها بانديت ريشي ، ويتكلم السكان لغة جبلية خاصة بهم تشبه لغة البنجاب ، وهي من أصل سنكسريتي لكنها تأثرت باللغة الفارسية . وأهم مدن كشمير ساريناجار العاصمة الصيفية ومدينة جامو العاصمة الشتوية وكلتاهما تقعان في الجانب الهندي من كشمير ، أما مدينة جلجت فهي عاصمة كشمير الحرة . ويبلغ عدد سكان كشمير نحو 7.7 مليون نسمة.

البعد التاريخي لمشكلة كشمير.

كان سهل كشمير يشكل جزءًا من عدة إمبراطوريات هندية بما في ذلك إمبراطورية أسوكا في القرن الثالث قبل الميلاد. وقامت مملكة مستقلة في كشمير في القرن السابع الميلادي، وكان قد أقامها ديور لابهايار ذانا وهو أول ملوك أسرة كاركوتا، وهي أسرة محلية. وقد رفع ملوك كاركوتا مكانة كشمير السياسية، كما أنها وسعت من رقعة أراضيها التي تحت سيطرتها.

فتح المسلمون كشمير في وقت متأخر عن غيرها من المناطق الهندية لوعورة أراضيها الجبلية. وصارت كشمير جزءًا من الإمبراطورية الإسلامية الهندية التي

(1) http://www.mawsoah.net.gae_Portl., op.cit.

يحكمها أباطرة الهند المسلمون منذ فتحها الشاة أمير في عام 740 هـ (1339م)، ولما ضعفت قوة الملوك المسلمين في دهلي انحسر نفوذهم عن كشمير وغيرها من الأطراف[1].

وفي عام 855م حلت أسرة يوتبالا محل حكم أسرة كاركوتا، وتولى ملوك يوتبالا مهمة توسيع عمليات الري في وادي كشمير، وهذا مكنهم من توسيع رقعة الأراضي التي شملتها الزراعة.

وفي غضون القرن العاشر الميلادي ظهرت عدة ممالك صغيرة وولايات جبلية في سفوح الهيمالايا . ومن بين هذه الممالك ديورجارا وهي المنطقة التي أصبحت فيما بعد جامو ، وبحلول نهاية القرن العاشر الميلادي حكمت أسرة ثان منطقة لاداخ. وأسست هذه الأسرة عاصمة لها في مدينة "شي" ، وأقامت كثيرًا من القلاع في مختلف أنحاء مملكتها . وثبتت أقدام بوذيي التبت في لاداخ خلال القرن العاشر وبني أكثر من 100جمبا وهي المعابد البوذية في تلك المنطقة وكان يسيطر على حكم أسرة يوتبالا بين القرن العاشر والرابع عشر الميلادي في وادي كشمير نزاع بين حزبين عسكريين متنافسين هما التانترنيون والإيكانجايون . وفي نهاية الأمر قام الإقطاعيون من ملاك الأراضي المعروفين باسم الداماريين بإنهاء ذلك النزاع وحكمت البلاد ملكتان من أسرة يوتبالا ، وكان حكمها ذا شأن عظيم ، وهاتان الملكتان هما : الملكة سوجاندر والملكة ددّر[2].

وفي عام 1586م انضمت كشمير إلى إمبراطورية السلطان أكبر ، ثم حكمها الأفغان منذ عام 1756م ، ثم السيخ منذ عام 1820م ، ونظمت معاهدة أمريتسار

(1) http://www.fahdathani.com.,op.cit .P.5.
(2) http://www.fahdathani.com /Article, op.cit., pp. 22-23.

عام1846م ، بين بريطانيا والمهراجا جولاب سينج نظام الحكم الذاتي تحت الإشراف البريطاني[1].

وشهدت الولاية منذ يوليه 1947م ثورة مسلحة في إقليم "بونش" في الجزء الأوسط الغربي من كشمير ، حيث تمكن الثوار من إقامة أول حكومة في إقليم "أزاد كشمير" وكشمير الحرة . وقد أمدت باكستان الثورة بالسلاح وأيدتها . وفي شهر أغسطس من نفس العام قامت جماعات إرهابية من الهندوس والسيخ بمذابح طائفية ضد المسلمين أدت إلى فرار حوالي 5 مليون مسلم من المنطقة لجأ معظمهم إلى أراضي "آزاد كشمير" . وقد اشترك مهراجا ولاية جامو وكشمير وأعوانه في هذه الفتنة الطائفية مما أدي إلى إشعال منطقة الحدود بين كشمير وباكستان .

وبينما كانت باكستان وكشمير تتبادلان الاتهامات ، بدأ رجال القبائل المسلمة غزو كشمير في 23 أكتوبر 1947م ، قادمين من مناطق شمال غرب باكستان ، وواصل الغزاة تحركهم نحو العاصمة ، ولم تكن قوات ولاية كشمير قادرة على صد هذا الغزو وفي 24 أكتوبر 1947م أرسل المهراجا يطلب مساعدة الهند العسكرية، وأعلن لورد "مونباتن" الحاكم العام للهند أنه لا يمكن إرسال أي قوات هندية إلا بعد انضمام كشمير إلى الهند وأضاف أن انضمام مهراجا كشمير يجب أن يكون مؤقتًا لحين معرفة رغبات شعب كشمير. وسرعان ما وقع المهراجا وثيقة انضمام كشمير إلى الهند وطلب الاستعانة بالقوات الهندية . وفي 27 أكتوبر 1947م ، وافقت الهند على أنضمام كشمير إليها . وفي أول ضوء من هذا اليوم ، بدأت القوات الهندية في الوصول بطريق الجو إلى "سريناجار" واستطاعت أن تدافع عن العاصمة التي كان رجال القبائل الغزاة قد وصلوا على مقربة منها بنحو خمسة أميال فقط . وفر رجال القبائل إلى مدينة "مظفرآباد" وما إن علم "محمد على جناح" الحاكم العام

(1) أحمد عطية الله، مرجع سبق ذكره، ص 976 .

لباكستان بتدخل القوات النظامية الهندية حتى أصدر أوامره يوم 27 أكتوبر 1947م إلى الجنرال "جراسي" القائد البريطاني المؤقت للقوات الباكستانية لإرسال قوات باكستانية إلى كشمير . وقد اعتذر الجنرال "جراسي" بأنه لا يستطيع أن ينفذ أوامره على أساس أن ذلك يعني انسحاب جميع الضباط الإنجليز من الجيش الباكستاني[1]

وفي أوائل نوفمبر 1947م ، اجتمع لورد "مونباتن" الحاكم العام للهند، بعد أن اعتذر "نهرو" لمرضه ، مع محمد على جناح" الحاكم العام لباكستان في "لاهور" وكانت هذه أول مباحثات هندية باكستانية تدور حول كشمير. وقدم محمد على جناح مقترحات تدعو إلى إيقاف القتال فورًا وانسحاب القوات الهندية ورجال القبائل المغيرين، في وقت واحد وبأقصى سرعة من أراضي جامو وكشمير، وكذلك أن تتولى الهند وباكستان إدارة الولاية، ويجرى استفتاء تحت إشرافهم المباشر، وقد رفضت الهند هذه المقترحات .

واستمر القتال في كشمير خلال شتاء وربيع 1948م ، وبدأت القوات الباكستانية في الاشتراك في القتال، في أواخر مارس 1948م . وتمكنت في مايو 1948م من الدفاع عن قطاع "مظفر آباد" مما اضطر القوات الهندية للتوقف وصار القتال متقطعًا بعد أن أصبحت القوات الباكستانية ندًّا للقوات الهندية ،كما تأثر النشاط الدبلوماسي للدولتين في الأمم المتحدة .

دور الأمم المتحدة في حل النزاع حول كشمير:

في أوائل عام 1948م عرض النزاع على الأمم المتحدة ، حيث اتخذت الهند المبادأة وعرضت النزاع على مجلس الأمن طبقًا للمادة 35 من الميثاق. وطلبت من مجلس الأمن الإيقاف الفوري للقتال وانسحاب الغزاة من ولاية جامو وكشمير فقط .

(1) http://wwwMokatel/Behoth/siasia askria4/seraIndia_Bakstan/Mokatel_ 1-2 .

وقد شكل مجلس الأمن لجنة لتقصى الحقائق في شبه القارة الهندية تحت مبدأ، إنقاذ حق تقرير المصير، في ظل الحرب الهندية- الباكستانية الأولى عام 1948م التي توقفت في بداية عام 1948م نتيجة تدخل الأمم المتحدة وتثبيت وقف إطلاق النار، حيث سيطرت الهند على ثلثي مساحة جامو وكشمير مع وجود أربعة أخماس السكان تحت الإدارة الهندية، أما الجزء الباقي فقد خضع للسيطرة الباكستانية وعرف باسم منطقة "كشمير الحرة"

وأصدر مجلس الأمم القرار الصادر في 20 يناير 1948م ، على تشكيل لجنة وساطة من ثلاثة أعضاء تختار أحدهم الهند والثاني باكستان ، أما الثالث فيختار بواسطة العضوين السابقين، كما صدر قرار آخر في 21 أبريل 1948م والذي جعل عدد أعضاء لجنة الوساطة إلى خمسة أعضاء. وحدد مهمة اللجنة بالذهاب فورًا إلى شبه القارة الهندية بغرض تسهيل اتخاذ إجراءات استعادة السلام وإقامة استفتاء في كشمير. وتكونت لجنة وساطة الأمم المتحدة من تشيكوسلوفاكيا التي اختارتها الهند، والأرجنتين التي اختارتها باكستان، واختار مجلس الأمن بلجيكا وكولومبيا والولايات المتحدة، وقد اختارت لجنة الوساطة اسمًا لها هو "لجنة الأمم المتحدة للهند وباكستان "وأجرت اللجنة مباحثات مع الهند وباكستان . وأصدرت قرارها الأول في 13 أغسطس 1948م وينص على ثلاثة بنود[1]:

البند الأول : وهو خاص بأمر وقف النار بين الدولتين.

البند الثاني: وهو خاص بالشكل الأساسي لاتفاقية هدنة.

البند الثالث: وهو خاص بالاستفتاء ومستقبل وضع ولاية جامو وكشمير.

وأعطت اللجنة الأسبقية الأولى لإيقاف النار ، واعتبرت أن الاستفتاء لا يجرى إلا بعد عقد اتفاقية الهدنة بين الدولتين .

(1) Ibid., PP. 6 -9.

وصدر قرر الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في 5 يناير 1949م على إجراء استفتاء محايد تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير انضمام كشمير إلى الهند أو باكستان، ولكن الهند ما لبثت أن اعتبرت الجزء التابع لها من جامو وكشمير إحدى ولاياتها واعتبرت خط وقف إطلاق النار حدًّا نهائيًّا ، وأخذت تماطل في تنفيذ قرار الأمم المتحدة، ثم رفضت تنفيذه تمامًا وبقى موقفها هذا حتى الوقت الحاضر .

وقد حاولت الأمم المتحدة في مرات متعددة تسوية المشكلة سلميًّا فطلبت من الهند وباكستان سحب قواتها من الولاية ، أو حتى تخفيض عدد هذه القوات إلى ما بين 3000 – 6000 جندي في الجانب الباكستاني عن خط وقف القتال ، ومن 2000 – 1800 جندي في الجانب الهندي من ذلك الخط حتى يتم إجراء استفتاء بالإقليم ليقرر شعب كشمير مصيره . وكلفت هيئة الأمم المتحدة السفير جونار يارنج في فبراير سنة 1957م بتسوية النزاع ، كما توسط رؤساء وزراء الكومنولث للتوفيق بين وجهات النظر بصدد صرف القوات الموجودة في كشمير كخطوة أولى لإجراء الاستفتاء الحر المحايد واقترحوا لذلك:

أ - إحلال قوة بديلة من الكومنولث تقدمها أستراليا ونيوزيلندا .

ب- أو قوة تتقدم بها الهند وباكستان .

جـ- أو قوة يحبذها محليًّا مدير الاستفتاء في الإقليم.

ولم تصل كل هذه الجهود إلى نتيجة. وقد اعتقلت الهند الشيخ محمد عبد الله - أسد كشمير- ورئيس وزرائها السابق ووضعته في السجن مدة 14 سنة ؛ لأنه كان ينادي بالحرية لشعبه وصيانة حقوقه[1] .

(1) محمد محمود الديب، مرجع سبق ذكره، ص ص573 – 574 .

وفي 2 ديسمبر 1957م ، أصدر مجلس الأمن قرارًا بتعين دكتور جراهام" وسيطًا دوليًّا بين الدولتين لتنفيذ مقترحات "لجنة الأمم المتحدة للهند وباكستان" وأجرى مباحثات بين الدولتين وقدم تقريره إلى مجلس الأمن في 18 مارس 1958م ، ووافقت باكستان على مقترحاته بينما رفضتها الهند ، وبذلك توقفت جهود الأمم المتحدة .

وفي الفترة من ديسمبر 1963م إلى يناير 1964م ، توتر الموقف بصورة خطيرة، نتيجة حدوث اضطرابات طائفية بين المسلمين والهندوس، كادت تؤدي إلى صدام مسلح بين الدولتين، وقد تجدد التوتر ما بين الهند وباكستان خلال عقد الستينيات بسبب مشكلة كشمير، ونتج عن ذلك نشوب الحرب الثانية في كشمير عام 1965م ، واستطاعت الهند أن تحقق انتصارًا عسكريًّا ، ولكنها انسحبت من الأراضي المحتلة بعد انتهاء الحرب .

وفي عام 1971م نشبت الحرب الثالثة لأسباب عدة منها مشكلة كشمير، وأسفرت عن انفصال الجزء الشرقي (باكستان الشرقية) عن دولة باكستان تحت اسم بنجلاديش غير أن مشكلة كشمير بقيت دون حل في ظل تراجع الاهتمامات الإقليمية والدولية بها . وعلى الرغم مما أكده الجانبان الهندي و"الباكستاني" في اتفاقية سميلا على 1972م على احترامهما لخط وقف إطلاق النار وحل المشكلة سلميًّا عن طريق المفاوضات . أما دور الأمم المتحدة فلم يتعدَّ وجود فريق من المراقبين الدوليين على طرفي الحدود لرصد وقف إطلاق النار في جامو وكشمير منذ عام 1949م ، ولم يتمكن هذا الدور من منع نشوب الحروب المتكررة ومن تفاقم مشكلة كشمير مجددًا بعد انقضاء مرحلة الحرب الباردة[1] .

(1) عدنان السيد حسين، مرجع سبق ذكره، نقلا عن: تقرير أمين عام الأمم المتحدة عن أعمال الأمم المتحدة عن أعمال المنظمة الدولية (سبتمبر 1993) في ملحق السياسة الدولية، عدد أول أكتوبر 1993.

عادت مشكلة كشمير إلى الظهور بقوة منذ عام 1990م حيث وقع صدام مسلح ما بين القوات الهندية وثوار كشمير المطالبين بالاستقلال أدي إلى مقتل 13 ألف شخص طوال أربع سنوات ، وإلى عودة أجواء الاضطراب السابقة بين الهند وباكستان . وأفادت تقارير الهيئات الدولية أن القوات الهندية ارتكبت انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان في معرض مواجهتها لمطالب وتحركات شعب كشمير مثل محاصرة الأحياء السكنية ، واعتقال عدد كبير من الكشميريين . وفي عام 1999م تسلل مجموعة من الثوار من "كشمير أزاد" في الجانب الباكستاني إلى جامو وكشمير في الجانب الهندي من كشمير، وكادت تحدث الحرب الرابعة بين الهند وباكستان، وبخاصة أن القدرات العسكرية للدولتين تختلف في هذه المرة عن المرات السابقة ، واستمرار الصراع ما بين الجيش الهندي والمجاهدين لفترة شهرين تقريبًا ؛ أي إلى يوليو 1999م ، بعد أن كادت تقوم حرب رابعة على غرار الحرب الأولى التي وقعت بين الطرفين عام 1948م وتندلع عندما تسلل أفراد من قبائل الباتان الباكستانية إلى كشمير في محاولة منهم لتحريرها من الهنود[1].

الحجج الباكستانية للمطالبة بإقليم جامو كشمير:

استندت باكستان في مطالبتها بضم كشمير إليها بعدد من الحجج القوية - جغرافية وحضارية واقتصادية واستراتيجية، كان أهمها:

1- أن كشمير مكملة من الناحية الفزيوغرافية - الطبيعية لباكستان، حيث لا توجد عوائق تضاريسية بينهما، كما أن كلا الإقليمين - باكستان وكشمير - يرتويان من نهر واحد هو نهر السند وروافده[2].

2- أن معظم السكان من المسلمين ومن ثم يحق لباكستان ضمهم إليها - انسجامًا مع الأساس الذي تم عليه تقسيم الهند، وهو الأساس الديني ،

(1) http://www.fahdaithani.com, op.cit., P.9.

(2) أمين عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 371 .

حيث نص قرار التقسيم على أن تنضم المناطق ذات الأغلبية المسلمة، ومن بينها كشمير إلى باكستان، بينما تنضم المناطق ذات الأغلبية غير المسلمة إلى الهند، كما يوجد تشابه كبير بين سكان كشمير وباكستان من حيث اللغة والثقافة والعادات والتقاليد والنسب .

3- إن ضم كشمير إلى الهند معناه تهديد الأمن القومي في باكستان نظرًا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبي كشمير ، وباكستان، فضلا عن أن ضمها لباكستان ضروري للأمن في إقليم الحدود الشمالية الغربية .

4- أن ضم كشمير إلى الهند معناه تحكمها في مياه السند ومدي استفادة باكستان من مياهه في الري وتوليد الكهرباء، نظرًا لأن أعالي السند وروافده الرئيسيين يمران في كشمير[1].

5- ارتباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بباكستان ، ثم كان توجهها التجاري مرتبط بباكستان[2].

6- سيطرة باكستان على كشمير تعد ضرورية في تدعيم وسائل الدفاع ضد التوسع الصيني أو الروسي .

7- تكامل كشمير الاقتصادي مع باكستان من حيث الإنتاج والتجارة والعمالة.

8- إن كشمير تشترك بحدود سياسية أطول مع باكستان، بينما لا يتعدى طول حدودها مع الهند 30 ميلا، ولا تتصل ولايتا جامو وكشمير بالهند جغرافيا إلا من ناحية منطقة كانوا الضيقة في الجنوب الشرقي.

(1) عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره ، ص ص 451 - 452 .

(2) محمد عبد الغني سعودي، الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سبق ذكره ، ص 137 .

الحجج الهندية للمطالبة بإقليم جامو وكشمير:

تستند الهند في دعواها بالمطالبة بإقليم جامو وكشمير إلى الادعاءات الآتية:

1- أن الهند منذ سنة 1947م قامت بمشروعات تنمية ضخمة لتطوير اقتصاديات كشمير ومواصلاتها، وكذلك نفذت مشروعًا ضخمًا لتوزيع الأراضي، وإن جامو وكشمير قد ارتبطت بالهند بطرق النقل، كما تدعي بأن مستقبل كشمير يمكن أن تحققه الهند بأسواقها الواسعة وإمكانياتها الصناعية بطريقة أفضل مما تستطيعه باكستان[1].

2- يجب حماية مصالح المليون هندوسي الذين يعيشون في جامو.

3- يمكن الاتفاق دوليًا على مشكلة المياه التي تثيرها باكستان وتتشدق بها من آن إلى آخر وذلك من خلال اتفاقية دولية.

4- استخدام كشمير كخط دفاع أول بحكم طبيعة أرضها الجبلية ضد أي توسع صيني محتمل في الأراضي الهندية. وبمعنى آخر اعتبار كشمير منطقة حاجزة بين الهند والصين.

ولا يمكن أن ننكر أن الهند في مطالبتها بالسيطرة على إقليم كشمير تريد أن تحقق بعض الأهداف والتي من أهمها:

أ - طمس الهوية الإسلامية ومسخ المسلمين عن دينهم باتباع استراتيجية لديها.

ب- تثبيت الأقدام الهندية مرة أخرى في هذه الولاية المسلمة.

جـ- إجبار المسلمين على التنازل - بمرور الوقت - عن حقهم في تقرير مصيرهم.

د- الإفادة من كشمير كممر طبيعي يصل بين الهند وآسيا الوسطى.

(1) فتحي أبو عيانه، مرجع سبق ذكره، ص 248.

هـ- الإفادة من الموارد الطبيعية المتنوعة في كشمير، واستغلال الموارد الاقتصادية فيها بخاصة الغابات والمراعي والثروة الحيوانية والمنتجات الزراعية والثروة المعدنية، والصناعات والمواقع السياحية ذات الطبيعة الجبلية الجملية.

موقف الشعب الكشميري[1]:

حاول المسلمون في ولاية كشمير الحصول على الاستقلال بالطرق السليمة السياسية منذ عام1949م. ولما لم تفلح هذه الطرق، ازداد القهر والاضطهاد عليهم، وتطورت حركتهم الجهادية من جديد على ساحة الأحداث في عام 1988م، واشتد صراع المقاومة واستجاب الشعب لدعوة الجهاد في سبيل الله بشكل واسع من أجل فرض الحياة الإسلامية وتحقيق سيادة الشريعة الإسلامية بما فيها الاستقلال أو الانضمام إلى باكستان، وعلى الرغم من استمرارية المؤامرات لإخماد حركة المقاومة، إلا أنها لا تزال تتوسع وتكبر ويقوى تأثيرها.

ويؤكد الشعب الكشميري على إسلامية القضية، وبالتالي فإنه يتطلع إلى مناصرة الشعوب والحكومات الإسلامية لحقه في تقرير مصيره، وفي ممارسة الضغوط على الحكومة الهندية للموافقة على تطبيق قرار الأمم المتحدة الصادر عام1949م. ولا ينكر الكشميريون المواقف الإيجابية لبعض الدول الإسلامية من قضية بلادهم، ويخصون بالذكر الدور الإيجابي الذي تقوم به الندوة العالمية للشباب الإسلامي، حيث قامت بإنشاء لجنة شباب كشمير المسلمة لتقوم بدورها في التعريف بقضية كشمير، وتقديم المساعدة الإغاثية المادية والمعنوية والثقافية لشعب كشمير المسلم.

وفي الوقت الذي تحقق فيه المقاومة الكشميرية انتصارات باهرة في حربها ضد الاحتلال الهندوسي متمثلة في قتل عملاء الهندوس وأفراد استخباراتهم العسكرية

(1) http://www.fahdalthani.com/Article, op.cit., PP. 22 -23.

وجنودهم وضباطهم ، وتدمير مرافق حيوية مهمة للجيش الهندي في كشمير، وتدمير القيادة العامة لقوات الشرطة ، وتدمير مئات العربات العسكرية المدرعة ، فإنها تتطلع إلى إتاحة الفرصة لها للمشاركة في أي مفاوضات قد تجرى في المستقبل سواء على الصعيد الدولي أو الصعيد المحلي لبحث قضية بلادهم .

وعندما طال النزاع وبلغ التوتر أقصاه بين الهند وباكستان عملت كل منهما على تطوير قدراتها القتالية تحسبًا لدخول حرب شاملة بشأن كشمير، وأصبح كل من الطرفان قوة نووية لا يستهان بها. ولما كان السلاح النووي قد فقد فاعليته الحقيقية الآن نظرًا لقدرته التدميرية الشاملة البالغة والخطورة على كل من طرفي النزاع وعلى البشرية كلها فقد تحول الصراع بين الدولتين إلى حرب العصابات التي يقوم بها جماعات غير مسئولة وإن كانت تدعمها الحكومة بالسلاح التقليدي.

بعض الاقتراحات لحل مشكلة كشمير:

يصعب فصل مشكلة كشمير في أسبابها ومظاهرها واحتمالات الحل لها عن الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا ، لا بل إنها تشكل مثلًا حيًا وميدانيًا في مضمار هذا العلم الذي لا يمكن أن ينفصل عن الاعتبارات الإقليمية والدولية . وعلى الرغم من أن هيئة الأمم المتحدة قد أصبحت عاجزة عن حل المشكلة بعد مرور أكثر من 50 عامًا على بدايتها وهو عمر هيئة الأمم المتحدة نفسها، ولهذا أصبحت في عداد المشكلات الميئوس من حلها دوليًا والتي توصف بالتعبير الإنجليزي Deadlock [1].

إلا أنه قد ظهرت عدة اقتراحات لحل هذه المشكلة وأهم هذه الاقتراحات هي[2]:

(1) أمين عبد الله ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 373 – 374 .

(2) راجع: أ- محمد عبد الغني سعودي ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، مرجع سبق ذكره ، ص 138 .
ب- عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 462 –463 .

1- أن يتوجه أطراف الصراع (الهند وباكستان) إلى إقامة سلام عادل دائم شامل في شبه القارة الهندية بالتوصل إلى حل سلمي لقضية كشمير، وأن يكون هذا التوجه خيارًا استراتيجيًا يتيح الفرصة لجميع الأطراف لأن تتعايش سلميًا.

2- إجراء استفتاء عام يشمل كل كشمير بشرط انسحاب قوات الطرفين ولكن الهند رفضت الجلاء عن إقليم أصبح تحت قبضتها الفعلية.

3- ضم الأجزاء ذات الغالبية الهندوسية مثل جامو والبوذية مثل لاداخ إلى الهند، والباقي إلى باكستان.

4- استقلال كشمير عن كل من الجانبين ، وهذا لا شك سيحدث فراغًا في المنطقة.

5- ضم كل جزء من كشمير بعد وقف إطلاق النار إلى الدولة المسيطرة عليه. وكان الرئيس نهرو من أنصار هذا الحل سنة1956م .

ولقد تزايد النشاط الاقتصادي بين الهند وبين الجزء الذي تسيطر عليه في منطقة كشمير منذ سنة 1949م وذلك لتوجيه اقتصاد هذه المنطقة في محاولة لربطه باقتصاديات الهند، وكذلك كسب ولاء السكان بها سواء أكانوا من المسلمين أم الهند ، بينما لم تبذل باكستان جهدًا مماثلًا في القطاع الباكستاني ، وقد أعلنت الهند في يناير سنة 1957م رسميًا ضم كشمير كولاية دستورية هندية . ومن ثم أضافت عنصرًا جديدًا من عناصر تعقد المشكلة المعقدة أصلًا[1].

2- مشكلات الحدود بين الصين والهند:

تعد الصين ثاني دول العالم مساحة ، وينظر الصينيون إلى هذه المساحة التي تقف فوقها الآن (الصين الشعبية) بأنها ليست سوى النواة والوطن الأم، تحيطها

(1) فتحي أبو عيانه، مرجع سبق ذكره، ص 249 – 250 .

الأقاليم الصينية الخارجية External Territories في منشوريا ومنغوليا وسنكيانج والتبت ، ثم الحلقة الهامشية في اليابان وكوريا والهند الصينية وسيبيريا حتى الأورال ، وهكذا فالصين بقوميتها تعد دولة عالمية الثقافة بأي مقياس ، وتشعر معظم الدول التي تجاورها بتأثيرها العميق في بنيتها الثقافية كما تتمثل في اللغة والعقيدة .

وقد بلغ عدد سكان الصين عام 2008م نحو 1351 مليون نسمة[1] ؛ أي أن هناك صينيًا واحدًا بين كل خمسة من البشر ، هذا عدا الأقليات الصينية في المناطق والدول المجاورة ، والتي تمثل ما بين 10 –15٪ من جملة سكان يتوزعون بين ميانمار[2] وتايلاند وفيتنام بقسيمها وكمبوديا ولاوس وماليزيا[3] وسنغافورة وإندونيسيا والفلبين وكوريا ، كما كان لنجاح ثورتها في عام 1949م تأثيرات وأبعاد لتجربتها الأيديولوجية ، التي تقدمها للدول المتجاورة باعتبارها تجربة آسيوية زراعية صالحة لتحقيق النمو للدول الآسيوية الفقيرة[4].

وتنظر الصين لحدودها السياسية الراهنة باعتبارها قد وضعت في ظروف كانت الصين خلالها غير قادرة على حماية مصالحها، ولذلك فإنها أي – الحدود – أضيق بكثير من الجسم الصيني والثقافة الصينية ، وقد عبرت عن هذا الضيق بضمها صحراء سنكيانج إليها ، ثم هضبة التبت قبل مرور عقد من السنين على

(1) CIA., the world Factbook 2004- 2008, P.2.
http://www.GeoHive, 2000-2005

(2)كانت يطلق عليها من قبل بورما .

(3)كان يطلق عليها من قبل شبه جزيرة الملايو (الملايو) .

(4) Buchanan,K., the Chinese people and the Chinese earth. London 1966
نقلا عن: عمر الفاروق سيد رجب: الجغرافيا السياسية، برنامج التأهيل التربوي بالاشتراك بين وزارة التربية والتعليم وكلية التربية جامعة عين شمس، القاهرة 1984/ 1985، ص ص 225 –226 .

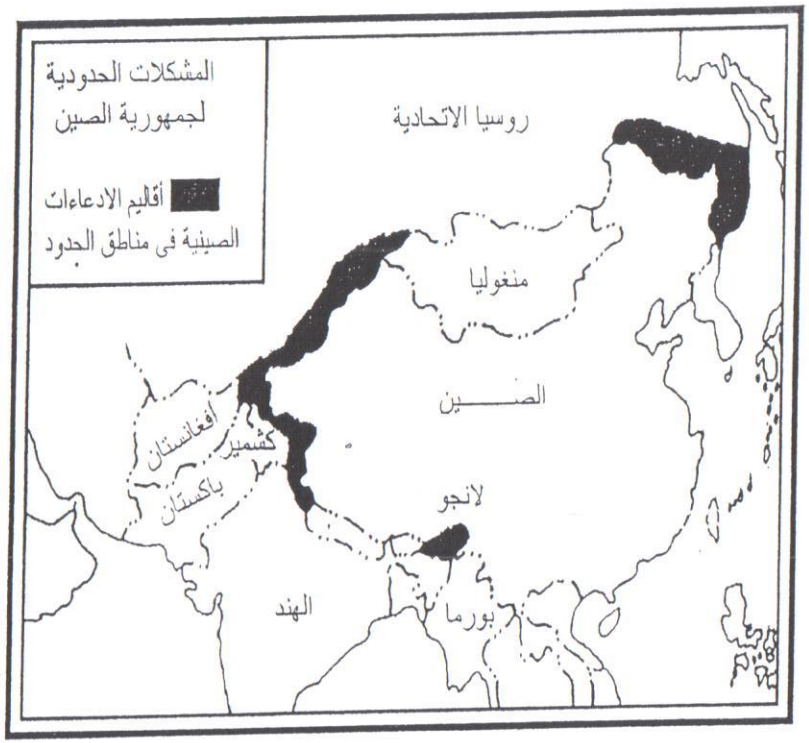

شكل (46): المشكلات الحدودية لجمهورية الصين

بتصرف عن: محمد عبد الغني سعودي

ظهورها الحديث كدولة أيديولوجية ، ثم بدأت تطالب بسيبيريا باعتبارها أرضًا صينية تاريخية، وقد انتزعها منها الاتحاد السوفيتي دون وجه حق، ثم أعلنت أن الحدود الروسية هي إلى الغرب من جبال الأورال، وأن الاتحاد السوفيتي ليس ولم يكن دولة آسيوية، وهكذا فإن الحدود الشمالية الحالية للصين ليست محل رضائها على الإطلاق، ويمثل ربما أهم مشاكل الحدود على مستوى العالم .

وتجدر الإشارة إلى أن حدود كل من الصين والهند تلتقي عند جبال الهيمالايا، وتقف هذه الجبال كحائط جبلي شديد الارتفاع والانحدار، يصعب اجتيازه رغم وجود بعض الممرات الجبلية، إلا أن هذه الممرات تقع على مناسيب تبلغ حوالي 1500 متر. وتمثل جبال الهيمالايا حدودًا سياسية طبيعية جيدة تحقق الفصل بين الشعوب التي تسكن على جانبيها، رغم غزوات المغول والمسلمين عبر ممراتها في العصور الوسطى.

وتمثل جبال الهيمالايا وما يجاورها من مرتفعات وسط آسيا منطقة التقاء ثلاث دول كبرى هي الاتحاد السوفيتي سابقًا والصين والهند، ومن ثم نشب النزاع بين هذه القوى الثلاث على احتلال المناطق الجبلية ذات الأهمية الإستراتيجية مما أدي إلى مشكلات متجددة على طول هذه الحدود .

وتعد مشكلة النزاع الصيني – الهندي المتوارثة عن إمبراطورية الهند البريطانية، هو في غاية التعقيد. فهو يثير مسألة سيادة البلدين على بعض مناطق الهيمالايا، بالإضافة إلى مصير مقاطعتي التبت وكشمير، وقد ضمت المقاطعة الأولى إلى جمهورية الصين الشعبية، في حين قسمت الثانية بين الهند وباكستان. إلا أن جوهر النزاع يتمحور حول منطقتين أساسيتين: منطقة أكساي شين في الشمال الغربي من جهة، وهي منطقة قاحلة في هضبة التبت لا تزال الهند تصر على اعتبارها جزءًا من أراضيها ، في وقت أقدم الصينيون على شق طريق عبرها تؤدي إلى مقاطعة

سينكيانج وإلى إقامة مواقع استراتيجية فيها، ومن جهة أخرى شريط جبلي عريض في الحوض الأوسط لنهر للباهما بوترا في الشمال الشرقي ، حيث تشغل الجزء الأكبر منه ولاية هيماشال – برادش الهندية[1] .

كما يمكن إعادة هذا النزاع ، في المقام الأول ، إلى عدم اعتراف الصين بخط مكماهون ، الذي تم التفاوض عليه في عام 1914م بين الإدارة البريطانية وسلطات التبت ، والذي فرض على الصين حدودًا اعتباطية في جزئها الشرقي . وعاشت الهند مع الصين في وفاق حتى بعد قيام ثورتها الشيوعية عام 1949م ، وظلت كل من الصين والهند تعيشان في حسن جوار رغم اختلاف وجهات النظر الاقتصادية والسياسية ، حتى سعت الصين إلى اجتياح التبت والاستيلاء عليها في عام 1949م، وذلك استنادًا إلى حقها التاريخي في تلك المنطقة، فقد كانت التبت جزءًا من الإمبراطورية الصينية ولم تستقل عنها إلا لفترات محدودة. وبضم الصين للتبت أصبحت تشترك في الحدود مع الهند، وقد أثار ذلك الهند وعملت على إثارة ومساندة سكان التبت، الذين قاموا بثوره ضد الصين عام 1951م فأخمدتها الصين بالعنف مما اضطر زعيم التبت الروحي وقائدها "الدالاي لاما" إلى الفرار إلى الهند[2].

وفي أكتوبر عام 1962م اخترقت الجيوش الصينية المراكز الهندية وتوغلت في عمق وادي نهر براهما بوترا ، لكنها عادت فانسحبت إلى ماوراء مواقعها السابقة وقد عززت في الوقت نفسه مواقعها في منطقة أكساي شين ، التي شهدت هي الأخرى عمليات حربية ، وبعد أن فشل التدخل العسكري الصيني عام 1962م ، في حل هذا النزاع ، برزت فكرة اللجوء إلى التفاوض لحل هذا النزاع بين العاصمتين

(1) الموسوعة السياسية، الجزء السادس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص 578.

(2) أحمد على إسماعيل وآخرون: قضايا ومشكلات معاصرة في الجغرافيا، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة 2003 ، 2004 ، ص ص 98 – 99

المعنيتين ، بكين ونيودلهي . وفي أعقاب زيارة قام بها إلى نيودلهي في يونيو 1981م نائب رئيس الحكومة وزير الخارجية الصيني، السيد "هوانج هو" أعلن الطرفان الصيني والهندي عن رغبتهما في اللجوء إلى التفاوض لحل خلافهما على الحدود ولئن كان مقيضًا لهذا الخيار ألا يأتي بحلول ملموسة، على المدى القريب على الأقل ، نظرًا إلى التباعد الكلي في وجهات نظر الطرفين ، فإنه يحول، على كل حال، دون إبقاء مسألة الخلاف على الحدود حجر عثرة في طريق إيجاد بعض التقارب والتعاون بين البلدين .

وأخيرًا لابد من وضع النزاع الصيني في إطار أوسع ، هو الصراع السوفيتي الصيني الذي كان ظاهره أيديولوجيًا ، وواقعه جيوسياسيًا وقوميًا . وقد وقفت الهند دائمًا إلى جانب الاتحاد السوفيتي في صراعه مع الصين ، وبادلها الاتحاد السوفيتي الموقف نفسه . وبعد وصول جورباتشوف إلى السلطة في الكرملين انتهاج سياسة افتتاح على كل الجبهات ، بما فيها الجبهة الصينية ، وبدأت العلاقات الهندية الصينية تشهد بعض التحسن ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى حل هذا النزاع المستعصي ، وفي عام 1987م شهدت المناطق الحدودية توترًا كاد يؤدي إلى نزاع مسلح شامل لولا ما أظهره الطرفان من ممارسة لضبط النفس[1].

ولا تزال مشكلات الحدود بين الصين والهند معلقة، ولم يتفق عليها بعد رغم وجود بعض الدول الحاجزة بينهما والتي تمتد على طول معظم هذه الحدود وهي نيبال وبوتان.

3ـ مشكلة القرن الأفريقي:

اختلفت الآراء وتعددت في تعريف حدود ومنطقة القرن الأفريقي فالجغرافيون ومعهم الأنثروبولوجيون يقصدون بالقرن الأفريقي أساسًا – الأرض

(1) الموسوعة السياسية ، الجزء السادس، مرجع سبق ذكره، ص 579 .

التي يسكنها الصوماليون، وإن تعددت أوطانهم في الصومال أو أثيوبيا ، أو كينيا، أو جيبوتي – وفي ضوء هذا المفهوم، يحتل القرن الأفريقي البروز الشرقي من أقصى شمال شرق أفريقيا، وتبلغ مساحته 720 ألف كم^2، ويغطي كل أرض الصومال، ونحو نصف مساحة جيبوتي وخمس مساحة كل من أثيوبيا وكينيا.

أما في المنظمات الدولية والإقليمية والسياسية فيقصد بالقرن الأفريقي دول: الصومال، أثيوبيا، إريتريا، وجيبوتي ، كوحدات سياسية قائمة بشكل رقعة استراتيجية على خريطة القارة الأفريقية. وفي هذا التعريف يمثل القرن الأفريقي البروز في شمال شرق القارة الأفريقية، على شكل مثلث يشرف على المحيط الهندي وخليج عدن، ويسيطر على مضيق باب المندب، ويمتد شمالا على ساحل البحر الأحمر لمسافة 960 كم ، وتصل مساحته إلى 1.2 مليون كم^2 . ويتنوع هذا الإقليم جغرافيا ، حيث يضم الأراضي الصحراوية، السهول، الأراضي الخصبة، وتعيش على أرضه قوميات وقبائل مختلفة.

ولعل الجمع بين التعريفين يساعد في التعرف على الخريطة السياسية للقرن الأفريقي، خاصة أن الحدود بين دول تلك المنطقة ظلت تتذبذب باستمرار، إلى درجة أن النمط المعاصر للخريطة يتشكل من حدود غير محددة، ولا يوجد اتفاق متبادل على أكثرها[1].

وقد أجمعت معظم الآراء أن القرن الأفريقي يتكون من الصومال وجيبوتي وأثيوبيا وإرتيريا ، وتشغل الصومال معظم مناطق القرن الساحلية التي تقع على المحيط الهندي وخليج عدن، وتكمل جيبوتي تلك المنطقة الساحلية حتى خليج عدن . أما أثيوبيا فتقع داخل القرن الأفريقي وهي دولة داخلية حبيسة ليس لها سواحل على البحر الأحمر وذلك بعد استقلال إرتيريا، وتطل الأخيرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

(1) http://www.Mokatele/data/Behoth/siasia_skria 4/Ka_ Abrica/Mokatel/ 1 _1-2 htm

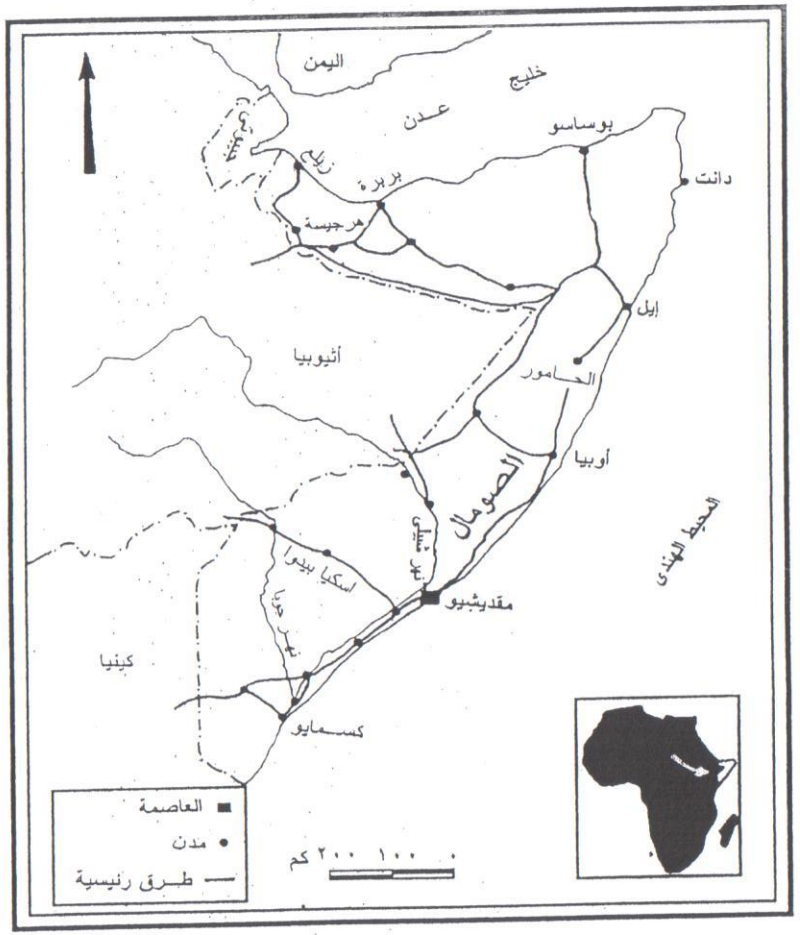

شكل (47): الموقع الجغرافي للصومال وأهم المدن به

بتصرف عن: حسام جاد الرب

ويمثل القرن الأفريقي في موقعه، قوة من منظور إستراتيجية البحر الأحمر فمن يتحكم به يستطيع أن يسيطر على طرق النقل بين شرقي أفريقيا وأوروبا وبالعكس. والقرن الأفريقي هو حلقة الاتصال بين أجزاء الوطن العربي في قارتي آسيا وأفريقيا.

ويعتبر هذا القرن جسر الاتصال للامتداد العربي من الناحية الجنوبية، كما تعتبر قناة السويس جسر الاتصال للامتداد العربي من الناحية الشمالية. ومن هنا برزت الأهمية الإستراتيجية لكل منهما بالنسبة إلى المداخل الشرقية للقارة الأفريقية من الناحيتين العسكريين والاقتصادية. فهذا القرن يتحكم في طريق النفط بين منطقة الخليج ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية من جهة، كما أنه يتحكم من جهة أخرى في الطرق الدولية للتجارة العالمية إلى المحيط الهندي أو عبر البحرين الأحمر والمتوسط. وهذا ما يفسر تنازع الدول الكبرى عبر التاريخ على توطيد نفوذها في القرن الأفريقي، مستغلة في معظم الأحيان الصراعات المحلية لفرض وجودها على شعوب المنطقة، وعلى وجه الخصوص رغبة أثيوبيا (الحبشة) في التوسع على حساب جاراتها، وفي مقدمتها الصومال.

يعود هذا النزاع إلى بداية القرن العشرين حين وقعت في أديس أبابا عام 1908م اتفاقية إيطالية أثيوبية لتخطيط الحدود ولكن بنود الاتفاقية لم تنفذ للأسباب الآتية:

1- اختلاف الأسماء في اللغتين الأمهرية والإيطالية.

2- عدم الاتفاق على تفسير معنى كلمة "قبيلة" مع العلم بأن خط الحدود كان وفقًا لمراكز تجمع القبائل.

3- عدم الاتفاق على الأماكن التي كان الصوماليون موجودين فيها عام 1908م ثم هاجروا منها.

وقد مر النزاع على القرن الأفريقي والنزاعات فيه بأربع مراحل أساسية، بدأت المرحلة الأولى مع لجوء الحبشة إلى ممارسة سياسة عدوانية وتوسعية في القرن

الميلادي الأول . وبدأت المرحلة الثانية مع احتدام النزاع الاستعماري على أفريقيا ، وتمثلت بتحالف البرتغال مع الحبشة في مواجهة العرب والقوى الإسلامية في القرن السادس عشر ميلادي . أم المرحلة الثالثة فاستهلت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وكان محركها رغبة الدول الاستعمارية في تقسيم القارة الأفريقية . وثمة دول أوروبية ثلاث هي فرنسا وإنجلترا وإيطاليا ، شاركت في الصراعات الدائرة في منطقة القرن الأفريقي[1].

ونظرًا لأهمية موقع القرن الأفريقي الجغرافية والإستراتيجية فقد قامت هذه الدول الاستعمارية الثلاث بتقسيمه فيما بينها ، حيث قسم إلى الصومال الإنجليزي والصومال الإيطالي ، ثم الصومال الفرنسي . وقد كان الصومال الإنجليزي يشمل المنطقة المطلة على خليج عدن ، والصومال الإيطالي يشغل المنطقة المطلة على المحيط الهندي، بينما كان الصومال الفرنسي يقع على الجانب الأفريقي لمدخل البحر الأحمر (فيما يعرف باسم جيبوتي حاليا).

وقد كان لهذا التقسيم بين القوى الاستعمارية آثاره السيئة على القبائل الأفريقية ؛ لأن معظم الحدود مزقت القبائل التي شكلت المنطقة بين المستعمرات الصومالية، فخضعت كل مجموعة من القبائل لنظم إدارية وسياسية ولغوية مختلفة، بالإضافة إلى حرص القوى الاستعمارية على إعادة تشكيل صورة النشاط البشري للسكان بما يتفق ومصالحها .

أما المرحلة الرابعة والأخيرة ، والتي أعقبت الحرب العالمية الثانية، فقد جاءت الحروب التي شهدتها تعبر عن تبلور وعي قومي جديد وعن رفض للحدود المفتعلة المتوارثة عن المرحلة الاستعمارية. فهذا الوعي القومي ، وهذا الرفض للحدود والتي رسمها الاستعمار، كانا وراء تفجير ثورة الشعب الأريتري ضد الحكم الأثيوبي ،

(1) الموسوعة السياسية ، الجزء الرابع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 199، ص ص 779 -870 .

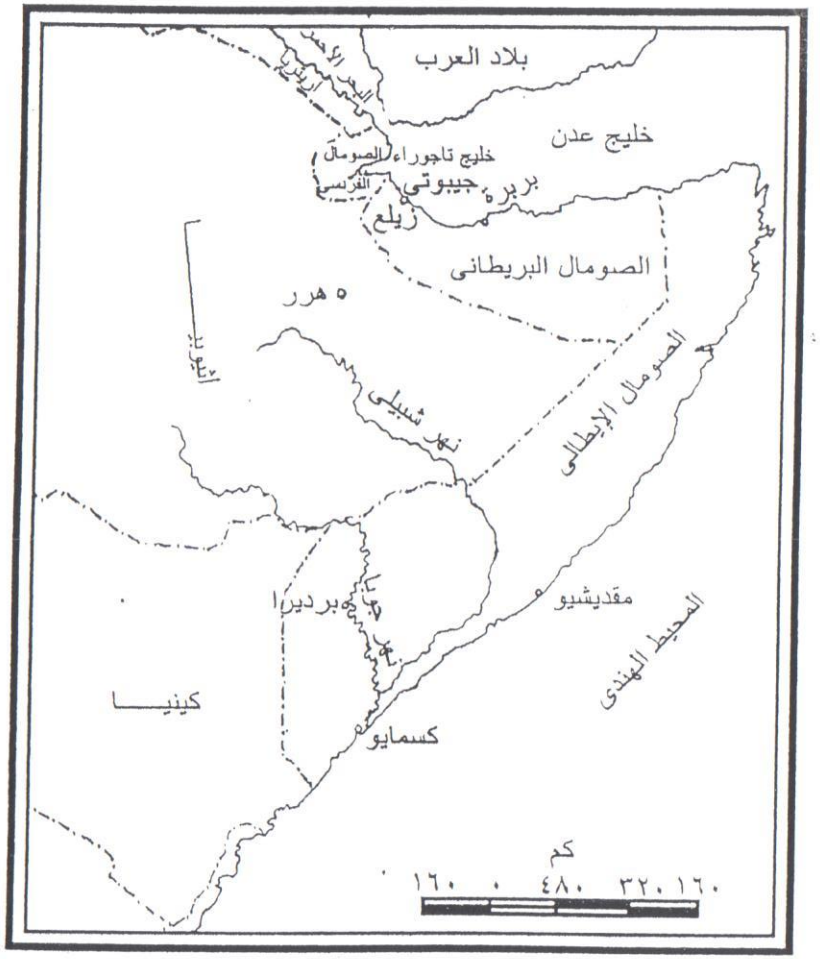

شكل (48): الاستعمار الأوربي لمنطقة القرن الأفريقي

ووراء اندلاع الصراع المسلح على إقليم أوجادين بين أثيوبيا والصومال. فأرتيريا التي استعمرت من قبل إيطاليا، قبل أن توضع تحت إدارة بريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة، أرغمت في 1952م على الاتحاد مع الحبشة التي بادرت إلى ضمها في1962م . ومنذ ذلك التاريخ تحولت اريتريا إلى مسرح حرب تحررية .

وقد استقل الصومال البريطاني في 21 يونيو 1960م ، واتحد مع الصومال الإيطالي والذي استقل في أول يوليو 1960م وتكون من هذا الاتحاد الجمهورية الصومالية . وعند استقلال الصومال في يوليو 1962م ، وضعت الدولة دستورها، واختارت علمها باللون الأزرق، تتوسطه نجمة بيضاء خماسية الأطراف، يشير كل طرف فيها إلى أحد الإقليم الصومالية الخمسة وهي: الصومال البريطاني، الصومال الإيطالي – اللذان تم توحيدهما عند إعلان الدولة – الصومال الفرنسي "دولة جيبوتي حاليًا" والصومال الكيني، وإقليم الصومال الغربي "الأوجادين" تحت السيطرة الأثيوبية حاليًا.

بينما ظل الصومال الفرنسي مستعمرة منفصلة حتى استقل عام 1977م ، وعرف باسم دولة جيبوتي . وتضم جمهورية الصومال حوالي ثلث عدد الشعب الصومالي، أما الثلث الباقي فيتوزع بين كل من جيبوتي وأثيوبيا وكينيا. ويعيش الصوماليون في الدولتين الأخيرتين كأقليات تثير المشكلات وتنادي بالانفصال أحيانا

وترى جمهورية الصومال أن الاقتصاد الرعوي في منطقة القرن الأفريقي ، هو اقتصاد متكامل وسكانه رحل ، ومن هنا لا يعترف الصوماليون بالحدود السياسية المصطنعة ، ويعبرونها على مدار السنة بحثًا عن العشب والماء . ولهذا حاولت السياسية الصومالية ، بعد الاستقلال إعادة النظر في هذه الحدود التي قسمت

الشعب الصومالي في منطقة القرن الأفريقي ، وجعلها متمشية مع الاعتبارات البشرية والاقتصادية ، بالإضافة إلى رغبة الصوماليين في الوحدة، وتكوين ما يسمى الصومال الكبيرة أو صوماليا[1].

وقد نص دستور الدولة، في المادة السادسة منه، على ضرورة تحقيق وحدة الأراضي الصومالية . وفي إطار هذا الدستور ، بدأت الصومال العمل على استعادة الأقاليم الصومالية الثلاثة التي لم تتوحد معها . واعتبرت الصومال أن خط الحدود بينها وبين أثيوبيا هو خط إداري خططه الاستعمار عام 1950م ، وبنت حجتها على ذلك ، على أن هذا الخط ، قسم القبائل الصومالية في هذه المنطقة إلى قسمين ، قسم يعيش في الصومال ، والآخر في أثيوبيا . وحينما أنشئت منطقة الوحدة الأفريقية، اتخذت قرارات في مؤتمر القمة التأسيسي ، المنعقد في أديس أبابا في أول مايو 1963م، بعدم الموافقة على وحدة الأراضي الصومالية ، ثم جاء قرار القمة الأولى بالقاهرة في يناير 1964م ، بعدم المساس بالحدود القائمة عند إعلان إنشاء المنطقة[2].

ولكن بدلا من الحلول السلمية ، حدثت اشتباكات عسكرية بين الصومال وأثيوبيا عام1964م للمطالبة بإقليم أوجادين الذي يسكنه شعب الصومال ، وفي عام 1968م صدر بيان مشترك بين الدولتين عن تسوية المشاكل المتعلقة بالممتلكات العامة والخاصة، والتي كانت معلقة منذ النزاع المسلح عام1964م .

وفي نوفمبر 1969م وقع انقلاب عسكري في الصومال وتولى الرئيس سياد بري السلطة ، وشكلت اللجنة المركزية للحزب الديموقراطي الصومالي "وهو الحزب الوحيد في الصومال" ، وعين فيها نسبة كبيرة من ضباط القوات المسلحة ، الذين تلقوا تدريبهم في الاتحاد السوفيتي. وقد أعلن النظام الجديد، خطًا سياسيًا جديدًا ركز على:

(1) أحمد على إسماعيل وآخرون، مرجع سبق ذكره ، ص ص 96- 97 .

(2) http://www.Mokatel/dat/Behoth/siaist askri4/Karn_Africa, op.cit.

1- إلغاء الأحزاب السياسية.

2- إعلان الاشتراكية العلمية.

3- إيقاف العمل بالدستور الأول.

4- وضع سياسة اقتصادية جديدة تعتمد على أسس اشتراكية.

5- إعطاء الأولوية للدفاع والشؤون الخارجية مع السياسة العامة للدولة.

وقع الصومال مع الاتحاد السوفيتي على معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين، في يوليه 1974م ، التي حصل بمقتضاها الاتحاد السوفيتي على تسهيلات وامتيازات بحرية في كل الموانى الصومالية .

وحاول الصومال أن يتبع الطرق السلمية لحل مشكلة أوجادين مع أثيوبيا. ففي عام 1976م عقد الرئيس سياد بري في مقديشيو اجتماعًا للمجلس الأعلى الصومالي للثورة، ومجلس الوزراء، لبحث موضوع العلاقات الصومالية الإثيوبية، وفوض الاجتماع الرئيس سياد بري للتباحث مع المسؤولين الإثيوبيين، ومنح سلطة التوقيع على قيام اتحاد فيدرالي بين الدولتين. طرح الرئيس سياد بري الموضوع على المسؤولين الإثيوبيين أثناء انعقاد مؤتمر القمة الأفريقي الطارئ، الذي عقد في أديس أبابا في أوائل فبراير 1976م ، ووعد الوفد الإثيوبي بالرد، خلال خمسة عشر يومًا إلا أن أثيوبيا شنت حملة دعائية ضد الصومال في النصف الثاني من الشهر نفسه .

طلب الصومال، وساطة الرئيس " جوليوس نيريري" والرئيس الأوغندي "عيدي أمين" لإقناع أثيوبيا، بالدخول في اتحاد فيدرالي مع الصومال وكذلك طلب من الرئيس "جوزيف بروز تيتو" رئيس يوغسلافيا، إقناع أثيوبيا بالقبول لما فيه مصلحة الدولتين.

في فبراير 1977م أعلن الرئيس الأثيوبي "منجستو هايلاماريام" عزم الثورة، على المحافظة على وحدة البلاد، بوضعها أحد مبادئ النظام الجديد، وبأن الاشتراكية كفيلة بحل التناقضات واستئصال جميع التعقيدات.

وما لبث أن شهدت الصومال حربًا أهلية على مدار أكثر من عشرين عامًا، عانت الصومال وشعبها من ويلات هذه الحرب، ودفعت ثمن ذلك من استقرارها وتقدمها، حيث توقفت عجلة الحياة والتعليم والتنمية وعاش الناس عهدًا من تسلط الجبهات المسلحة، التي اندرجت تحت القبائل والفصائل المختلفة . وشكلت القبائل جبهات- أو كما يطلقون عليها قبائل بلغ عددها 24 فصيلا ، تولى قيادة كل فصيل منها، قائد عسكري من أبناء القبيلة وأهم هذه الفصائل هي[1]:

1- الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال S.S.D.F.

2- الحركة الوطنية الصومالية S.N.M.

3- الحركة القومية الصومالية S.P.M.

4- المؤتمر الصومالي الموحد U.S.C.

5- الجبهة القومية الصومالية S.N.F.

وفي 26 يناير 1991م قام الجنرال " محمد فارح عيديد" من محاصرة مقديشيو وإسقاط نظام الرئيس بري . وكان قد قام نزاع حول رئاسة الدولة بين كل من" علي مهدى محمد" الممول الرئيسي لجبهة الصومال الموحد الذي قاد الانقلاب والجنرال "محمد فارح عيديد" الذي قاد الانقلاب . وكان المؤتمر الصومالي الموحد بعد الانقلاب قد عقد اجتماعا عامًا للحركة في يونيه 1991م ، وقرر انتخاب الجنرال "محمد فارح عيديد" رئيسًا له ، وقرر المشاركة في مؤتمر جيبوتي ، الذي حدد له يوليه 1991م ، لإجراء مصالحة شاملة ، بين الفصائل الصومالية ، ولكن الجنرال عيديد رفض الذهاب إلى مؤتمر جيبوتي ، على أساس أن الإعداد للمؤتمر جرى

(1) Ibid., PP. 17 -22.

بشكل متسرع ، وكان خاضعًا لنفوذ قوى أجنبية ، خاصة إيطاليا . وعندما اختار مؤتمر جيبوتي، "على مهدي محمد" رئيسًا للدولة، لمدة عامين ، رفض عيديد الاعتراف به ، على أساس أن المؤتمر وزع المناصب الرئيسية على الفصائل ، وأن المؤتمر الصومالي الموحد ، الذي أعطيت له رئاسة الدولة ، هو الذي ينتخب الرئيس . في سبتمبر 1991م تحول الخلاف بين كل من الجنرال "عيديد" و "على مهدي محمد" الرئيس المؤقت، إلى صراع بين فرعي قبيلة الهوية "هيبرجيدر" الذي ينتمي له عيديد ، و "الأبجال" الذي ينتمي إليه "علي مهدي" وتحول الصراع بينهما إلى صراع مسلح داخل مقديشيو العاصمة .

وقع اتفاق وقف إطلاق النار بين الطرفين ، في 3 مارس 1991م تحت إشراف الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وسيطرت قوات "عيديد" على الجزء الأكبر من العاصمة والمنطقة جنوبها، والمناطق الغربية وهي منطقة قبيلة "هيبرجيدر"

وفي مايو 1992م هاجم الجنرال "عيديد" ، تسانده الحركة القومية الصومالية، بقيادة "أحمد عمر جيس" والحركة الوطنية الصومالية في الجنوب، قوات الجبهة القومية الصومالية الموالية لسياد بري بقيادة الجنرال " عمر حاج محمد " رئيس الأركان السابق ومعظم الأعضاء البارزين في الجبهة من المسئولين في نظام حكم الرئيس "سياد بري" وهرب الأخير إلى كينيا .

وهناك جهات سياسية أخرى غير التي سبق ذكرها، ليس لها تأثير كبير مثل:

1- الحزب الصومالي المتحد U.S.P

2- الحركة الديمقراطية الصومالية S.D.M

3- الاتحاد الديمقراطي الصومالي S.N.D.U

4- الحركة الإسلامية الصومالية.

وهناك تحالفان ، شكلا عدد من الفصائل الصومالية، هما:

التحالف الأول: التحالف الوطني الصومالي S.N.A ويتكون من المؤتمر الصومالي الموحد، جناح الجنرال " فارح عيديد" مع الحركة الوطنية الصومالية، بقيادة "أحمد عمر جيس" والحركة الديمقراطية بقيادة "فرع محمد نور" والحركة القومية الصومالية "فرع عبدي ورَسْمَه" .

التحالف الثاني: ترأسه "على مهدي محمد" الرئيس الصومالي المؤقت، وتكون من اثنتي عشرة من الفصائل المختلفة .

وسقطت السلطة المركزية في الدولة، بسقوط نظام الرئيس "سياد بري" ودار الصراع القبلي، للاستيلاء على السلطة. وفي النصف الأول من عام 1991م بدأ القتال المسلح في الجزء الجنوبي من الصومال.

وأصبحت الخريطة السياسية للصومال بعد انهيار نظام "سياد بري" مقسمة إلى خمسة أجزاء منفصلة هي:

1- المحافظات الشمالية الغربية، وتخضع لسيطرة الحركة الوطنية الصومالية، ومركزها "بربره، برعو، هيرجيسة" وتخضع لسيطرة "محمد إبراهيم عجال" . رئيس جمهورية أرض الصومال.

2- المحافظات الشرقية والوسطى، وتخضع لسيطرة "الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال وتشمل مدن"بوصاصو، جلكاعيو، دوسامأرب"

3- محافظة وهران، شيبلي، العاصمة مقد يشيو، وتخضع لنفوذ المؤتمر الصومالي الموحد بجناحيه.

4- المحافظات الجنوبية والجنوبية الغربية موزعة بين جناحي الجبهة القومية الصومالية، وتتمركز في كسمايو، وباوديرا، وجنوبا حتى حدود كينيا.

5- المحافظات الشمالية، وعاصمتها بوراما (على حدود جيبوتي)، تحت سيطرة الحركة الديمقراطية الصومالية.

وتتغير الخريطة طبقًا للتحالفات، التي تتم خلال سير العمليات العسكرية التي تدور بين الفصائل.

وزادت النزاعات في الصومال في شهر نوفمبر عام 2006م عندما قامت "حركة المحاكم الإسلامية بقيادة " شيخ شريف " بالاستيلاء على بعض المدن الصومالية ودخولها مقديشيو واستولت على المطار الدولي في المدينة ، ثم اتجهت نحو الجنوب للسيطرة على كسمايو ، ولكن الحكومة الأثيوبية برئاسة "مليس زيناوي" رئيس الوزراء دعت قواتها إلى دخول الأراضي الصومالية بحجة أن النزاع أو التوتر قد ينتقل إلى داخل الأراضي الأثيوبية، فضلا عن الدفاع عن أراضيها حتى لا تقوم قوات المحاكم الإسلامية باستخدام أراضيها في قتال الحكومة النظامية في الصومال .

واتحدت القوات الأثيوبية مع الجيش الصومالي[1] لمحاربة قوات المحاكم الإسلامية وطوقتها وقتلت الآلاف من مقاتليها واعتقلت بعض زعماء الحركة . وما ساعد على تقوية الحكومة الصومالية ضد قوات المحاكم الإسلامية أن الولايات المتحدة أرسلت بعض القطع الحربية التابعة لها للمرابطة في المحيط الهندي وخليج عدن وتزويد الحكومة الصومالية بالسلاح للقضاء على حركة المحاكم الإسلامية وتطويق نفوذها .

كذلك بدأ النزاع بين الصومال وكينيا عام 1961م ، لانضمام الصومال الكيني إليها والتي تبلغ مساحته 150 ألف كم^2 إلى الصومال . واستمرت المفاوضات بين

(1) أيد الرئيس الصومالي تدخل القوات الأثيوبية في الحرب الدائرة ضد المحاكم الإسلامية الصومالية ، على أرض الصومال للمحافظة على النظام وهيبة الدولة الصومالية.

الدولتين عن طريق منظمة الوحدة الأفريقية، وقد اتفق الحزبان اللذان يمثلان الصومال الكيني في مطالبهم للمستقبل ، وتتمثل هذه المطالب في عمل استفتاء في مديرية الحدود الشمالية في كينيا التي يعيش الصوماليين في شرقها والبورون في غربها، وهؤلاء أقرب إلى الصوماليين منهم إلى أهل كينيا ، ويشرف على الاستفتاء أعضاء من منظمة الأمم المتحدة ولكن من غير الأعضاء الأفريقيين وذلك بعد انسحاب قوات البوليس والجيش التابعة لكينيا من الإقليم . هذا ولا يؤيد قضية أهل الصومال الكيني كونهم يرتبطون حضاريًا بأهل جمهورية الصومال فحسب، بل لأن خط الحدود الهندسية يفصل بين المراعي الصيفية والمراعي الشتوية للقبائل، فضلا عن بعد هذا الإقليم عن بقية كينيا ، وبطبيعة الحال لا نجد أي حزب من الأحزاب المتصارعة في كينيا يوافق على اقتطاع نحو خمس مساحة كينيا وهي التي تكون المديرية الشمالية[1] .

واستمرت المفاوضات بين الدولتين عن طريق منظمة الوحدة الأفريقية حتى عام 1966م عندما أعلنت كينيا قطع جميع علاقاتها التجارية مع الصومال ، وفي نفس العام حدث نزاع مسلح بين الدولتين ، ولكن ما لبثت المشكلة أن سويت بصفة نهائية عام 1967م ، على أن تحترم كل دولة الحدود التي رسمت أثناء الاستعمار.

وفي عام 1970م رأت الصومال أن يفتح ملف قضية مشكلة الحدود الشمالية مع كينيا أولًا ، وثانيًا: يمكن للمفاوضات أن تجد لها حلا وحتى الوصول للحل يكون للصومال رأيها في خصوصية مسائل المنطقة ورفاهيتها، وفي إدارتها لوجود علاقات تجارية وثيقة بينهما ، وعملة الصومال معترف بها كوسيلة للتعامل هناك . وقد خفت أعباء الضرائب على السكان هناك (هود وأوجادين) بالاتصالات مع

(1) محمد عبد الغني سعودي ، الجغرافيا والمشكلات الدولية ، ص 133 .

أثيوبيا. فالكل يعترف بأن المنطقة واقعة تحت تأثير النفوذ الصومالي، وهي مفتوحة للتجارة وحرية الحركة للصوماليين ؛ أي أن الحد السياسي مازال باقيًا في مكانه، لكنه لم يعد يؤدي وظيفة الفصل نتيجة لجهود حكومة الصومال[1].

وحتى الآن لم تسو مشاكل الحدود في منطقة القرن الأفريقي، وإن كانت كل من كينيا وأثيوبيا تتمسكان بالحدود التي رسمها الاستعمار كسياسة أمر واقع.

4- مشكلة الجزر الإماراتية الثلاث.

مقدمة:

تمتد دولة الإمارات العربية المتحدة على طول ساحل الخليج العربي إلى الشرق من شبه جزيرة قطر لمسافة 650 كيلو مترًا ، حتى شبه جزيرة رأس مسندم في سلطنة عمان . ويتميز الساحل من رأس مسندم حتى قاعدة شبه جزيرة قطر بالجفاف التام **وندرة موارد المياه ، ومن ثم اعتمد أهله قديمًا على البحر اعتمادًا كبيرًا سواء على صيد** الأسماك أو على نقل التجارة.

وكان يطلق على هذه المنطقة الساحل المهادن أو المعاهد[2] وكان المستعمر يطلق عليه اسم ساحل القراصنة لكثرة الإغارات التي قام القواسم بها ضد البريطانيين وشجعهم على هذا الغزو كثرة الحواجز المرجانية في الخليج العربي ، فضلا عن ذلك العدد اللانهائي من الأخوار والقنوات البحرية والبحيرات الساحلية التي تنمو بها أشجار المانجروف، وفي هذه جميعًا تتعذر الملاحة والكثير منها غير معروف للملاحين الجدد، وكان هذا مما شجع الملاحين العرب على الانقضاض فيها على

(1) محمد محمود الديب، مرجع سبق ذكره ، ص ص 586 – 587 .

(2) عرف هذا الساحل بهذا الاسم نسبة إلى معاهدة السلام البحري الدائم بين بريطانيا وشيوخ الإمارات والتي تم توقيعها سنة 1853.

السفن التجارية ، ثم العودة منها إلى مخابئهم، ولم تتغلب بريطانيا عليهم إلا بعد استعمال الزوارق الخفيفة[1].

الموقع الجغرافي لدولة الإمارات :

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة في الركن الشرقي لشبه الجزيرة العربية، فيما بين دائرتي عرض 19/ 522 ، 4/ 526 شمالًا وخطي طول 5/ 151 و 33/ 556 شرقًا ، يحدها الخليج العربي من الشمال والشمال الشرقي ومن الغرب السعودية وقطر ، ويحدها شرقًا خليج عمان وسلطنة عمان ومن الجنوب السعودية .

وتبلغ مساحة دولة الإمارات 82880 كم^2 ، وهي تتألف من سبع إمارات هي: أبوظبي، دبي، رأس الخمية، عجمان، أم القيوين، الفجيرة، والشارقة. وقد اتحدت هذه الإمارات معًا لتكون دولة متحدة في ديسمبر عام 1971م ، وتمارس الحكومة **الاتحادية الشئون الخارجية والدفاع والمالية، أما الشئون الداخلية فهي من سلطة** أمراء الإمارات كل على حدة[2] . ولدولة الإمارات العربية المتحدة جبهة ساحلية على الخليج العربي بطول 650 كيلو متر، بداية من إمارة أبو ظبي في أقصى الغرب مرورًا بدبي والشارقة وعجمان وأم القوين ورأس الخمية، إلى جانب جبهة ساحلية محدودة الطول (90 كم فقط) لإمارة الفجيرة على خليج عُمان . والساحل الإماراتي ساحل رملي منخفض بشكل عام تكثر أمامه الجزر ويتميز بالتغلغل المائي في شكل أخوار ضيقة متعمقة في اليابس ، إلى جانب انتشار السبخات الملحية لخط الشاطئ الذي يطوقه إطار مرجاني متقطع في بعض المواضع مع انتشار الحواجز الرملية في المياه الشاطئية الضحلة . ويظهر التعرج الذي يميز خط الشاطئ بشكل عام أكثر

(1) محمد عبد الغني سعودي: الوطن العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2002، ص 222 .

(2) محمد صبري محسوب: العالم العربي دراسة جغرافية، دار الفكر العربي 2002 ، ص 167

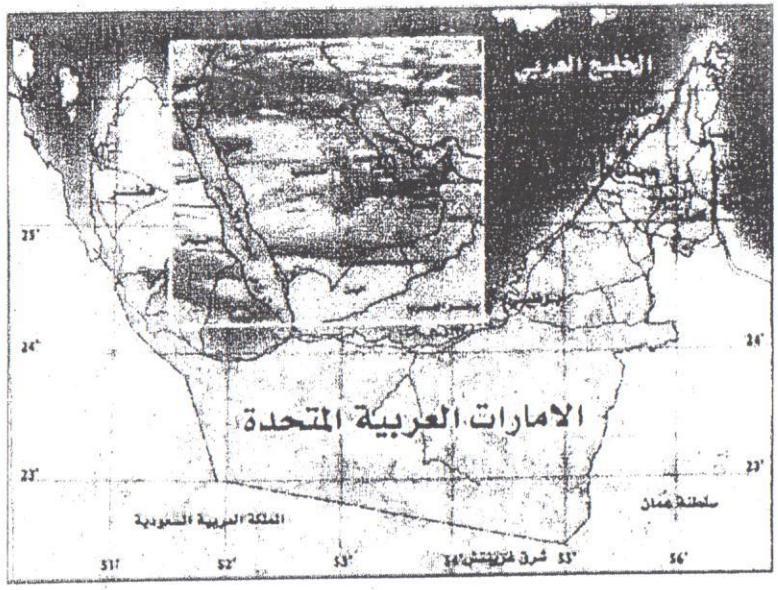

الشكل (49) الموقع الجغرافي لدولة الإمارات العربية المتحدة

وضوحًا في قطاعه الممتد ما بين رأس غناضة حتى خور العديد لمسافة 500 كيلو متر[1].

ويبلغ عدد سكان الإمارات 2.611.516 نسمة عام 2008م وعاصمة الدولة هي مدينة أبو ظبي ، وهي مقر الحكومة المركزية ، وبها مقر المجلس العام للاتحاد ، ويتبع الدولة أكثر من 200 جزيرة أهمها جزيرتان هما:

أبو ظبي وداس ، وبالأولى عاصمة الدولة وبالثانية أكبر حقل للبترول بدولة الإمارات ، وبها صناعة الغاز الطبيعي .

(1) محمد صبري محسوب: الجزر العربية ، معطيات البيئة وإمكانيات تنميتها ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2006 ، ص 26 .

مظاهر السطح:

تغطي السهول نحو 92 ٪ من أراضي دولة الإمارات، بينما تشغل المرتفعات 8 ٪ من مساحة الدولة وتتحدد أراضيها الجبلية في أقصى الشرق ، ممتدة في هيئة نطاق بين الشمال والجنوب . وهي تعتبر جزءًا من جبال سلطنة عُمان وامتدادًا غربيًّا لها في دولة الإمارات ، وتقترب الجبال من ساحل خليج عُمان حتى أنها لا تترك بينها وبين البحر سوى سهلًا ساحليًّا ضيقًا جدًّا يتراوح عرضه بين 1-5كم ، وأحيانًا تشرف المرتفعات بجروف شديدة الانحدار على البحر مباشرة، وتبرز فيه أحيانًا أخرى مشكلة رءوس أرضية مثل رأس وبا ورأس ضدنة . وإلى الغرب من النطاق الجبلي الشرقي تمتد أراضي دولة الإمارات في هيئة سهول فسيحة تترامي أطرافها صوب سواحل الخليج والأراضي السعودية[1].

وتمتلك دولة الإمارات العديد من الجزر المنتشرة في مياهها الإقليمية في الخليج العربي، وأكبر هذه الجزر هي جزيرة أبو الأبيض الواقعة شمال طريف، وجزر دلما، أرزنة، قرنين ، داس ، زركوه ، فضلا عن جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى والواقعة تحت الاحتلال الإيراني ، والتي هي معرض حديثنا.

نبذة تاريخية عن نشأة اتحاد دولة الإمارات.

شهد القرن 16 بداية انهيار احتكار البرتغال للتجارة في الخليج العربي ، وصعود قوتين جديدتين تنافسان في السيطرة على التجارة مع الشرق هما: هولندا وبريطانيا. وفي عام 1650م أخلى البرتغاليون عُمان ، وبحلول 1766م كانت السيطرة الهولندية قد انحسرت عمليًّا لصالح البريطانيين الذين كانوا قد وطدوا هيمنتهم في الهند.

وكانت القرصنة العربية والأوروبية منتشرة في الخليج العربي في القرن 17 ، 18، 19 . وفي عام 1806م وعام 1809م قام الأسطول البريطاني بهجمات ضد مناطق

(1) جودة حسنين جودة: العالم العربي دراسة في الجغرافيا الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1986 ، ص 329 – 330 .

القراصنة ، ثم احتل في عام 1818م رأس الخيمة وسواها من الموانيء . وفي 1820م وقع البريطانيون والقبائل العربية معاهدة عامة للسلام وضعت حدًّا للقرصنة ولتجارة العبيد. وتمركزت قوة بريطانية في رأس الخيمة لضمان تنفيذ المعاهدة ، وفي عام 1853م وقعت معاهدة صلح دائم لمنع القرصنة ، اكتسب الساحل تبعًا لها اسم "الساحل المتصالح"[1]. ونصت المعاهدة على أن تراقب بريطانيا تنفيذها . في عام 1892م ، وردًّا على اهتمام ألمانيا وروسيا المتزايد بالمنطقة، دخلت بريطانيا في "اتفاقيات" مع شيوخ القبائل نصت على أنه لا يجوز لهم بيع أقسام من أراضيهم أو التنازل عنها لصالح أي طرف عدا الحكومة البريطانية ، ونصت كذلك على أنه لا يجوز إجراء علاقات خارجية إلا بموافقة بريطانيا. كان عدد الدول المتصالحة خمسًا في عام 1820م ، لكن وفاة شيخ الشارقة في 1866م أدت إلى تقسيم الإمارة إلى أربعة أجزاء (أصبحت ثلاثة في1952م) .

في 1952م استقلت الشارقة والفجيرة بعد أن اعترفتا بحق بريطانيا في رسم الحدود وحل النزاعات بين الإمارات. وفي السنة نفسها أقيم مجلس ضم حكام الإمارات السبع برئاسة المفوض السياسي في دبي . وجاء بدء إنتاج البترول في أبوظبي في عام 1962م ليفسح مجالًا جديدًا للتطور ، وكانت الخطوة الأولى في هذا المجال ، إزاحة الشيخ شخبوط في 1966م ، كذلك استفادت دبي من اكتشاف البترول . وفي 1965م تم خلع الشيخ صقر ، حاكم الشارقة ، فقدمت كل من العراق ومصر شكوى إلى الأمم المتحدة لكن دون أية نتيجة ، وفي عام 1970م تعرض خلفه، الشيخ خالد لمحاولة اغتيال .

بحلول 1968م كان البريطانيون قد وسعوا قاعدتهم في الشارقة ، التي غدت الأهم في منطقة الخليج . وفي السنة نفسها أعلنت بريطانيا أن جميع قواتها سوف

(1) يسمى أيضًا الساحل المهادن أو المعاهد كما سبق أن أشرنا .

تنسحب في أواخر 1971م ، واقترحت تحويل قوة كشافة عمان المكونة من 1600 رجل ، والخاضعة لقيادة بريطانية إلى نواة أمنية اتحادية. غير أن أبو ظبي كانت في هذه الأثناء تبني قوة خاصة بها[1].

في 1970م تمت تسوية نزاعات الحدود بين قطر وأبو ظبي ودبي، غير أن الملك فيصل (ملك السعودية) طلب إجراء استفتاء على واحة البريمي التي تحكمها أبو ظبي والتي كانت السعودية تطالب بها . وفي 1974م وقعت اتفاقية حدود مع السعودية، واعترفت السعودية بدولة الاتحاد وتبادلت السفراء معها.

وكانت مقترحات الاتحاد الأصلية تشمل قطر والبحرين إلى جانب الإمارات المتصالحة السبع، غير أن قطر والبحرين اختارتا عدم الانضمام. وفي ديسمبر 1970م أنهت بريطانيا معاهداتها مع الدول المتصالحة. وفي اليوم التالي شكلت إمارات أبوظبي ودبي والشارقة وأم القيوين والفجيرة وعجمان دولة الإمارات العربية المتحدة ، التي وقعت معاهدة صداقة مع بريطانيا، وانتخب حاكم أبو ظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيسًا للاتحاد ، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم المكتوم أمير دبي نائبًا للرئيس.

لقد جاءت ولادة الدولة الاتحادية الجديدة تصحيحًا لوضع شاذ. فقد كانت الإمارات مجرد "مشيخات" تعتبر كل منها، بأي مقياس عالمي كيانًا سياسيًّا بالغ الصغر ، سواء في مساحته، أو في حجم سكانه، أو في موارده الاقتصادية (قبل ظهور البترول) ، أو في مستواه الحضاري. وامتد الشذوذ إلى تركيب الخريطة الجغرافية السياسية لهذه المشيخات . فقد انفردت بظاهرة لا مثيل لها في السياسية للعالم كله، ألا وهي أن كل مشيخة أو إمارة تتناثر أجزاؤها كالأشلاء هنا وهناك ، فتتألف كل من أبو ظبي ودبي ورأس الخيمة من قسمين ، وتتألف إمارة عجمان من ثلاثة أجزاء،

(1) الموسوعة السياسية ، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره ، ص ص 278 – 281 .

وإمارة الشارقة من خمسة أجزاء! وأصبح من الشائع إضافة بعض المصطلحات إلى الإمارة ، كأن يقال مثلا إمارة أبو ظبي وملحقاتها أو توابعها . وكثيرًا ما انعكس هذا التجزئ الجغرافي الاستعماري على مشكلات الحدود المصطنعة التي كانت تثار بين هذه المشيخات أو الإمارات وجاء اكتشاف البترول ليزيد من هذه المشكلات التي كانت تقف وراءها شركات النفط الأجنبية .

وفي عام 1972م قتل حاكم الشارقة الشيخ خالد ، وخلفه أخوه الشيخ سلطان وفي فبراير 1972م انضمت رأس الخيمة إلى الاتحاد بعد أن احتلت إيران مباشرة بعد الانسحاب البريطاني جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبو موسى التابعة لها[1].

اتبعت دولة الإمارات سياسة محافظة منذ نشوئها، غير أنها ساندت الدول العربية التي شاركت في حرب أكتوبر 1973م ، وكانت أول دولة فرضت حظرًا تامًا على صادرات البترول إلى الولايات المتحدة. وهي تنسق سياستها باستمرار مع السياسة السعودية في الخليج وفي المنطقة العربية. وفي هذه الفترة حدثت تطورات عززت الوحدة بين الإمارات. ففي ديسمبر 1973م حلت حكومة أبو ظبي نفسها ليصبح بعض أعضائها وزراء اتحاديين، ونذكر على الأخص وزير النفط[2] في أبوظبي ، "مانع سعيد العتيبة" الذي أصبح وزير النفط في الاتحاد. واشتملت عملية إعادة التنظيم الحكومية هذه على توسيع ملموس للسلطة المركزية. وكان واضحًا أن أبو ظبي تستخدم قوتها الاقتصادية لحض شركائها على الاندماج في الاتحاد بشكل أقوى وأشمل ، بالرغم من أن بعض الشيوخ ظلوا مترددين في التخلي عن سلطاتهم الشخصية.

(1) المرجع السابق، ص 280 .

(2) يستخدم مرادف النفط بمعنى البترول أو زيت البترول وهذا الاصطلاح ؛ أي النفط شائع الاستخدام في الدول العربية .

وفي مايو 1975م تم الاتفاق في المجلس الأعلى الذي يضم حكام الإمارات، على خطوات مركزية إضافية، وفي نوفمبر 1975م دمجت الشارقة حرسها الوطني في قوة الدفاع الاتحادية، كذلك سلمت الإذاعة التابعة لها إلى وزارة المواصلات الاتحادية، وأخضعت شرطتها لوزارة الداخلية ومحاكمها لوزارة العدل في الاتحاد. كما ألغت علمها الخاص لتتخذ من علم الاتحاد المثلث الألوان علما لها . وسرعان ما اتخذت الفجيرة ودبي قرارات مماثلة .

وفي مطلع مايو 1976م تم التوصل إلى اتفاق دمج نهائي لقوة الدفاع الاتحادية مع قوات أبو ظبي ودبي . وعين الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ، ولي عهد أبو ظبي ، نائب القائد الأعلى للقوات الاتحادية، في ظل والده قائدها الأعلى . وفي السنة نفسها عدلت الفقرة 142 من الدستور المؤقت على نحو حصر حق التجنيد والتسلح بالحكومة الاتحادية. وفي 1977م أبرمت دولة الإمارات اتفاقيات تعاون عسكري مع فرنسا التي وافقت على توفير الأسلحة والطائرات لقوات الاتحاد إلى جانب تدريب أفراد تلك القوات .

وفي عام 1976م وافق الشيخ زايد على رئاسة الاتحاد مجددًا بعد أن وافق المجلس الأعلى على منح الحكومة الفيدرالية سلطة أكبر في مجال الدفاع والمخابرات والهجرة والأمن العام والإشراف على الحدود . وفي مطلع 1977م جرى تعديل حكومي أعلن فيه أن اختيار الوزراء يتم وفق الكفاءة الشخصية وليس بموجب تمثيلهم لإماراتهم، كذلك أعيد تشكيل المجلس الوطني الاتحادي وفق المبادئ نفسها. ورغم كل هذه الإجراءات فإن الأزمات التي تنشأ من وقت لآخر بين قطبي الاتحاد (أبو ظبي ودبي) حول مسألة الصلاحيات الدستورية والتمثيل الوزاري، تعرض باستمرار استقرار الاتحاد للخطر[1].

(1) المرجع السابق، ص 281 .

الخليج العربي المجال الحيوي لإيران:

يمتد الخليج العربي من مضيق هرمز جنوبًا حتى منطقة الفاو جنوب العراق في الشمال ، يغذيه مجرى مائي هائل من مياه شط العرب برافديه دجلة والفرات منذ آلاف السنين، ويذكر الجغرافيون أن تغيرات جيولوجية حدثت في العصور التاريخية القديمة والتي يقدر بأنها انتهت منذ نحو مليون عام، انفصل خلالها حوض البحر الأحمر عن البحر المتوسط ، ثم اكتسحته مياه المحيط الهندي ، وفي نحو منتصف تلك المرحلة التاريخية تكون الخليج من المنطقة البحرية التي تمثل الآن البحر المتوسط، وامتد حتى مدينة تدمر في بادية الشام .

يمثل الخليج العربي أقصى امتداد للوطن العربي نحو الشرق ، وهو يمتد بين أراضي الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية المنبسطة وأرض الساحل الغربي لهضبة إيران، وكحوض بحري يعتبر امتدادًا بحريًا للمحيط الهندي. والخليج العربي هو خليج طولي يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وتقدر مساحة الخليج العربي بنحو 226 ألف كيلو متر مربعًا ، ويبلغ طول الساحل الغربي من الخليج والممتد من الفاو في الشمال حتى رأس مسندم في الجنوب نحو 1357 كيلو مترًا ، بينما يبلغ طول الساحل الشرقي الواقع تحت النفوذ الإيراني 860كيلو مترًا ، أما عرض الخليج فيتراوح بين 180 ، 280 كيلو مترًا ، ويتراوح عمقه بين 35 ، 100 متر .

تؤلف سواحل الخليج الغربية والشمالية منافذ طبيعية إلى الأقاليم الداخلية في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، كما تؤلف سواحله الشرقية عبر السلسلة المحاذية له منافذ أخرى إلى بلاد فارس ووسط آسيا، ومن ثم يرى الجغرافيون الخليج العربي معبرًا أو جسرًا بين الشرق والغرب فهو منطقة وصل بين أوروبا والشرقين الأدنى والأقصى[1] . والخليج مناخه جاف في معظم أيام السنة، ولأنه محاط بالأرض

(1) http://www.Mokatel/data/Behoth siasia - askria, op. cit., P.2.

فهو شبه قاري ، يتصف بالتقلب الكبير في درجة حرارته بين الفصول، وقد تبلغ درجة الحرارة في الصيف 50°م ، كما أن العزلة النسبية لمياه الخليج وزيادة التبخر تزيد من نسبة ملوحة مياهه . وتهب على الخليج إما رياح شمالية ، وهي تهب من الشمال الغربي، تثير تيارات مياه سطحية تؤدي إلى جلب رمال مشبعة بالكربونات للشاطئ الغربي ، أما الرياح الأخرى فهي رياح الجنوب (الكوس) وهي رياح جنوبية حارة مرهقة في الصيف يصحبها ارتفاع كبير في درجة الرطوبة .

وقاع الخليج منحدر بشكل خفيف وتقل به الجروف، كما أن تيارات المد والجزر تؤثر على الصخور الرسوبية حتى في أعمق مكان فيه. وتكثر حول سواحل الخليج (الأخوار) ، وهي ألسنة مائية متعمقة في اليابس، وتستخدم كموانئ طبيعية، ومن أشهرها: خوردبي ، خور الدوحة ، خور فكان ، وخور سلوى . ويمكن القول أن معظم التجمعات السكانية – خاصة في الساحل الغربي- قد تواجدت على أخوار، حيث ارتبط عمل السكان بالمصدر الرئيسي للرزق وهو البحر[1] .

وللخليج العربي أهميته التجارية والاستراتيجية ذلك أنه ذراع بحري للمحيط الهندي يتوغل داخل . الأرض اليابسة بحيث يقرب المسافة البرية عبر منطقة الهلال الخصيب وبين المحيط الهندي ، وهذا ما دعا بريطانيا إلى مد نفوذها فيه . وزادت أهميته بعد اكتشاف البترول على جانبيه ، لذلك أصبح مطمع القوى الكبرى وخاصة بريطانيا ، التي استطاعت إزاحة منافسيها في النصف الأول من القرن العشرين سواء أكانوا فرنسيين أم ألمان أم سوفيت ، غير أنها لم تستطع مقاومة حلفائها الأمريكيين ، وظل الخليج منطقة صراع دولي بين القوى جميعًا[2] .

(1) الموسوعة السياسية، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص 623 .

(2) محمد عبد الغني سعودي: الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 20 .

من هذا المنطلق ولو دققنا النظر إلى الخليج العربي والدول المطلة عليه لوجدنا أن إمكانيات إيران المادية والعسكرية والاقتصادية والبشرية ومكانتها الدولية وارتباطاتها مع الغرب، تمنحها القدرة لأن تؤدي إلى حد ما الدور الذي كانت تؤديه بريطانيا من قبل في المنطقة، كما أن إيران بكل حوافز التوسع لديها وبكل أمالها وطموحها القومي ترى في الخليج مجالها الذي يمكنها عبره من التوسع والامتداد، فهو أولًا وأخيرًا المخرج البحري الوحيد الذي يربطها بالعالم الخارجي. كما أن إيران لا تستطيع أن تمد نفوذها نحو الشمال على حساب جارها القوي وهو روسيا ولا أن تمتد شرقًا على حساب جاراتها وحليفتها الإسلامية باكستان وهي أيضا من الدول القوية والتي يوضع لها حساب في ميزان القوى، حيث تعد من الدول النووية شأنها في ذلك شأن إيران. أما في الجنوب المختلف جدًّا حيث دولة الإمارات العربية وحيث اليابس مفتوح على مصراعيه. فالخليج بإماراته المجزأة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معني وثروته الهائلة وقلة عدد سكانه وبإمكانياته الدفاعية المعدومة.

الخليج بوضعه هذا يمثل أفضل منطقة جذب للقوى المجاورة، وفيه وجدت إيران ضالتها المنشودة. فاندفعت بعد انسحاب إنجلترا لملء هذا الفراغ فاحتلت الجزر العربية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى لتجعل منها رأس جسر يمكنها من الامتداد والعبور إلى البر العربي عندما ترى ذلك ملائمًا[1].

فما احتلال الجزر العربية الثلاث إلا نقطة البداية في خطة طويلة الأمد في الإستراتيجية الإيرانية للسيطرة على الخليج سواء أكانت تلك السيطرة بوسيلة الضغط السياسي أم الثقافي أم الاجتماعي أم بالقوة العسكرية كلما رأت الوضع الدولي ملائمًا لذلك.

(1) عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 289 – 290.

فالخليج في الإستراتيجية الإيرانية هو "المجال الحيوي" المثالي لممارسة طموحاتها المصلحية والقومية. والخليج مجال حيوي لتحقيق ما تصبوا إليه من استعلاء قومي ومجد سياسي وتوسع اقتصادي وامتداد بشري للإمبراطورية الفارسية الجديدة تدعمها بذلك مصالح حلفائها الغربيين وقوتهم[1].

الملامح الجغرافية للجزر الإماراتية الثلاث:

جزيرة أبو موسى:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. وتقع الجزيرة على مسافة 94 ميلًا بحريًّا من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز، وتبعد عن الساحل الشرقي للخليج بحوالي 72 كيلو مترًا، بينما تبعد ما يقرب من 60 كيلو مترًا من سواحل دولة الإمارات العربية المتحدة وبصفة خاصة في مقابل ساحل إمارة الشارقة. وهي جزيرة مستطيلة الشكل تبلغ مساحتها حوالي 35 كيلو مترًا مربعًا، أقصى طول لها 5 كم، وأقصى عرض 9 كم، يتكون سطحها من سهول رملية منخفضة مغطاة بأعشاب جافة وبها تل جبلي يطلق عليه سكان الجزيرة جبل الحديد ويقع في منتصف الجزيرة ويبلغ ارتفاعه 360 قدمًا، كما يوجد جبل آخر يسمى جبل الدعالى؛ أي (جبل القنافذ).

ويوجد بالجزيرة بعض الثروات المعدنية مثل أكسيد الحديد والذي أسند حق استثمار رواسبه منذ أكثر من 57 عامًا قبل احتلال الجزيرة، من قبل شركة ألوان الوادي الذهبي (ميكوم) البريطانية في السادس من فبراير1952م، حيث كانت الجزيرة تابعة لإمارة الشارقة آنذاك. وتقع مناجم أكسيد الحديد في الشمال الشرقي من الجزيرة، ويمتلك شيوخ إمارة رأس الخيمة نسبة من هذه المناجم في القطاع الشمالي من الجزيرة، وتتملك شركة Sun valley colon Company of week البريطانية مناجم الأكسيد، وفق الامتياز الذي منحه إياها حاكم الشارقة. وقد بلغ عدد العمال في مناجم جزيرة أبو موسى نحو 500 عامل.

(1) المرجع السابق، ص 290.

يوجد في الجزيرة عدة آبار للمياه العذبة، منها بئر عذبة على عمق 30 قدمًا تابع لشركة التنقيب عن الأكسيد ، وبذلك تتوافر في الجزيرة المياه الصالحة للاستخدام الآدمي كالزراعة والرعي . ويقطن الجزيرة حوالي 1500 نسمة وجميعهم من العرب الأصليين الذين ينتمون إلى القبائل العربية في الساحل الغربي (إمارتي رأس الخيمة والشارقة) ، يمتلكون عدة سفن صغيرة يستخدمونها في النقل التجاري إضافة إلى استغلال الثروة السمكية بعمل بعض السكان المحليين في مناجم استخراج الأكسيد خلال فصل الشتاء ، وفي فصل الصيف يعملون في الصيد البحري والملاحة ، ويتم تسويق الثروة السمكية إلى السفن العابرة أمام الجزيرة ، وكذا أسواق الشارقة ودبي ، مما يحقق للعاملين في هذا المجال عائدًا

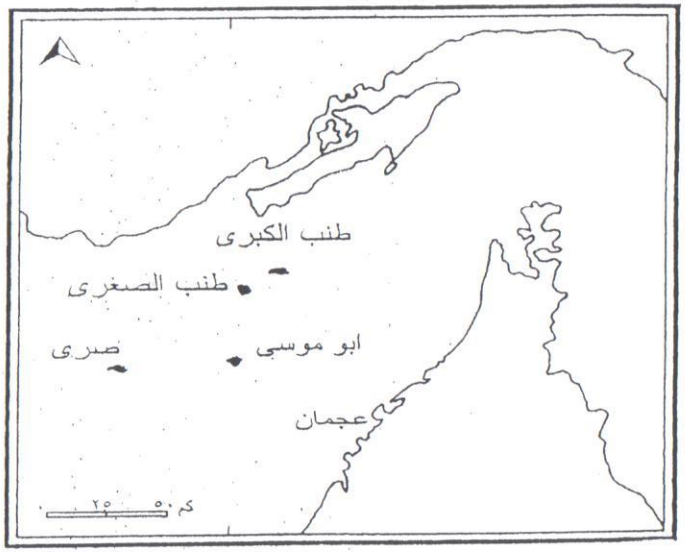

الشكل (50) الجزر الإماراتية في الخليج العربي

ماديًا كبيرًا. ومن الثروات الطبيعة كذلك في الجزيرة كبريتات الحديد والكبريت، إضافة إلى اكتشاف النفط في مواقع بحرية تابعة لها (حقل مبارك) الذي يضم ثلاثة آبار تقوم شركة Butes Oil Gas Company باستغلالها بموجب امتياز منحه لها حاكم إمارة الشارقة.

يوجد بالجزيرة عدة إدارات حكومية تابعة لإمارة الشارقة تؤدي الخدمات للسكان، مثل مدرسة للبنين والبنات وعيادة للرعاية الصحية ومركز للشرطة ومستودعات ومخازن للمواد الغذائية والتموينية ، إضافة إلى الخدمات الحكومية الأخرى[1].

جزيرة طنب الكبرى:

تقع جزيرة طنب الكبرى عند مدخل مضيق هرمز على مسافة 59 كم جنوب غرب جزيرة قشم ، وتقع إلى الشمال الشرقي من جزيرة أبو موسى وتبعد عنها حوالي 50 كم ، كما تبعد عن إمارة رأس الخيمة 75 كم وعن الساحل الشرقي للخليج مسافة 50 كم ، وهي جزيرة دائرية الشكل تقدر مساحتها بنحو 9 كم^2، ويبلغ طولها 12 كم وعرضها 7كم .

ويتميز سطح الجزيرة بانخفاضه واستوائه مع ارتفاع محدود للسطح في طرفها في الجنوب الشرقي أقيمت فوقه منارة للإرشاد الملاحي . وتوجد أعداد من الآبار للحصول على المياه العذبة التي تستغل في الاستخدامات المنزلية والزراعية المحدودة ، حيث تنتشر أشجار النخيل ومعظم أشجار الفاكهة . ويوجد بالجزيرة عدد محدود من السكان ينحدرون من أصول عربية من قبائل تميم وجرير ، وأهم الحرف التي يعمل بها سكان الجزيرة صيد الأسماك والتجارة مع رأس الخيمة التي تتبعها قبل احتلالها من قبل إيران ، مع وجود بعض السكان يقومون بالزراعة ورعى الماشية[2].

(1) HTTP://WWW.Mokatel/data/Behoth siasia- askaria, op.Cit. PP. 5 – 7.
(2) محمد صبري محسوب، الجزر العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص 81 .

وقد بلغ عدد سكان الجزيرة نحو 700 نسمة، وقد سبق لإمارة رأس الخيمة أن وفرت لسكان الجزيرة العديد من المؤسسات الخدمية كالمدرسة الابتدائية للبنين والبنات والعيادة الصحية ومركز الشرطة.

جزيرة طنب الصغرى:

تعرف في بعض المصادر بجزيرة نابيو، وهي تابعة لإمارة رأس الخيمة وهي صغيرة المساحة بالمقارنة بجزيرة أبو موسى، والجزيرة عبارة عن نتؤ صخري خاصة في طرفها الشمالي ، حيث تنتشر مجموعة من التلال الداكنة ذات الطبيعة الصخرية ، ويبلغ أعلى أجزائها نحو 116 مترًا . وتقع الجزيرة على مسافة 90 كم من الساحل الغربي للخليج، وإلى الغرب من جزيرة طنب الكبرى بحوالي 10 كم . وتبدو الجزيرة على شكل مثلث طوله 2كم وعرضه 1كم . ويلجأ الصيادون إليها عند اشتداد الرياح وارتفاع الأمواج ، وبالجزيرة أعداد كبيرة من الطيور البحرية ، وليس بها سكان .

الأهمية الإستراتيجية للجزر الإماراتية:

إن السمة الأولى للأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر هي أنها تقع عند المدخل الشمالي لمضيق هرمز، والطرف المسيطر عليها قادر على التحكم في حركة الإمدادات النفطية من خلال مضيق هرمز ، ويعني هذا أن إيران بسيطرتها على هذه الجزر تملك التأثير على حرية الملاحة البحرية ضد دول الخليج العربي وبقية الدول العربية .

ففي الوقت الذي تستطيع فيه إيران تجاوز المضيق وتصدير النفط من موانئ إيرانية تقع جنوب المضيق، في حين أن حركة الإمدادات النفطية لكثير من الدول العربية محكومة بحرية الملاحة عبر المضيق وهذا يعني أن سيطرة إيران على الجزر يساعدها على تنفيذ الخنق الاستراتيجي النفطي ضد الدول العربية ، في حين لا تؤدي سيطرة الدول العربية على الجزر إلى الخنق الاستراتيجي ضد إيران.

كما أن لإيران جزر في مدخل الخليج منها جزيرة "قشم" وجزيرة "الأراك" وجزيرة قشم جزيرة عربية الأصل فقد كان اسمها قاسم "نسبة إلى القواسم" وهم قبائل عربية كانت تسكن الساحل الشرقي للخليج العربي، وفي جزيرة قشم ميناء كبير وقاعدة جوية إيرانية، وفي وسع إيران أن تستفيد من القاعدة والميناء في السيطرة على مضيق هرمز ومدخل الخليج عند الحاجة[1].

تشكل هذه الجزر مواقع جغرافية لا يستهان بها في توفير الحماية الإستراتيجية العسكرية بالسيطرة على أمن الملاحة الإقليمية والدولية التي تتحكم بمضيق هرمز في الخليج العربي، النافذة البحرية الرئيسية لدولة الإمارات العربية المتحدة وبقية دول الخليج في إطلالها على العالم الخارجي ، بل تعد هذه الجزر مراكز حيوية لمنارات المراقبة البحرية للسفن التجارية المارة من مختلف أنحاء العالم . وكذلك تعد منطقة إستراتيجية فريدة ، حيث تشكل مركزًا للاستطلاع والمراقبة لسواحل المملكة العربية السعودية وجمهورية إيران وجمهورية العراق، وبالتالي فإن هذه الجزر لا تقل أهمية عن ممرات الملاحة العربية الدولية مثلها مثل مضيق باب المندب الذي يتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وقناة السويس في الجزء الشمالي من البحر الأحمر.

جاء في دراسة لخبراء الاقتصاد والسياسة في مركز الدراسات الإستراتيجية الدولية في جامعة جورج تاون الأمريكية، أن 68 ٪ من صادرات نفط الشرق الأوسط تمر من مضيق هرمز بشواطئ الجزر الثلاث، وأن هذه النسبة تشكل نصف الطاقة التي تعتمد عليها صناعة العالم واقتصاده ومتطلبات حياته اليومية.

الأهمية الاقتصادية للجزر الإماراتية:

يمثل موقع الجزر موانئ وملاجئ للسفن التجارية المارة في عمق الخليج خاصة عند التزود بالمؤن الضرورية، وكذا في اللجوء والاحتماء من العواصف

(1) عبد المنعم عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص 299 .

البحرية التي قد تواجه هذه السفن أثناء رحلاتها البحرية إلى الشرق الأقصى والأدنى من العالم . كما أن هذه الجزر غنية بالمياه العذبة والواحات الزراعية الخضراء التي استخدمها في الماضي شيوخ القواسمة كمشتى لأسرهم وكمنطقة رعي لثرواتهم الحيوانية ، ولصيد الصقور البحرية ، ومن ثم فإنها مجال هائل لممارسة الأنشطة الاقتصادية والسكانية للقبائل العربية القاطنة فيها منذ أزمنة تاريخية بعيدة. كما أنها غنية بالثروة البحرية المحيطة بسواحلها ، وبالثروات المعدنية[1].

الأهمية الجيوبولتيكية والعسكرية للجزر الإماراتية:

يرجع تعقد البعد السياسي لهذا الخلاف إلى أنه نشأ بين دولتين مسلمتين وبين قوتين غير متكافئتين في القدرات العسكرية، وتتحكمان بممر مائي وملاحي تمر من خلاله نصف الاحتياطات العالمية من النفط، الأمر الذي سيؤدي في حالة نشوب أي نزاع مسلح إلى تدخل أطراف خارجية عدة، لأسباب سياسية أو اقتصادية أو إقليمية، وسينتج عن ذلك إهدار لإمكانيات المنطقة البشرية والمادية والحد من نموها وازدهارها وتقدمها.

فمنذ احتلال إيران للجزر الثلاث ، لجأت إلى توطين أعداد كبيرة من المواطنين الإيرانيين وخاصة فئة العسكريين منهم ، لتغيير المعالم الديموغرافية لهذه الجزر ، وفرض سياسة الأمر الواقع ، إمعانًا في تكريس احتلالها.

وقد أوضح الشاه "محمد رضا بهلوي" مخطط بلاده السياسي والعسكري تجاه المنطقة في خطاب له في طهران في نوفمبر 1972م (بعد احتلاله الجزر الثلاثة) جاء فيه : " إن الخطوط الدفاعية للبحرية الإيرانية تتجاوز نطاق الخليج الفارسي[2] وخليج عدن ، وتمتد إلى المحيط الهندي ، وإن القوات البحرية الإيرانية، يجب أن تزداد عدة مرات خلال السنوات القادمة لتحقيق إستراتيجية بعيدة المدى" .

(1) http://www.Mokatel/data/Behoth siasia., op.cit., PP. 3-4.
(2) المقصود به الخليج العربي .

منذ احتلال إيران للجزر الثلاثة يومي 29 ، 30 نوفمبر 1971م بادرت بإنشاء عدة استحكامات وتجهيزات عسكرية وتمركز عناصر ووسائل عسكرية متنوعة في هذه الجزر ، تحاول طهران بناء القوة العسكرية الإيرانية الحديثة من خلال[1] .

1- حصولها على ثلاث غواصات روسية الصنع .
2- عقد صفقات تسليح تفوق حاجتها الدفاعية.
3- القيام سنويًا بما يقرب من 40 مناورة بحرية عسكرية في مدخل الخليج وبحر خليج عُمان
4- محاولاتها الجادة في مضمار إنتاج الأسلحة فوق التقليدية، حيث تملك إيران مفاعلين نوويين.

ونظرًا لصعوبة متابعة التجهيزات و الاستحكامات العسكرية في الجزر، وتمركز وسائل وعناصر القوات العسكرية بها، يمكن أن تتحول هذه الجزر الثلاث تدريجيًا إلي قواعد بحرية إيرانية، تؤثر سلبًا على أمن وسلامة تدفق حركة الناقلات والقوافل البحرية من وإلى مضيق هرمز.

تقييم الوضع الجيوبولتيكي للجزر الإماراتية:

بعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي كان لها دور كبير في التآمر على الجزر العربية، حيث أرسلت إلى المنطقة، الممثل الشخصي لوزير خارجيتها، "السير "وليم والس" بحجة تحري نتائج انسحاب بريطانيا والوصول إلى أنجح سبل الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة. وقد عرض "وليم والس" على رأس الخيمة مبلغًا مقداره 18 مليون جنيه استرليني يدفع على أقساط لمدة تسع سنوات كمساعدات للإمارة وثمنًا لاستئجار جزيرة طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة

(1) Ibid., PP. 4 – 5.

لإمارة رأس الخيمة. كما تقدم بمشروع إلى إمارة الشارقة حول جزيرة أبو موسى تضمن نقطتين أساسيتين هما[1]:

أ- اقتسام الجزيرة بين إيران والشارقة لقاء مبلغ من المال يتفق عليه فيما بعد على ألاّ تدعي الشارقة السيادة على الجزيرة، كما لا تدعي إيران السيادة عليها لمدة سنتين بعدها يتقرر مصيرها .

ب- تأجير جزيرة أبو موسى لحكومة إيران لمدة 99 سنة قابلة للزيادة لقاء مبلغ من المال يتفق عليه على أن يبقى علم الشارقة مرفوعًا فوق المخفر الوحيد بالجزيرة ويحق لحكومة إيران إقامة قواعد في المناطق التي تختارها.

غير أن الجماهير العربية رفضت المقترحات وهللت إيران لذلك ، حيث رفض كذلك حاكم رأس الخيمة التنازل عن حق العرب في جزيرتي طنب الكبري وطنب الصغرى.

وفي هذه الأثناء زعمت إيران أن هذه الجزر تابعة لها وأن بريطانيا قد احتلتها قبل 80 سنة وأعطتها للعرب . إلاّ أن المعاهدات المعقودة بين أهل هذه الجزر العرب وبريطانيا تشير إلى أنها جزء من الأراضي العربية منذ أكثر من مائة عام ، وأخيرًا لجأت إيران إلى القوة والغزو ووجدت من بريطانيا وأمريكا التشجيع لاحتلالها فأنزلت قواتها ، واحتلت جزيرة أبو موسى، كما احتلت جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى ، وهنا تبرز كذلك علاقة المصالح للدول الكبرى، وكذلك تأثير العلاقات الدولية في مصير الدول .

وفي رد فعلها على احتلال الجزر الإماراتية أصدرت إمارة رأس الخيمة بيانًا أعلنت فيه نزول قوات إيرانية إلى جزيرتي طنب الكبرى والصغرى . كما أعلنت

(1) عبد المنعم عبد الوهاب ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 301 – 203 .

بأنها قدمت احتجاجًا شديد اللهجة إلى الحكومة البريطانية التي مازالت وفقًا للمعاهدات القائمة مسؤولة عن حماية الجزيرتين. كما أن وفد رأس الخيمة الذي أرسله حاكم رأس الخيمة إلى أبو ظبي لمقابلة رئيس الاتحاد الجديد الشيخ زايد قد أوضح شروط الإمارة للانضمام لدولة الاتحاد الجديد وهي:

1- أن يتبنى الاتحاد مشكلة "الجزر" وإعادتها بالطرق الودية وغير الودية .

2- عدم إقامة أي علاقات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية بين دول الاتحاد وإيران.

3- أن يتم ترحيل الإيرانيين الذين مر على وجودهم في إمارات الاتحاد 5 سنوات ولم يحصلوا على جنسية إحدى إماراتها.

ولكن بعد توسط الجامعة العربية تم إقناع حاكم رأس الخيمة أن يبدأ أولاً بالانضمام للاتحاد فقيام الدولة الجديدة وانضمام رأس الخيمة لها أهم من أي شيء. أما مسألة الجزر فالكل متفق على وجهة النظر هذه ولكن كيفية التنفيذ يمكن أن يتفق عليها . وعلى المستوى الشعبي قامت مظاهرة عنيفة في رأس الخيمة بعد الاحتلال بيوم ، وقامت أيضًا مظاهرات في أبو ظبي ودبي ، ولكنها كانت سلمية حيث خرج بضع مئات من المتظاهرين يحملون لافتات معادية لبريطانيا وإيران[1].

أما بخصوص جزيرة أبو موسى وهي أكبر الجزر فقد وصل إليها الجنود الإيرانيون ورفعوا عليها علم الإمبراطورية الشاهنشاهية ، في حين أن الاتفاق بين "السير وليم والس" المبعوث الشخصي لوزير الخارجية البريطانية ، والذي أذيع على لسان الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة قبل الاحتلال بيوم ، هذا الاتفاق نص على أن تبقى السيادة على الجزيرة للشارقة وحدها ويرفع علمها مع

(1) المرجع السابق، ص 210 .

السماح لإيران بإقامة قاعدة عسكرية تحمي المضيق الذي يعتبر الممر الوحيد للنفط الإيراني إلى العالم . وكانت حجة الإيرانيين أن السيادة للقوة العسكرية ولا يمكن لقوة إيرانية أن تقيم في مكان ما تحت علم أجنبي ، وأن رفع العلم الإيراني لا يعني انتقاص سيادة الشارقة ولا نقض الاتفاق معها ، بل الالتزام بمبدأ واضح هو أن الجندي الإيراني يظلله العلم الإيراني فقط، أما بقية أجزاء الجزيرة فتظلل بعلم الشارقة!!

أما حاكم الشارقة فقد عقد مؤتمرًا صحفيًّا لجميع الصحفيين الذين جاءوا لتغطية الحدث أعلن فيه أنه مقتنع تمامًا بتسليم نصف الجزيرة (أي أبو موسى) بدل من أن تذهب كلها لإيران، ولقد أطلق رجل مسلح النار على الشيخ صقر بن محمد نائب حاكم إمارة الشارقة وذلك ليلة الثاني من ديسمبر ، وقد نقل الشيخ صقر إلى مستشفى المكتوم في دبي ، حيث ذكر أن حالته الصحية ليست خطرة ، وكان الشيخ صقر قد زار جزيرة أبو موسى للترحيب بالقوات الإيرانية التي نزلت في الجزيرة بموجب الاتفاق الذي عقده شقيقه حاكم الشارقة مع شاه إيران بواسطة السير" وليم والس" .

وقد أدلى الشيخ خالد القاسمي حاكم الشارقة بحديث أكد فيه قائلًا: "أنني لم أبع الجزيرة، كما أنني لم أتنازل عن نصف هذه الجزيرة لإيران... اختتم الشيخ كلامه بقوله " أنني أعتبر جزيرة أبو موسى جزيرة عربية وأرى ألاَّ شيء يستطيع أن يغير من هذه السيادة وأن حكومة الشارقة لا تزال تحكم الجزيرة... وتملك إيران قاعدة عسكرية بها " وفي إمارة الشارقة قامت مظاهرات في الشوارع وكان المتظاهرون يطلقون هتافات معادية لإيران[1].

(1) المرجع السابق، ص 311 .

وقد عرضت دولة الإمارات العربية المتحدة النزاع بينها وبين إيران على أحقيتها بملكية الجزر الثلاث على جامعة الدول العربية والتي أصدرت العديد من القرارات بأحقية دولة الإمارات بملكيتها لجزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى . كما ساند مجلس التعاون لدول الخليج العربية حق الإمارات في أحقيتها للجزر الثلاث ، فيما رفضت إيران جميع المساعي الدولية حتى مساعي الأمم المتحدة التي قامت الإمارات برفع أمر الجزر إليها وتعتبرها جزر إيرانية في تحدٍّ سافر للمجتمع الدولي والشرعية .

التغيرات التي أدخلها الاحتلال الإيراني على الجزر الإماراتية:

ما أن احتلت القوات الإيرانية طنب الكبرى، بادرت إلى تمركز عناصر من المدفعية بعيدة المدى ومدفعية مضادة للسفن البحرية ومدفعية مضادة للطائرات، وأقامت عدة استحكامات عسكرية في عدد من التلال الجبلية التي تشرف على الخليج وكذلك على أراضي الجزيرة وسهولها.

وحولت مركز الشرطة بالجزيرة إلى محطة كهرباء ، وحولت مبنى المدرسة القاسمية الجديدة إلى مستودع للأسلحة والمؤن ، وأقامت على أحد الأبنية المشرفة على ساحل الخليج مركزًا للإرسال اللاسلكي ، واتخذت من الدار المجاورة لها مركزًا للقيادة . كما أنشأت بعد ذلك مطارًا عسكريًّا لطائراتها النفاثة (المقاتلة) والطائرات العمودية .

وشجعت الحكومة الإيرانية النساء الإيرانيات على الاستقرار في الجزيرة (حوالي 150 امرأة) فخصصت لكل منهن مكافأة شهرية قدرها 700 تومانا كحافز للإقامة في الجزيرة، وبذلك تم إحلال السكان الجدد محل أهالي طنب الكبرى العرب المهجرين .

لإمارة رأس الخيمة. كما تقدم بمشروع إلى إمارة الشارقة حول جزيرة أبو موسى تضمن نقطتين أساسيتين هما[1]:

أ- اقتسام الجزيرة بين إيران والشارقة لقاء مبلغ من المال يتفق عليه فيما بعد على ألاّ تدعي الشارقة السيادة على الجزيرة، كما لا تدعي إيران السيادة عليها لمدة سنتين بعدها يتقرر مصيرها .

ب- تأجير جزيرة أبو موسى لحكومة إيران لمدة 99 سنة قابلة للزيادة لقاء مبلغ من المال يتفق عليه على أن يبقى علم الشارقة مرفوعًا فوق المخفر الوحيد بالجزيرة ويحق لحكومة إيران إقامة قواعد في المناطق التي تختارها.

غير أن الجماهير العربية رفضت المقترحات وهللت إيران لذلك ، حيث رفض كذلك حاكم رأس الخيمة التنازل عن حق العرب في جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى.

وفي هذه الأثناء زعمت إيران أن هذه الجزر تابعة لها وأن بريطانيا قد احتلتها قبل 80 سنة وأعطتها للعرب . إلاّ أن المعاهدات المعقودة بين أهل هذه الجزر العرب وبريطانيا تشير إلى أنها جزء من الأراضي العربية منذ أكثر من مائة عام ، وأخيرًا لجأت إيران إلى القوة والغزو ووجدت من بريطانيا وأمريكا التشجيع لاحتلالها فأنزلت قواتها ، واحتلت جزيرة أبو موسى، كما احتلت جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى ، وهنا تبرز كذلك علاقة المصالح للدول الكبرى، وكذلك تأثير العلاقات الدولية في مصير الدول .

وفي رد فعلها على احتلال الجزر الإماراتية أصدرت إمارة رأس الخيمة بيانًا أعلنت فيه نزول قوات إيرانية إلى جزيرتي طنب الكبرى والصغرى . كما أعلنت

(1) عبد المنعم عبد الوهاب ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 301 – 203 .

بأنها قدمت احتجاجًا شديد اللهجة إلى الحكومة البريطانية التي مازالت وفقًا للمعاهدات القائمة مسؤولة عن حماية الجزيرتين. كما أن وفد رأس الخيمة الذي أرسله حاكم رأس الخيمة إلى أبو ظبي لمقابلة رئيس الاتحاد الجديد الشيخ زايد قد أوضح شروط الإمارة للانضمام لدولة الاتحاد الجديد وهي:

1- أن يتبنى الاتحاد مشكلة "الجزر" وإعادتها بالطرق الودية وغير الودية .

2- عدم إقامة أي علاقات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية بين دول الاتحاد وإيران.

3- أن يتم ترحيل الإيرانيين الذين مر على وجودهم في إمارات الاتحاد 5 سنوات ولم يحصلوا على جنسية إحدى إماراتها.

ولكن بعد توسط الجامعة العربية تم إقناع حاكم رأس الخيمة أن يبدأ أولاً بالانضمام للاتحاد فقيام الدولة الجديدة وانضمام رأس الخيمة لها أهم من أي شيء. أما مسألة الجزر فالكل متفق على وجهة النظر هذه ولكن كيفية التنفيذ يمكن أن يتفق عليها . وعلى المستوى الشعبي قامت مظاهرة عنيفة في رأس الخيمة بعد الاحتلال بيوم ، وقامت أيضًا مظاهرات في أبو ظبي ودبي ، ولكنها كانت سلمية حيث خرج بضع مئات من المتظاهرين يحملون لافتات معادية لبريطانيا وإيران[1].

أما بخصوص جزيرة أبو موسى وهي أكبر الجزر فقد وصل إليها الجنود الإيرانيون ورفعوا عليها علم الإمبراطورية الشاهنشاهية ، في حين أن الاتفاق بين "السير وليم والس" المبعوث الشخصي لوزير الخارجية البريطانية ، والذي أذيع على لسان الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة قبل الاحتلال بيوم ، هذا الاتفاق نصّ على أن تبقى السيادة على الجزيرة للشارقة وحدها ويرفع علمها مع

(1) المرجع السابق، ص 210 .

السماح لإيران بإقامة قاعدة عسكرية تحمي المضيق الذي يعتبر الممر الوحيد للنفط الإيراني إلى العالم . وكانت حجة الإيرانيين أن السيادة للقوة العسكرية ولا يمكن لقوة إيرانية أن تقيم في مكان ما تحت علم أجنبي ، وأن رفع العلم الإيراني لا يعني انتقاص سيادة الشارقة ولا نقض الاتفاق معها ، بل الالتزام بمبدأ واضح هو أن الجندي الإيراني يظلله العلم الإيراني فقط، أما بقية أجزاء الجزيرة فتظلل بعلم الشارقة!!

أما حاكم الشارقة فقد عقد مؤتمرًا صحفيًا لجميع الصحفيين الذين جاءوا لتغطية الحدث أعلن فيه أنه مقتنع تمامًا بتسليم نصف الجزيرة (أي أبو موسى) بدل من أن تذهب كلها لإيران، ولقد أطلق رجل مسلح النار على الشيخ صقر بن محمد نائب حاكم إمارة الشارقة وذلك ليلة الثاني من ديسمبر ، وقد نقل الشيخ صقر إلى مستشفى المكتوم في دبي ، حيث ذكر أن حالته الصحية ليست خطرة ، وكان الشيخ صقر قد زار جزيرة أبو موسى للترحيب بالقوات الإيرانية التي نزلت في الجزيرة بموجب الاتفاق الذي عقده شقيقه حاكم الشارقة مع شاه إيران بواسطة السير" وليم والس" .

وقد أدلى الشيخ خالد القاسمي حاكم الشارقة بحديث أكد فيه قائلًا: "أنني لم أبع الجزيرة، كما أنني لم أتنازل عن نصف هذه الجزيرة لإيران... اختتم الشيخ كلامه بقوله " أنني أعتبر جزيرة أبو موسى جزيرة عربية وأرى ألاّ شيء يستطيع أن يغير من هذه السيادة وأن حكومة الشارقة لا تزال تحكم الجزيرة... وتملك إيران قاعدة عسكرية بها " وفي إمارة الشارقة قامت مظاهرات في الشوارع وكان المتظاهرون يطلقون هتافات معادية لإيران[1].

(1) المرجع السابق، ص 311 .

وقد عرضت دولة الإمارات العربية المتحدة النزاع بينها وبين إيران على أحقيتها بملكية الجزر الثلاث على جامعة الدول العربية والتي أصدرت العديد من القرارات بأحقية دولة الإمارات بملكيتها لجزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى . كما ساند مجلس التعاون لدول الخليج العربية حق الإمارات في أحقيتها للجزر الثلاث ، فيما رفضت إيران جميع المساعي الدولية حتى مساعي الأمم المتحدة التي قامت الإمارات برفع أمر الجزر إليها وتعتبرها جزر إيرانية في تحدٍّ سافر للمجتمع الدولي والشرعية .

التغيرات التي أدخلها الاحتلال الإيراني على الجزر الإماراتية:

ما أن احتلت القوات الإيرانية طنب الكبرى، بادرت إلى تمركز عناصر من المدفعية بعيدة المدى ومدفعية مضادة للسفن البحرية ومدفعية مضادة للطائرات، وأقامت عدة استحكامات عسكرية في عدد من التلال الجبلية التي تشرف على الخليج وكذلك على أراضي الجزيرة وسهولها.

وحولت مركز الشرطة بالجزيرة إلى محطة كهرباء ، وحولت مبنى المدرسة القاسمية الجديدة إلى مستودع للأسلحة والمؤن ، وأقامت على أحد الأبنية المشرفة على ساحل الخليج مركزًا للإرسال اللاسلكي ، واتخذت من الدار المجاورة لها مركزًا للقيادة . كما أنشأت بعد ذلك مطارًا عسكريًا لطائراتها النفاثة (المقاتلة) والطائرات العمودية .

وشجعت الحكومة الإيرانية النساء الإيرانيات على الاستقرار في الجزيرة (حوالي 150 امرأة) فخصصت لكل منهن مكافأة شهرية قدرها 700 تومانا كحافز للإقامة في الجزيرة، وبذلك تم إحلال السكان الجدد محل أهالي طنب الكبرى العرب المهجرين .

أما عن جزيرة أبو موسى فقد شهدت هي الأخرى تغييرات كثيرة في جانبها الشرقي ، حيث تحولت إلى قاعدة عسكرية متطورة ، أقامت فيها إيران موانيء (أرصفة) للسفن الحربية وزوارق الطوربيد البحرية السريعة ، وأنشأت مطارًا عسكريًا متطورًا امتد مدرجه [1] عدة كيلو مترات فوق أرض الجزيرة ، في القسم التابع لدولة الإمارات بدعوى أن حربها القائمة مع العراق استدعت اتخاذ مثل هذا الإجراء . ويضاف إلى ذلك ، إنشائها ميناء لاستقبال المراكب والسفن القادمة إلى الجزيرة ، حيث أخذ سكان الجزيرة يستخدمونه في قدومهم ورحيلهم مما أتاح لسلطات الميناء الإيرانية فرصة الرقابة والتحكم على القادمين إلى الجزيرة والمغادرين لها.

فرضت السلطات الإيرانية فيما بعد إجراءات رسمية متشددة على القادمين إلى الجزيرة ووضعت القيود على دخول أبناء الجنسيات الأخرى إلى الجزيرة وأقدمت إيران بعد ذلك على انتهاك آخر لسيادة دولة الإمارات بتسييرها خطًا جويًا يربط بين مدينة بندر عباس الإيرانية وجزيرة أبو موسى، تشجيعًا للمواطنين الإيرانيين على الاستيطان في الجزيرة التي لم يكن يسكنها من قبل أي مواطن إيراني!

عززت إيران قاعدتها العسكرية في جزيرة أبو موسى بعد أن منحت نفسها مسؤولية الأمن في الجزيرة، وزادت أعداد العسكريين الإيرانيين من 120 إلى 500 جندي، وأقامت قواعد صواريخ سلك وورم [2].

(1) المدرج هو الممر الجوي الذي تهبط وتقلع منه الطائرات .

(2) http://www.Mokatel/data/Behoth/siasia-askir4/eran_emarat

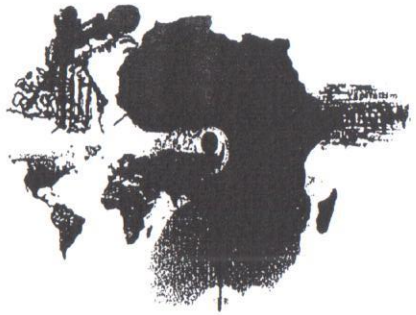

الفصل التاسع

خطط إعادة رسم الشرق الأوسط

رؤية جيوبوليتكية أمريكية

خطط إعادة رسم الشرق الأوسط
رؤية جيوبوليتكية أمريكية

أولاً : مفهوم الشرق الأوسط :

أصبح مصطلح الشرق الأوسط Middle East من الكلمات المتداولة التي تتردد في الكتابات والأحاديث التي تتناول المنطقة التي يمثل الوطن العربي قلبها، وهذا المصطلح الذي هو في مضمونه من المصطلحات الدخيلة قد فرض نفسه – بعد أن فرضته القوى الغربية الاستعمارية الكبرى – وحتى عندما يتناول بعض الكتاب القوميين قضايا الصراع العربي الإسرائيلي، فإن تسرب مصطلح "الشرق الأوسط" إلى كتابتهم أصبح أمرًا عاديًا وروتينيًا، خاصة إذا ما تناولوا الأبعاد الإقليمية والدولية للصراع، ومن ناحية أخرى، فإن محاولات فرض "نظام شرق أوسطي" أو سوق مشتركة للمنطقة" حتى بالنسبة للرافضين لهذا الطرح، يدفعهم التعامل مع المصطلح لمناقشة أو دحض الفكرة التي هو عنوانها وشعارها[1].

ويرتبط أصل المصطلح والسياق الزمني لتداوله بأحداث تاريخية ثلاثة كبرى:

- ظهور المسألة الشرقية في القرن التاسع عشر .
- تطور الظاهرة الاستعمارية في أواخر القرن 19، ومطلع القرن العشرين .
- قيام دولة إسرائيل عام 1948 .

(1) علاء عبد الوهاب: الشرق الأوسط الجديد، سيناريو الهيمنة الإسرائيلية، سينا للنشر، القاهرة 1995، ص 51 .

وإن يكن تمييز "الشرق" إلى شرقين أقصى وأدنى، قد فرض في سياق التوسع الكوني للحركة الاستعمارية، والقسمة الإمبريالية للعالم الشرقي القديم.

ويقصد " بالشرق الأدنى" Near East بأنه منطقة إقليمية لها مواصفاتها الجغرافية المحددة، والمميزة بموقعها غربي الأناضول، وتتألف جغرافيًا من : غربي تركيا، بلغاريا، مولدوفا، مقدونيا، رومانيا، البوسنة و الهرسك، اليونان، ألبانيا، والمجر[1].

أما " الشرق الأقصى" Far East فهو منطقة إقليمية واسعة، تتمتع جغرافيا بامتداداتها الكبرى المحيطية ؛ إذ تطل على المحيطين الهندي والهادي، وتؤلفها مجموعة أقاليم واسعة تجتمع فيها شعوب عدة، وهي تقع في شرق وجنوب شرق آسيا وتتألف جغرافيا من: الهند، منغوليا، الصين، اليابان، كوريا، فيتنام، لاوس، كمبوديا، تايلاند، ميانمار (بورما)، ماليزيا، إندونيسيا، الفلبين، بالإضافة إلى شرق سيبيريا.

وتأتي تسمية الشرق الأقصى تلك التسمية التي أطلقتها الدول الغربية الاستعمارية ضمن تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ، وتسميتها بشكل نسبي بالنسبة للغرب الذي هو المركز[2].

وأصبح مصطلح "الشرق الأوسط" يلبي حاجة جيوبولتيكية منذ أن أفلحت الصهيونية في فرض "وعد بلفور" على الأرض، فقد أدى قيام إسرائيل في المنطقة – من منظور الجغرافيا السياسية إلى قطيعتين: الأولى مع مفهوم "الشرق" الذي كان المسمى الأثير للمنطقة في الحقبة الاستعمارية، والقطيعة الثانية مع مفهوم "العالم العربي"، الذي

(1) يرى البعض أن الشرق الأدنى يشتمل على البلدان الواقعة ما بين غربي البحر المتوسط، وشرق الخليج العربي، والبلدان الواقعة على حدود تركيا وإيران. وهكذا يتطابق هذا التحديد مع ما سمى بدول "الهلال الخصيب" والتي تشمل الدول التالية: سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن، و العراق.

(2) الموسوعة السياسية، الجزء الثالث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990، ص 454.

فرض نفسه في الحقبة الاستقلالية، ومع أن المدى الجغرافي لمصطلح "الشرق الأوسط" يتخطى بكثير المنطقة الإقليمية للصراع العربي الإسرائيلي، فقد جرى – حصر تعميد الأزمة المفتوحة التي دشنها قيام إسرائيل باسم " أزمة الشرق الأوسط"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن أول من استخدم مصطلح "الشرق الأوسط" هو المؤرخ الاستراتيجي البحري الأمريكي "الفرد ماهان" صاحب نظرية القوى البحرية في التاريخ عام 1902م، وذلك لتحديد المنطقة الواقعة بين شبه الجزيرة العربية، والهند، عند مناقشته لإستراتيجية بريطانيا البحرية في مواجهة التحرك الروسي في إيران، ومخطط ألمانيا في وضع خط للسكك الحديدية- وقتذاك – يربط بين برلين وبغداد، حيث عبر ماهان عن مفهوم الشرق الأوسط بأنه يشمل كلا من تركيا وإيران و دول الخليج العربي، ثم عمد رئيس الوزراء الإنجليزي " ونستون تشرشل" في ثلاثينيات القرن الماضي إلى إنشاء ما سماه بإدارة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات الإنجليزية[2].

ويرى البعض أن مصطلح الشرق الأوسط" هو تعبير جغرافي أطلق بالفعل على مساحات مختلفة من العالم، فقبل الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) كان الشرق الأوسط يشمل الهند وبورما، وكان اسم الشرق الأدنى، يطلق على بلاد الإمبراطورية العثمانية بما في ذلك بلاد الجامعة العربية الحالية في آسيا[3].

وأيام الحرب العالمية الثانية تأكد استخدام مصطلح "الشرق الأوسط" فقد استخدمته بريطانيا رسميًا عند الإشارة إلى الدول الممتدة من ليبيا غربًا، إلى إيران شرقًا، ومن اليونان شمالاً إلى الحبشة (أثيوبيا) جنوبًا، وأنشأت بريطانيا مع حلفائها "مركز إمدادات الشرق الأوسط" ليشرف على العمليات العسكرية التي تقوم بها

(1) علاء عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص 52.

(2) جاسم محمد حسن: قراءة في الجانب السياسي من مشروع الشرق الأوسط، مقال، منشور على شبكة الانترنت في الموقع التالي: http://www.newwafuq.com/index.php

(3) لبيب سعد الفيشاوي: الوطن العربي جغرافيا واجتماعيا، مكتبة الشرق، القاهرة 1965، ص 9.

قوات الحلفاء في جنوب شرق أوروبا، وجنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، وكان الشرق الأوسط بهذا المعني – ذو الصبغة الاستراتيجية يضم 21 وحدة سياسية.

وفي سبتمبر 1941 م دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء، فالتزمت ذات التسمية، وهكذا بدأ مصطلح "الشرق الأوسط" يحل –تدريجيا– محل مصطلح الشرق الأدنى" – دون تراجع – وساعدت وسائل الإعلام على نشر هذا المصطلح خلال الحرب، وبعدها، عند الإشارة – على نحو غير دقيق – إلى الدول التي كانت تشملها الأحداث والعمليات العسكرية في تلك المنطقة، حتى أصبح مألوفًا على المستوى الجماهيري، رغم معارضات هيئات علمية جغرافية أمريكية وبريطانية لهذا الاتجاه.

وقد يكون مرد هذه المعارضة من جانب هيئات علمية ذات وزن، رغم عدم الاكتراث برأيها من جانب صناع القرار، ووسائل الإعلام، إلى أن مصطلح "الشرق الأوسط" لا يشير – في الواقع – إلى وحدة جغرافية قائمة بذاتها تتسم بالتجانس، ولكنه مجرد مفهوم مصطنع، مفروض من خارج المنطقة، من جانب القوى العظمى التي فرضت مصالحها – خلال الحرب العالمية الثانية، وقبلها أحيانًا – رسم سياسة مشتركة تعالج من خلالها مشاكل البلدان الآتية: تركيا، اليونان، قبرص، سوريا، لبنان، العراق، عمان، البحرين، قطر، محمية عدن، إمارات الخليج، ثم دفعت الأحداث بتونس والجزائر والمغرب، إلى ذات الدائرة التي انضمت إليها – أيضًا – أفغانستان وباكستان لاعتبارات ثقافية ودينية، فضلاً عن العامل الجيوسياسي[1].

وكان الغربيون – كما يقول "بيتر مانسفليد" – قد اعتادوا حتى العشرينيات من هذا القرن التمييز بين منطقتين جغرافيتين واستراتيجيتين بالشرق الواقع بجوار أوروبا هما: الشرق الأدنى، والشرق الأوسط. أما الشرق الأدنى فكان يشمل من

(1) علاء عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص 55.

وجهة نظرهم بلاد اليونان، بلغاريا، تركيا، سواحل البحر المتوسط، ومصر. وأما الشرق الأوسط فكان يشمل: الجزيرة العربية، والعراق، الخليج العربي، إيران وأفغانستان، ثم مع الدخول الأمريكي للمنطقة، واعتبارها منطقة استراتيجية واحدة صاروا يطلقون عليها اسم منطقة الشرق الأوسط مستبعدين منها اليونان وبلغاريا بالغرب، وأفغانستان بالشرق ومضيفين إليها السودان – وليبيا، وبلدان أفريقيا العربية الأخرى. لكن هذا التقسيم في التسمية، والذي يبدو اعتيادًا اصطلاحًا جغرافيًا ذا معنى استراتيجي كبير، إذا نُظر إليه في الظروف التي ظهر فيها، وما تطور إليه حتى اليوم. فالملاحظ أنه يتجنب إطلاق اسم ذي طابع حضاري أو ثقافي أو تاريخي على المنطقة، التي يقع العرب في نقطة القلب منها، بل يؤثر تسمية جغرافية الطابع يحددها القرب من أوروبا. وبرغم ما تنطوي عليه هذه التسمية من دلالات باعتبارها الغرب الأوروبي "قطب العالم" وما عدا ذلك مشارق: " الشرق الأدنى" والشرق الأقصى[1].

بينما تذكر "موسوعة السياسة اللبنانية " مفهوم الشرق الأوسط بأنه مصطلح عربي استعماري، كثر استخدامه إبان الحرب العالمية الثانية وهو يشمل منطقة جغرافية تضم: سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والخليج العربي[2] ومصر وتركيا وإيران، وتتوسع لتشمل أفغانستان وقبرص وليبيا أحيانًا. والمقصود من

(1) Mansfield, p., (ed), the Middle East, Apolitical and Economic Survey, M.E., Yapp 1973, pp. 1-2.
نقلاً عن: رضوان السيد: دار الإسلام والنظام الدولي والأمة العربية، دراسة في الأصول السياسية للعالم الإسلامي المعاصر، مستقبل العالم الإسلامي، السنة الأولى، العدد 1، قال فالتا، ماطا، 1991، ص ص 59 – 60.

(2) تضم دول الخليج العربي كلاً من: المملكة العربية السعودية، الكويت، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، قطر، سلطنة عمان، واليمن.

إطلاق هذا المصطلح وإدخال دولة غير عربية عليه هو تجنب استخدام مصطلح مثل المنطقة العربية والوطن العربي لمحاربة مفهوم القومية العربية ونزع صفة الوحدة العربية منها. كما أن للمصطلح دلالة على مركزية أوروبا في العالم وهو شرق أوسط بالنسبة لموقعها الجغرافي. وليس للمصطلح ما يبرره في التاريخ، ولا في التركيب القومي والعرقي والحضاري والاجتماعي، والرابط الوحيد الذي يجمع هذه البقاع هو الموقع الجغرافي. وليس هناك حركة تنادي بوحدة الشرق الأوسط أو أي شيء من هذا القبيل، وبالتالي ليس له ما يبرره ومن الأفضل تجنب استخدامه[1].

أما دائرة معارف العالم الأمريكية تذكر أن " الشرق الأوسط" يشمل الدول التالية: البحرين، قبرص مصر، إيران ،العراق، إسرائيل[2] (فلسطين المحتلة) ، الأردن، الكويت، لبنان، وعمان، قطر، السعودية، السودان، سوريا، تركيا، الإمارات، واليمن[3] فإن التوجه الاستراتيجي الأمريكي- مؤخرًا- ينمو باتجاه التعامل مع "الشرق الأوسط" كقسمين : شرقي ويضم دول الخليج العربي، العراق، إيران، تركيا، جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة، وغربي يضم: إسرائيل، الدول العربية المعنية بعملية السلام أو ما اصطلح عليه الإشارة إليها بـ "دول الطوق"[4].

أما الأمم المتحدة فإنها وضعت قائمة تشمل الدول الأعضاء التي تكون الشرق الأوسط وكان ذلك بمناسبة الاقتراح الذي تقدم به مندوب لبنان بالمنظمة

(1) الموسوعة السياسية، الجزء الثالث، مرجع سبق ذكره، ص 456 .

(2) معظم الكتابات الغربية تذكر إسرائيل دائما ولا تتعرض إلى ذكر دولة فلسطين وهذه مغالطة كبيرة للتاريخ والمفروض نذكر فلسطين أو على الأقل فلسطين المحتلة.

(3) محمود وهبة: الاقتصاد الإسرائيلي والسوق الشرق أوسطية، الأهرام 10/ 10/ 1993 نقلا عن علاء عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص 56 .

(4) منال الشوربجي: الثابت والمتغير في السياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط وأزماتها، الحياة اللندنية 12 / 8/ 1993. نقلا عن علاء عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص 56 .

الدولية عام 1948، لإنشاء لجنة اقتصادية للشرق الأوسط. وانتهت اللجنة الخاصة التي شكلت لهذا الغرض، إلى وضع قائمة تضم: أفغانستان، إيران، سوريا، لبنان، تركيا، السعودية، اليمن، مصر، أثيوبيا واليونان.

ويؤكد البعض على أن كلمة "الشرق الأوسط متداولة كمصطلح جيوبولتيكي حركي للتعبير بدلاً عن العالم الإسلامي منذ أن ظهرت تلك التسمية في مطلع العشرين من قبل الدوائر الغربية الاستعمارية تجنبًا عن ذكر الاسم الحقيقي خشية استثارة المشاعر الدينية لدى المسلمين[1].

أما القاموس السياسي[2] فيتناول الشرق الأوسط والأقصى ويذكر أنهما اصطلاحان جغرافيان، حيث يطلق مصطلح "الشرق الأقصى" على الإقليم الذي يضم الدول الآسيوية والأفريقية المجاورة القريبة من أوروبا ويطل أكثرها على البحر المتوسط وتشمل: إيران والعراق ودول شبه الجزيرة العربية ، ثم تركيا وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر وليبيا، وجميع هذه الدول عربية أو إسلامية، وكان أكثرها إلى عهد قريب ضمن مناطق النفوذ البريطاني والفرنسي. وبعد استقلال الدول التي كانت تحت الانتداب أو الحماية أعلنت السياسة الغربية عن وجود "فراغ سياسي" في المنطقة لهذا نظمت علاقات الغرب بالمنطقة عدة معاهدات بدأت عام 1937 م بعقد ميثاق "سعد أباد"، وفي عام 1955م عقد "حلف بغداد"، الذي استبدل "بالحلف المركزي" في عام 1959م .

أما مصطلح الشرق الأقصى فيطلق على الأقاليم التي تقع في الشرق وفي الجنوب الشرقي لقارة آسيا وتشمل : اليابان والصين ومجموعة دول الهند الصينية والملايو وإندونيسيا والفلبين، ونظرًا لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة للولايات

(1) http://www.newufuq.com/index, .cit ., P. 1

(2) أحمد عطية الله، مرجع سبق ذكره، ص. 68 .

المتحدة خاصة، ينظم الغرب علاقاته بهذه المنطقة منذ عام 1954 م حلف جنوب شرقي آسيا.

ورغم كل هذه المحاولات (الاجتهادات) – بغض النظر عن دوافعها – فإن النطاق الدال على مصطلح "الشرق الأوسط" ما زال يتأرجح، يضيق ويتسع، وحتى اليوم فإن هناك من الباحثين من يأخذ بالمعنى الضيق للمصطلح، فيستبعد دولاً مثل أفغانستان، ليبيا، السودان مع أنها شرق أوسطية – على الأقل- من باب عدم قابليتها لأن توضع في إطار تصنيف آخر، ويحدد أحد الباحثين – على سبيل المثال- المدى الجغرافي "للشرق الأوسط" بجملة الدول العربية الآسيوية بما فيها فلسطين وإسرائيل، بالإضافة إلى مصر – الدولة العربية غير الآسيوية – وكل من تركيا وإيران- الدولتين الآسيويتين غير العربيتين – وإلى حد بعيد ، فإن الاتجاه القائم في هذه النظرة للشرق الأوسط، يقترب من هذه الرؤية، خاصة عند الحديث عن سوق شرق أوسطية مشتركة.

وحتى تتضح الصورة أكثر ينبغي أن نتعرض لبعض المحاولات التي تعرضت للتعريف بمفهوم "الشرق الأوسط"[1].

تعريف "بايندر" 1958م : قسم فيه الشرق الأوسط إلى ثلاثة أقسام: الأول يضم دول القلب: الأردن، إسرائيل، السعودية، السودان، سوريا، العراق، لبنان، مصر، ليبيا، ودولتان خارج القلب هما: إيران وتركيا، ودول الهامش: أفغانستان، تونس، والمغرب.

تعريف بريتشر" 1969م : التزم – أيضًا- بالتقسيم الثلاثي، ففي القلب تقع: الأردن – إسرائيل، سوريا، العراق، لبنان، مصر، وعلى الهامش: أثيوبيا، إيران،

(1) جميل مطر، علي الدين هلال: النظام الإقليمي العربي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة 1983، ص 28 نقلاً عن علاء عبد الوهاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 61 – 63.

تركيا، الجزائر، السعودية، قبرص، الكويت، أما دول الحلقة الخارجية فهي: تونس، السودان،الصومال، ليبيا، المغرب،اليمنى الجنوبي، اليمنى الشمالي[1].

تعريف "كانتوري - شيجل" 1970م : التزم تقسيمًا ثنائيًا فهناك دول القلب: الأردن، الإمارات، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، مصر، اليمن الجنوبي، اليمن الشمالي. وفي الهامش إسرائيل، إيران، وتركيا.

تعريف "تومسون" 1970م : وفيه تعامل مع المنطقة ككتلة واحدة تضم الأردن، تونس، الجزائر، السعودية، السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان،ليبيا، مصر، المغرب، اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي.

تعريف " بيرسون" 1971م : وقد ركز على دول القلب وهي: الأردن ، إسرائيل ، السعودية ، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، مصر، اليمن الشمالي، وهو مستمد من دراسته للمنطقة عامي 1963، 1964، ويلاحظ أن الدولة الوحيدة غير العربية المتضمنة في النظام هي إسرائيل.

تعريف " أفرون " 1973م : وقد التزم تقسيمًا ثلاثيًا، وإن اختلفت المسميات التي أطلقها على كل مجموعة، باستثناء دول القلب التي شملت: الأردن، إسرائيل، سوريا، العراق، لبنان، مصر، ثم دول منطقة البحر الأحمر: أثيوبيا، إسرائيل، السعودية، السودان، مصر، اليمن الشمالي، اليمن الجنوبي، ودول منطقة الخليج العربي: إيران، السعودية، العراق، الكويت.

تعريف" تومسون" 1976م : وكان أشمل من تعريفه السابق فقد شمل: الأردن، إسرائيل، أفغانستان، إيران، باكستان، تركيا، تونس، الجزائر، السعودية،

(1) لم تكن الوحدة قد تمت بين الشطرين، وكان اليمن مُنقسمًا إلى دولتين، وهو ما سوف يتكرر في تعريفات أخرى تالية.

السودان، سوريا، العراق، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي.

تعريف " هدسون" 1976م : وقد التزم تقسيمًا ثنائيًا لدول النظام، فالقلب يضم: إسرائيل ، إيران، تركيا، الجزائر، السعودية، سوريا، العراق، مصر، أما دول الهامش: الأردن، الإمارات، البحرين، تونس، السودان، عمان، قبرص، قطر، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، اليمن الجنوبي، اليمن الشمالي.

وكما يتضح، فإن الأغلب، الأعم من التعريفات تتفق على أن مصر، العراق، سوريا، لبنان، الأردن ، تمثل دائمًا قلب النظام، وإلى هنا ينتهي ما يشبه الإجماع، ويبدأ الخلاف حول وضع إسرائيل، ودول المغرب العربي، ودول الجوار الجغرافي: إيران، تركيا، أثيوبيا، فضلا عن باكستان وأفغانستان، ويعود مصدر هذا الاختلاف إلى غياب معيار موضوعي لتحديد نطاق النظام الإقليمي الشرق أوسطي، بل وإلى الانطلاق من مفهوم ليس له دلالة تاريخية أو حضارية، ولكنه تعبير يرتبط بمفهوم جغرافي متأرجح يخدم استراتيجيات ترتبط بتخطيط الدول الكبرى لمشاكل الأمن والدفاع في العالم[1].

ومع تحفظنا على استخدام مصطلح "الشرق الأوسط" فإن المؤلف يرى أنه يفضل استخدام مصطلح العالم العربي "أو العالم الإسلامي" ؛ لأن في استخدام هذين المصطلحين تتضح الهوية العربية والشخصية الإسلامية خاصة وأن معظم الدول المكونة للشرق الأوسط هي دول عربية يتحدث معظم سكانها باللغة العربية باستثناء أفغانستان، وإيران وتركيا كما أن غالبيتها يدين بالإسلام.

(1) المرجع السابق، ص 29 .

ثانيًا: التوزيع الجغرافي للوحدات السياسية في الشرق الأوسط:

على الرغم من اختلافات تحديد مصطلح الشرق الأوسط بين الكثير من الكتاب كما سبق وأن وضحنا، إلا أن هناك شبه اتفاق على أن مدلول "الشرق الأوسط" قد أصبح أكثر تحديدًا عن ذي قبل فصار يشمل بعض الدول العربية وبعض الدول المجاورة لها والتي تقع في قارتي آسيا وأفريقيا ، وهذا التحديد هو الشائع الآن وهو الذي تستمر عليه هيئة الأمم المتحدة في بحوثها وتقاريرها العلمية التي تصدرها.

ويوضح الجدول التالي التوزيع الجغرافي لدول الشرق الأوسط وأهم المؤشرات الخاصة بها وعلى رأسها السكان والمساحة.

جدول (6) :المؤشرات الأساسية للوحدات السياسية في الشرق الأوسط عام 2005(*)

الدولة	العاصمة	المساحة	الرتبة	عدد السكان	المرتبة
مصر	القاهرة	1.001.450	6	77.505.756	1
ليبيا	طرابلس	1.759.540	4	5.765.563	14
السودان	الخرطوم	2.505.810	1	40.187.486	4
تونس	تونس	163.610	14	10.074.951	12
الجزائر	الجزائر	2.381.740	2	32.531.853	6
المغرب	الرباط	446.550	10	32.725.847	5
فلسطين(*)	القدس	26.990	17	3.761.904	16
لبنان	بيروت	10.400	20	3.826.018	15
سوريا	دمشق	185.180	13	18.448.752	11

(*) يتحدث معظم الكتاب والباحثين الأجانب وحتى بعض العرب عن إسرائيل ولا يذكر دولة فلسطين ، وسوف نتناول هنا ذكر دولة فلسطين المحتلة مع الوضع في الاعتبار الواقع الفعلي وهو استيلاء إسرائيل على معظم الأراضي الفلسطينية ، باستثناء الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسوف نشير هنا إلى فلسطين ولكن فلسطين المحتلة من حيث المساحة ككل وعدد السكان الفلسطينيين فقط.

الدولة	العاصمة	المساحة	الرتبة	عدد السكان	المرتبة
العراق	بغداد	437.072	11	26.074.906	9
الأردن	عمان	92.300	15	5.759.732	13
إيران	طهران	1.648.000	5	68.017.860	3
أفغانستان	كابول	647.500	8	29.928.987	7
اليمن	صنعاء	527.970	9	20.727.063	10
السعودية	الرياض	2.150.000	3	26.417.599	8
الكويت	الكويت	17.820	18	2.335.684	19
قطر	الدوحة	11.437	19	863.015	20
الإمارات	أبو ظبي	82.880	16	2.563.212	18
البحرين	المنامة	665	22	688.345	22
سلطنة عمان	مسقط	212.460	12	3.001.583	17
تركيا	أنقرة	780.850	7	69.660.559	2
قبرص	نيقوسيا	9.250	21	780.133	21
الإجمالي	-	15.099.474	-	449.114.991	-

(*) تم إضافة دول آسيا الوسطى الإسلامية ضمن إقليم الشرق الأوسط الجديد مؤخرًا من قبل الولايات المتحدة ولم يدرجها المؤلف ضمن هذا الجدول وإنما تم إدراج دول الشرق الأوسط المتعارف عليها.

يتضح من الجدول السابق الحقائق الآتية:

1- يبلغ عدد الدول المكون للشرق الأوسط 22 دولة جميع هذه الدول تقع في قارتي أفريقيا وآسيا.

2- بلغت مساحة الشرق الأوسط أكثر من 15 مليون كم^2 يسكنها ما يقرب من 450 مليون نسمة وذلك عام 2005.

3- بلغ عدد الدول الشرق أوسطية الأفريقية 6 دول وهي: مصر، ليبيا، السودان، تونس، الجزائر، المغرب، وتبلغ مساحة هذه الدول 8.3 مليون كم^2 تقريبا (8.258.700 كم^2) وهي تمثل نحو 55 ٪ من مساحة إقليم

الشرق الأوسط ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من 200 مليون نسمة (198.791.456 نسمة) وهم يمثلون 45 ٪ من إجمالي سكان الإقليم. وهذا يؤكد على أهمية هذه الدول على الرغم من قلة عددها فإنها يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في النظام السياسي في إقليم الشرق الأوسط.

4- بلغ عدد الدول الشرق أوسطية الآسيوية 16 دولة وهي: لبنان، سوريا، العراق، الأردن، اليمن، السعودية، الكويت، قطر، الإمارات، البحرين، سلطنة عمان، فلسطين المحتلة، إيران، أفغانستان، تركيا، وقبرص.

وتبلغ مساحة هذه الدول 6.8 مليون كم^2 (6.840.774 كم^2) وهي تمثل نحو 45 ٪ من مساحة إقليم الشرق الأوسط، ويبلغ عدد سكانها أكثر من 250 مليون نسمة (250.323.535 نسمة) وهم يمثلون 55 ٪ من إجمالي سكان الإقليم.

ومن دراسة الخريطة السياسية للدول الشرق أوسطية الآسيوية نجد أنها صغيرة المساحة وقليلة في عدد سكانها ويستثنى من ذلك عدة دول وعلى رأسها إيران، السعودية، تركيا. وهذه الدول يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في النظام السياسي في إقليم الشرق الأوسط بحكم اتساع مساحتها وغناها بالموارد الاقتصادية وعلى رأسها البترول، وكثرة عدد سكانها.

5- يتضح من دراسة خريطة إقليم الشرق الأوسط أن أكبر الدول سكانا هي مصر ويتعدي عدد سكانها 77 مليون نسمة (77.505.756 نسمة) في حين أن أكبر الدول مساحة هي السودان وتزيد مساحتها عن 2.5 مليون كم^2 (2.505.810 كم^2) ولكن يختلف الوزن السياسي لكلا الدولتين، فمصر هي الدولة الرائدة في الشرق الأوسط وهي قلب الأمة العربية النابض، كما أنها تحاول أن تؤدي دورًا كبيرًا في حل المشكلات السياسية التي تعج بها منطقة الشرق الأوسط.

حيث تعاني الكثير من دول الشرق الأوسط من العديد من المشكلات السياسية بين بعضها وبعض وخاصة على الحدود السياسية والتي توضحها الخريطة رقم (50).

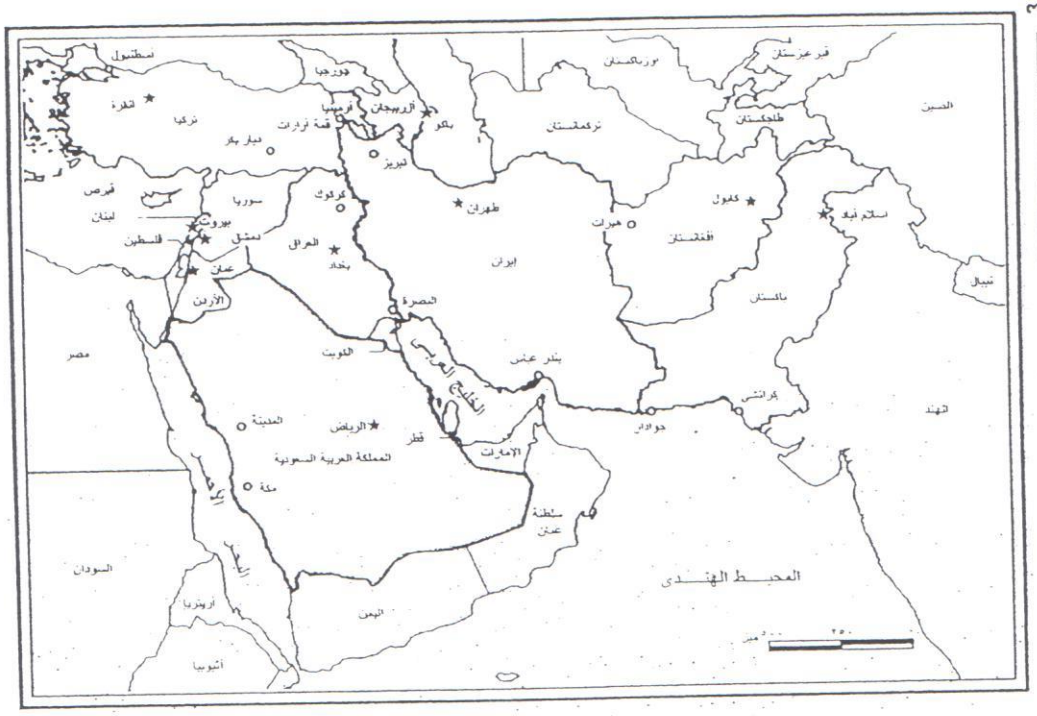

شكل (49) : الوحدات السياسية في إقليم الشرق الأوسط

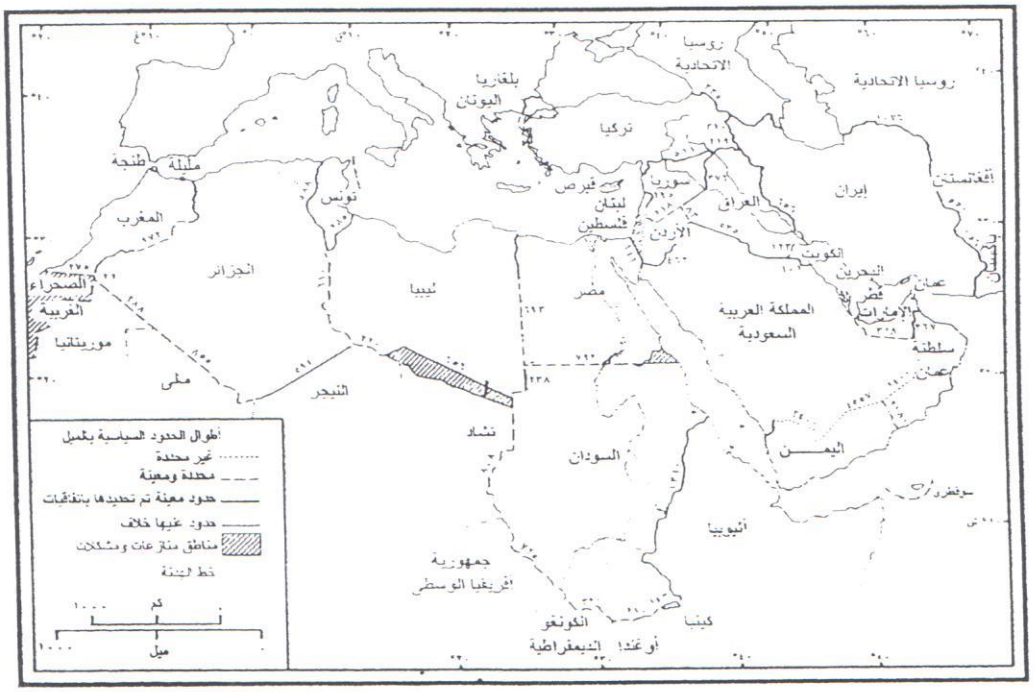

شكل (50) : المشكلات السياسية في منطقة الشرق الأوسط

After: Drysdale

6- يتضح من الجدول أيضا أن معظم دول الشرق الأوسط هي دول عربية باستثناء إيران، أفغانستان، تركيا، وقبرص. كما يتضح إن إحدى الدول العربية وهي فلسطين واقعة تحت الاحتلال. وتبلغ المساحة الإجمالية لفلسطين 26990 كم^2، ولكن هذه المساحة ليست تحت يد الفلسطينيين حيث يعيش الفلسطينيون على مساحة تقدر بنحو 6220 كم^2، في حين أن المساحة الباقية وهي 20.770 كم^2 تستولي عليها إسرائيل. كما بلغ عدد السكان في فلسطين المحتلة نحو أكثر من 10 مليون نسمة (10.038.787) عام 2005 م يتوزعون على النحو التالي: 6.276.883 نسمة يهود، بينما يشكل العرب الفلسطينيون 3.761.904 نسمة.

ثالثاً: الشرق الأوسط الكبير:

لسنوات طويلة مضت شغلت الولايات المتحدة الأمريكية بشئون الشرق الأوسط وفي قلبه عالمنا العربي، وسعت إلى دمجه في استراتيجياتها العليا لأسباب كثيرة منها المصالح الحيوية الأمريكية خاصة إسرائيل والنفط العربي، ومنها الاستفادة بالموقع الاستراتيجي للعالم العربي لإحكام سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي طيلة سنوات الحرب الباردة، وخلال تلك السنوات والعقود الطويلة صاغ الفكر الاستراتيجي الأمريكي الكثير من المشاريع السياسية الإستراتيجية التي تخص الشرق الأوسط. وتعبر عن الأهمية المتصاعدة له ضمن المصالح الأمريكية[1].

ويحضرني في هذا الصدد مقولة مرتبطة بالمصالح الأمريكية أولاً وقبل كل شيء وهي مقولة "جورج كانن" المخطط الاستراتيجي الأمريكي عام 1948م، بالحرف الواحد "نحن الأمريكيين نملك أكثر من 50 ٪ من ثروة العالم، بالرغم من أننا لا نشكل سوى 6 ٪ من سكانه، وفي هذه الحالة تتمثل مهمتنا الرئيسية في المستقبل أن

(1) محمد السعيد إدريس: تساقط المشاريع الأمريكية للشرق الأوسط، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، مقال منشور على شبكة الإنترنت بتاريخ 27 / 1 / 2007، ص 1.

نحافظ على هذا الوضع المختلف لصالحنا، وكي نفعل ذلك علينا أن نضرب بالعواطف والمشاعر عرض الحائط، علينا أن نتوقف عن التفكير بحقوق الإنسان ورفع مستويات المعيشة وتحقيق الديمقراطية في العالم[1].

هذه المشاريع الأمريكية بدأت بمشروع "ترومان" عام 1949م، الذي عرف في العالم العربي باسم النقطة الرابعة نسبة إلى المادة الرابعة منه، وتضمن إمكانية تقديم مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية إلى دول الشرق الأوسط الواقعة تحت النفوذ الغربي، ثم تبعه مشروع "القيادة الرباعية" للشرق الأوسط في عام 1951م وكان هدفه إقامة سلسلة من التحالفات السياسية والعسكرية مع دول المنطقة والتنسيق فيما بينهما، ثم مشروع "قيادة الشرق الأوسط العسكرية" عام 1953م، أو الحزام الشمالي للمنطقة التي تضم بعض الدول العربية وبعض دول الجوار في آسيا خاصة إيران (الشاه) وباكستان وتركيا، إضافة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وتمخض عن ذلك ما عرف باسم "حلف بغداد" وجاء "مشروع إيزنهاور" لملء الفراغ عام 1957م ليعبر عن واقع سياسي إقليمي – دولي جديد بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، وكان هدفه الواضح هو بسط النفوذ الأمريكي المباشر على المنطقة بعد تداعي الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وامتدت هذه المشاريع الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط "حلف وارسو" وتفكك الاتحاد السوفيتي، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية عظمى في نظام عالمي جديد أحادي القطبية، وجاءت المشاريع الجديدة لتعبر عن نزعة إمبراطورية أمريكية واضحة، وكان أشهر هذه المشاريع "مشروع الشرق الأوسط الكبير" الذي تطور فيما بعد، وبسبب ضغوط أوروبية، إلى مشروع الشرق الأوسط الموسع الذي كان عنوانه العملي الحرب على الإرهاب ابتداء من الحرب على أفغانستان، ثم غزو العراق واحتلاله[2].

(1) http://www.asharqa/arabi.org.UK/center/dirast .htm, P.1

(2) محمد السعيد إدريس، مرجع سبق ذكره، ص 1.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991م وانتهاء عالم الحرب الباردة بهيمنة الولايات المتحدة كقطب واحد على النظام الدولي، ونتيجة انحسار المد القومي العربي وانتشار ثقافة التسوية في الأوساط السياسية لمعظم النظم العربية وانطلاق مسارات العولمة عادت فكرة النظام الشرق أوسطي إلى الظهور في الخطاب السياسي الذي يؤسس لعملية التسوية حيث تشكل الفكرة وباستمرار المدخل لكل تأخذ إسرائيل موقعها عبر إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية سياسيًّا واقتصاديًّا ويمكن لهذا الدور أن يتبلور ويصبح محوريًّا كما يخطط له بصورة عدوانية بارزة في إطار العولمة الإمبريالية الراهنة بعد التحولات التي أصابت المشهد السياسي الدولي في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي.

ويمكن لنا أن نشير هنا إلى إبراز ثلاث وثائق سياسية تعيد التأكيد على الفكرة الشرق أوسطية بالتعارض مع مشروع الأمة العربية[1]:

1- اتفاقية كامب ديفيد التي اتخذت عنوانا لها وتضمنت نصًّا معبرًا هو "إن شعوب المنطقة تتشوق إلى السلام حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجًا للتعايش بين الأمم. إن التقدم في اتجاه هذه الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح في الشرق الأوسط.

2- معاهدة وادي عربة الأردنية – الإسرائيلية في 26 / 10 / 1994 م والتي دعت إلى بناء أمن إقليمي وإيجاد منطقة خالية من التحالفات العدائية في الشرق الأوسط "والمقصود هنا تحالفات الأمن القومي العربي"، كما دعت إلى تعاون اقتصادي إقليمي وتضمنت إلزام الطرفين إقامة مؤتمر الأمن والسلام في الشرق الأوسط على غرار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.

(1) أشواق عباس: قراءة في مشروع الشرق الأوسط الكبير، الحار المتمدن، العدد 1073، 1 / 9 / 2005 مقال منشور على شبكة الإنترنت في الموقع التالي http://www.rezger.com/m.asp?

3- تركيز "شيمون بيريز" في كتابه (الشرق الأوسط الجديد) على إيجاد شرق أوسط جديد من خلال التأسيس لسوق اقتصادية تشكل محور اختراق أمني للدول العربية.

وبإعلان الولايات المتحدة مشروع (الشرق الأوسط الكبير) الذي بادرت جريدة الحياة اللندنية إلى نشر صورة عنه، وقد اعتمد هذا المشروع الأمريكي في ظاهره على النتائج المفجعة التي يشير إليها تقرير (التنمية الإنسانية العربية) عامي 2002 م ، 2003 م ويتناولها بشيء من الصراحة كتاب ومحللون وسياسيون هي الحصيلة العملية للمشروع التحديثي الغربي الذي قام على ركائز ثلاث[1]:

أ- إقصاء الإسلام المنهج، والملتزمين به من أبنائه، عن مجالات القيادة والتأثير في الحياة العامة في العالم الإسلامي.

ب- التحالف مع الاستبداد بكل أشكاله (الأبوية والثورية)، لحماية المصالح الغربية (الأوروبية والأمريكية) على حساب الإنسان العربي (إرادته وحريته وتنميته)

جـ- فرض الكيان الصهيوني وجودًا غريبًا في المنطقة العربية، مما استنزف الجهود والموارد والأوقات، وجعل من التصدي له مشروعًا ذراعيا لأنظمة القمع والنهب التي قام عليها مغامرون لم يخف أمرهم على مساندة المشروع الغربي.

وتجدر الإشارة إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي طرقته الولايات المتحدة يشمل جميع الدول العربية "بالإضافة" إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

(1) صحيفة الشرق العربي: رؤية مشروع الأوسط الكبير، المشروع التقريبي الثاني، 26 / 2 / 2004 مقال منشور على شبكة الإنترنت.

ونورد فيما يلي وثائق مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية على مجموعة الدول الصناعية الثماني لكي يتمكن القارئ الكريم في الوقوف على مضمونه ومحتواه والهدف من هذا المشروع.

وثائق نص مشروع " الشرق الأوسط الكبير "

الذي قدمته واشنطن في قمة الدول الثماني.[1]

المنشور بجريدة الحياة اللندنية بتاريخ 13/ 2/ 2004

حصلت " الحياة " على نص مشروع " الشرق الأوسط الكبير " كما طرحته الولايات المتحدة على مجموعة الدول الصناعية الثماني، وباشرت واشنطن نقاشًا مع هذه الدول لضمها إلى "الشراكة". ويفترض أن تبلور دول المجموعة موقفًا موحدًا من هذا المشروع خلال قمة الـ 8 في الولايات المتحدة في حزيران (يونيو) المقبل. هنا نص المشروع: يمثل "الشرق الأوسط الكبير".

تحديًا وفرصة فريدة للمجتمع الدولي. وساهمت "النواقص" الثلاثة التي حددها الكتاب العرب لتقريري الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين 2002 م و2003 م - الحرية، المعرفة، وتمكين النساء - في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ 8. وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة، سنشهد زيادة في التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة. إن الإحصائيات التي تصف الوضع الحالي في "الشرق الأوسط الكبير" مروعة:

(1) نشر بجريدة الحياة اللندنية بتاريخ 13/ 2/ 2004 ، وسوف نورد وثائق نص المشروع كما هي ولن نتدخل سواء بالحذف أو الإضافة ، ولكن سوف يبدي المؤلف رأيه بعد نهاية نص المشروع.

* مجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان الجامعة العربية الـ22 هو أقل من نظيره في أسبانيا.

* حوالي 40 ٪ من العرب البالغين - 65 مليون شخص - أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد.

* سيدخل أكثر من 50 مليونًا من الشباب سوق العمل بحلول 2010م، وسيدخلها 100 مليون بحلول 2020 .وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن 6 ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

* إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة، سيبلغ معدل البطالة في المنطقة 25 مليونًا بحلول 2010م .

* يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين في اليوم. ولتحسين مستويات المعيشة، يجب أن يزداد النمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضعف من مستواه الحالي الذي هو دون 3 ٪ إلى 6 ٪ على الأقل.

* في إمكان 6.1 ٪ فقط من السكان استخدام الانترنت، وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم، بما في ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

* لا تشغل النساء سوى 5.3 ٪ فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية، بالمقارنة، على سبيل المثال، مع 4.8 ٪ في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

* عبّر 51 ٪ من الشبان العرب الأكبر سنًّا عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقًا لتقرير التنمية البشرية العربية للعام 2002 م ، والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوروبية.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن للشرق الأوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته، ليضيف كل عام المزيد من الشباب

المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية. وسيمثل ذلك تهديدًا مباشرًا لاستقرار المنطقة، وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الثماني.

البديل هو الطريق إلى الإصلاح. ويمثل تقرير التنمية البشرية العربية نداءات مقنعة وملحة للتحرك في الشرق الأوسط الكبير. وهي نداءات يرددها نشطاء وأكاديميون والقطاع الخاص في أرجاء المنطقة.

وقد استجاب بعض الزعماء في الشرق الأوسط الكبير بالفعل لهذه النداءات، واتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وأيدت بلدان مجموعة الثماني، بدورها، هذه الجهود بمبادراتها الخاصة للإصلاح في منطقة الشرق الأوسط. وتبيّن "الشراكة الأوروبية المتوسطية"، و"مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط"، وجهود إعادة الأعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق التزام مجموعة الثماني بالإصلاح في المنطقة.

إن التغيرات الديموغرافية المشار إليها أعلاه، وتحرير أفغانستان والعراق من نظامين قمعيين، ونشوء نبضات ديمقراطية في أرجاء المنطقة، بمجموعها، تتيح لمجموعة الثماني فرصة تاريخية. وينبغي للمجموعة، في قمتها في سي آيلاند، أن تصوغ شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، وتطلق ردًا منسّقًا لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح تعالج النواقص التي حددها تقرير الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية عبر:

أولاً: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح.

ثانياً: بناء مجتمع معرفي.

ثالثاً: توسيع الفرص الاقتصادية.

وتمثل أولويات الإصلاح هذه السبيل إلى تنمية المنطقة فالديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذي تتحقق داخله التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية، والمبادرة في مجال الأعمال هي ماكينة التنمية.

أولاً - تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح:

وجد فجوة كبيرة بين البلدان العربية والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة ... ويضعف هذا النقص في الحرية التنمية البشرية، وهو احد التجليات الأكثر إيلاما للتخلف في التنمية السياسية"[1].

أن الديمقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير. وفي تقرير "فريدوم هاوس" للعام 2003م، كانت إسرائيل البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير الذي صُنّف بأنه "حر"، ووصفت أربعة بلدان أخرى فقط بأنها "حرة جزئيًا". ولفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى أنه من بين سبع مناطق في العالم، حصلت البلدان العربية على أدنى درجة في الحرية في أواخر التسعينات. وأدرجت قواعد البيانات التي تقيس "التعبير عن الرأي والمساءلة" المنطقة العربية في المرتبة الأدنى في العالم. بالإضافة إلى ذلك، لا يتقدم العالم العربي إلا على أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على صعيد تمكين النساء. ولا تنسجم هذه المؤشرات المحبطة إطلاقا مع الرغبات التي يعبّر عنها سكان المنطقة. على سبيل المثال، تصدّر العرب لائحة من يؤيد، في أرجاء العالم، الرأي القائل بأن "الديمقراطية أفضل من أي شكل آخر للحكم"، وعبّروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي[2].

(1) تقرير التنمية البشرية لعام 2002.

(2) تقرير التنمية البشرية العربية لعام 2003.

ويمكن لمجموعة الثماني أن تظهر تأييدها للإصلاح الديمقراطي في المنطقة عبر التزام ما يلي:

مبادرة الانتخابات الحرة: في الفترة بين 2004 م و 2006م ، أعلنت بلدان عدة في الشرق الأوسط الكبير نيتها إجراء انتخابات رئاسية أو برلمانية أو بلدية.

وبالتعاون مع تلك البلدان التي تظهر استعدادًا جديًّا لإجراء انتخابات حرة ومنصفة، يمكن لمجموعة الثماني أن ستقدم بفاعلية مساعدات لمرحلة ما قبل الانتخابات من خلال :

* تقديم مساعدات تقنية، عبر تبادل الزيارات أو الندوات، لإنشاء أو تعزيز لجان انتخابية مستقلة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى وتسلم التقارير.

* تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين والتربية المدنية إلى الحكومات التي تطلب ذلك، مع تركيز خاص على الناخبات.

الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني:

من أجل تعزيز دور البرلمانات في دمقرطة البلدان، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى تبادل زيارات لأعضاء البرلمانات، مع تركيز الاهتمام على صوغ التشريعات وتطبيق الإصلاح التشريعي والقانوني وتمثيل الناخبين.

معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء:

تشغل النساء 5.3 ٪ فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية. ومن أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية، يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريبًا على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم أو إنشاء/ تشغيل منظمة غير حكومية. ويمكن لهذه المعاهد أن تجمع بين قياديات من بلدان مجموعة الثماني والمنطقة.

المساعدة القانونية للناس العاديين:

في الوقت الذي نفذت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة والبنك الدولي بالفعل مبادرات كثيرة لتشجيع الإصلاح القانوني والقضائي، فان معظمها يجرى على المستوى الوطني في مجالات مثل التدريب القضائي والإدارة القضائية وإصلاح النظام القانوني. ويمكن لمبادرة من مجموعة الثماني أن تكمّل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى الناس العاديين في المجتمع، حيث يبدأ التحسس الحقيقي للعدالة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تنشئ وتموّل مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونية بشأن القانون المدني أو الجنائي أو الشريعة، ويتصلوا بمحامي الدفاع (وهي غير مألوفة إلى حد كبير في المنطقة). كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليات الحقوق في المنطقة.

مبادرة وسائل الإعلام المستقلة:

يلفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى هناك اقل من 53 صحيفة لكل 1000 مواطن عربي، بالمقارنة مع 285 صحيفة لكل ألف شخص في البلدان المتطورة، وان الصحف العربية التي يتم تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعية رديئة. ومعظم برامج التلفزيون في المنطقة تعود ملكيته إلى الدولة أو يخضع لسيطرتها، وغالبًا ما تكون النوعية رديئة، إذ تفتقر البرامج إلى التقارير ذات الطابع التحليلي والتحقيقي. ويقود هذا النقص إلى غياب اهتمام الجمهور وتفاعله مع وسائل الإعلام المطبوعة، ويحد من المعلومات المتوافرة للجمهور. ولمعالجة ذلك، يمكن لمجموعة الثماني أن:

* ترعى زيارات متبادلة للصحافيين في وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية.

* ترعى برامج تدريب لصحافيين مستقلين.

* تقدم زمالات دراسية لطلاب كي يدأوموا في مدارس للصحافة في المنطقة أو خارج البلاد، وتمول برامج لإيفاد صحافيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات

تدريب بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسي في التدريس في مدارس بالمنطقة.

الجهود المتعلقة بالشفافية / مكافحة الفساد:

حدد البنك الدولي الفساد باعتباره العقبة المنفردة الأكبر في وجه التنمية، وقد أصبح متأصلاً في الكثير من بلدان الشرق الأوسط الكبير. ويمكن لمجموعة الثماني:

* أن تشجع على تبني "مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد" الخاصة بمجموعة الثماني.

* أن تدعم علنًا مبادرة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية/ برنامج الأمم المتحدة للتنمية في الشرق الأوسط - شمال أفريقيا، التي يناقش من خلالها رؤساء حكومات ومانحون وIFIS ومنظمات غير حكومية استراتيجيات وطنية لمكافحة الفساد وتعزيز خضوع الحكومة للمساءلة.

* إطلاق واحد أو أكثر من البرامج التجريبية لمجموعة الثماني حول الشفافية في المنطقة.

المجتمع المدني:

أخذًا في الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط الكبير يجب أن تأتي من الداخل، وبما أن أفضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هي عبر منظمات تمثيلية، ينبغي لمجموعة الثماني أن تشجع على تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدني في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن:

* تشجع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المدني، ومن ضمنها المنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام، على أن تعمل بحرية من دون مضايقة أو تقييدات.

* تزيد التمويل المباشر للمنظمات المهتمة بالديمقراطية وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام والنساء وغيرها من المنظمات غير الحكومية في المنطقة.

* تزيد القدرة التقنية للمنظمات غير الحكومية في المنطقة بزيادة التمويل للمنظمات المحلية (مثل "مؤسسة وستمنستر" في المملكة المتحدة أو "مؤسسة الدعم الوطني للديمقراطية" الأمريكية) لتقديم التدريب للمنظمات غير الحكومية في شأن كيفية وضع برنامج والتأثير على الحكومة وتطوير استراتيجيات خاصة بوسائل الإعلام والناس العاديين لكسب التأييد. كما يمكن لهذه البرامج أن تتضمن تبادل الزيارات وإنشاء شبكات إقليمية.

* تمول منظمة غير حكومية يمكن أن تجمع بين خبراء قانونيين أو خبراء إعلاميين من المنطقة لصوغ تقويمات سنوية للجهود المبذولة من اجل الإصلاح القضائي أو حرية وسائل الإعلام في المنطقة. (يمكن بهذا الشأن الاقتداء بنموذج" تقرير التنمية البشرية العربية").

ثانيًا - بناء مجتمع معرفي:

"تمثل المعرفة الطريق إلى التنمية والانعتاق ، خصوصًا في عالم يتسم بعولمة مكثفة" [1].

لقد أخفقت منطقة الشرق الأوسط الكبير، التي كانت في وقت مضى مهد الاكتشاف العلمي والمعرفة، إلى حد بعيد، في مواكبة العالم الحالي ذي التوجه المعرفي. وتشكل الفجوة المعرفية التي تعانيها المنطقة ونزيف الأدمغة[2] المتواصل تحديًا لآفاق التنمية فيها. ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى 1.1 ٪ من الإجمالي العالمي (حيث تشكل الكتب الدينية أكثر من 15 ٪ منها). ويهاجر حوالي

(1) تقرير التنمية البشرية العربية 2002.

(2) أي العقول.

ربع كل خريجي الجامعات، وتستورد التكنولوجيا إلى حد كبير. ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانية (التي لا ينطق بها سوى 11 مليون شخص) خمسة إضعاف ما يترجم إلى اللغة العربية.

وبالاستناد على الجهود التي تبذل بالفعل في المنطقة، يمكن لمجموعة الثماني أن تقدم مساعدات لمعالجة تحديات التعليم في المنطقة ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارات الضرورية للنجاح في السوق المعولمة لعصرنا الحاضر.

مبادرة التعليم الأساسي:

يعاني التعليم الأساسي في المنطقة من نقص (وتراجع) في التمويل الحكومي، بسبب تزايد الإقبال على التعليم متماشيًا مع الضغوط السكانية، كما يعاني من اعتبارات ثقافية تقيّد تعليم البنات. وفي مقدور مجموعة الـ8 السعي إلى مبادرة للتعليم الأولي في منطقة الشرق الأوسط الكبرى تشمل هذه العناصر:

محو الأمية: أطلقت الأمم المتحدة في 2003 م "برنامج عقد مكافحة الأمية" تحت شعار "محو الأمية كحرية". ولمبادرة مجموعة الـ8 لمكافحة الأمية إن تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة، من خلال التركيز على إنتاج جيل متحرر من الأمية في الشرق الأوسط خلال العقد المقبل، مع السعي إلى خفض نسبة الأمية في المنطقة إلى النصف بحلول 2010 م . وستركز مبادرة مجموعة الـ8، مثل "برنامج الأمم المتحدة" ، على النساء والبنات. وإذا أخذنا في الاعتبار معاناة 65 مليونًا من الراشدين في المنطقة من الأمية، يمكن لمبادرة مجموعة الـ8 أن تركز أيضا على محو الأمية بين الراشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوعة، من مناهج تدريس على الإنترنت إلى تدريب المعلمين.

فرق محو الأمية: يمكن لمجموعة الـ8، سعيًا إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلمين مع التركيز على النساء.

ولمعلمات المدارس والمختصات بالتعليم القيام في هذه المعاهد بتدريب النساء على مهنة التعليم (هناك دول تحرم تعليم الذكور للإناث)، لكي يركزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التعليم الأولي لهن. للبرنامج أيضًا استخدام الإرشادات المتضمنة في برنامج "التعليم للجميع" التابع "لليونسكو"، بهدف إعداد "فرق محو الأمية" التي يبلغ تعدادها نحو 100 ألف معلمة عام 2008 م.

الكتب التعليمية: يلاحظ تقرير التنمية البشرية العربية نقصًا مهمًا في ترجمة الكتب الأساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة، كما تلاحظ "الحالة المؤسفة للمكتبات" في الجامعات. ويمكن لكل من دول مجموعة الـ8 تمويل برنامج لترجمة مؤلفاتها "الكلاسيكية" في هذه الحقول، وأيضًا، وحيث يكون ذلك مناسبًا، تستطيع الدول أو دور النشر (في شراكة بين القطاعين العام والخاص) إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول حاليًا والتبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية.

مبادرة مدارس الاكتشاف: بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء "مدارس الاكتشاف" حيث يتم استعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة. ولمجموعة الـ8 السعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دول أخرى في المنطقة عن طريق التمويل، من ضمنه من القطاع الخاص.

إصلاح التعليم: ستقوم "المبادرة الأمريكية للشراكة في الشرق الأوسط" قبل قمة مجموعة الـ8 المقبلة (في آذار/ مارس أو نيسان/ أبريل) برعاية "قمة الشرق الأوسط لإصلاح التعليم"، التي ستكون ملتقى لتيارات الرأي العام المتطلعة إلى الإصلاح والقطاع الخاص وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية في المنطقة ونظرائهم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وذلك لتحديد المواقع والمواضيع التي تتطلب المعالجة، والتباحث في سبل التغلب على النواقص في حقل التعليم. ويمكن

عقد القمة في ضيافة مجموعة الـ8 توخيًا لتوسيع الدعم لمبادرة منطقة الشرق الأوسط الكبرى عشية عقد القمة.

مبادرة التعليم في الإنترنت:

تحتل المنطقة المستوى الأدنى من حيث التواصل مع الإنترنت. ومن الضروري تمامًا تقليل "الهوة الكمبيوترية" هذه بين المنطقة وبقية العالم نظرًا إلى تزايد المعلومات المودعة على انترنت وأهمية الإنترنت بالنسبة للتعليم والمتاجرة. ولدى مجموعة الـ8 القدرة على إطلاق شراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الكومبيوتري أو توسيعه في أنحاء المنطقة، وأيضًا بين المدن والريف داخل البلد الواحد. وقد يكون من المناسب أكثر لبعض المناطق توفير الكومبيوترات في مكاتب البريد، مثلما يحصل في بلدان وقرى روسيا. وقد يركز المشروع أولا على بلدان الشرق الأوسط الأقل استخداما للكمبيوتر) العراق، أفغانستان، باكستان، اليمن، سورية، ليبيا، الجزائر، مصر، المغرب)، والسعي، ضمن الإمكانات المالية، إلى توفير الاتصال بالكمبيوتر إلى أكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد.

ومن الممكن أيضًا ربط مبادرة تجهيز المدارس بالكمبيوتر بـ"بمبادرة فرق محو الأمية" المذكورة أعلاه ؛ أي قيام مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسية ووضعها على انترنت، في مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معداته ويكون متاحًا للمعلمين والطلبة

مبادرة تدريس إدارة الأعمال:

لمجموعة الـ 8 في سياق السعي إلى تحسين مستوى إدارة الأعمال في عموم المنطقة إقامة الشراكات بين مدارس الأعمال في دول مجموعة الـ8 والمعاهد التعليمية (الجامعات والمعاهد المتخصصة) في المنطقة. وبمقدور مجموعة الـ8 تمويل هيئة التعليم والمواد التعليمية في هذه المعاهد المشتركة، التي تمتد برامجها من دورة تدريبية

لمدة سنة للخريجين إلى دورات قصيرة تدور على مواضيع محددة، مثل إعداد خطط العمل للشركات أو استراتيجيات التسويق.

النموذج لهذا النوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال، وهو مؤسسة بمدير أمريكي ولها علاقة شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية.

ثالثًا: توسيع الفرص الاقتصادية:

تقليل الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحولا اقتصاديا يشابه في مداه ذلك الذي عملت به الدول الشيوعية سابقًا في أوروبا الشرقية. وسيكون مفتاح التحول إطلاق قدرات القطاع الخاص في المنطقة، خصوصًا مشاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة، التي تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادي وخلق فرص العمل. وسيكون نمو طبقة متمرسة في مجال الأعمال عنصرًا مهمًا لنمو الديمقراطية والحرية. ويمكن لمجموعة الـ8 في هذا السياق اتخاذ الخطوات التالية:

مبادرة تمويل النمو:

تقوية فاعلية القطاع المالي عنصر ضروري للتوصل إلى نسب أعلى للنمو وخلق فرص العمل. ولمجموعة الـ8 أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن العناصر التالية:

إقراض المشاريع الصغيرة: هناك بعض المؤسسات المختصة بتمويل المشاريع الصغيرة في المنطقة لكن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون ثغرات مالية كبيرة ؛ إذ لا يحصل على التمويل سوى 5% من الساعين إليه، ولا يتم عموما تقديم أكثر من 0.7% من مجموع المال المطلوب في هذا القطاع. وبإمكان مجموعة الـ8 المساعدة على تلافي هذا النقص من خلال تمويل المشاريع الصغيرة، مع التركيز على التمويل بهدف الربح، خصوصًا للمشاريع التي تقوم بها النساء. مؤسسات الإقراض الصغير المربح قادرة على إدامة نفسها ولا تحتاج إلى تمويل إضافي للاستمرار والنمو.

ونقدّر أن في إمكان قرض من 400 مليون دولار إلى 500 مليون دولار يدفع على خمس سنوات مساعدة 1.2 مليون ناشط اقتصادي على التخلص من الفقر، 750 ألفا منهم من النساء.

مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير:

باستطاعة مجموعة الـ8 المشاركة في تمويل مؤسسة على طراز "مؤسسة المال الدولية" للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال على المستويين المتوسط والكبير، بهدف التوصل إلى تكامل اقتصادي لمجال الأعمال في المنطقة. وربما الأفضل إدارة هذه المؤسسة من قبل مجموعة من قادة القطاع الخاص في مجموعة الـ8 يقدمون خبراتهم لمنطقة الشرق الأوسط الكبير. بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير: في إمكان مجموعة الـ8 ومشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير نفسها، إنشاء مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار "البنك الأوروبي للأعمار والتنمية" لمساعدة الدول الساعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية. كما تستطيع المؤسسة الجديدة توحيد القدرات المالية لدول المنطقة الأغنى وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التعليم والعناية الصحية والبنى التحتية الرئيسية. ولـ"بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير" هذا أن يكون مدخرًا للمساعدة التكنولوجية واستراتيجيات التنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض (أو المنح) يجب أن تتحدد بحسب قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة.

الشراكة من أجل نظام مالي أفضل: بمقدور مجموعة الـ8، توخيا لإصلاح الخدمات المالية في المنطقة وتحسين اندماج بلدانها في النظام المالي العالمي، أن تعرض مشاركتها في عمليات إصلاح النظم المالية في البلدان المتقدمة في المنطقة. وسيكون هدف المشاركة إطلاق حرية الخدمات المالية وتوسيعها في عموم المنطقة، من خلال تقديم تشكيلة من المساعدات التقنية والخبرات في مجال الأنظمة المالية مع التركيز على:

- تنفيذ خطط الإصلاح التي تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية.
- رفع الحواجز على التعاملات المالية بين الدول.
- تحديث الخدمات المصرفية.
- تقديم وتحسين وتوسيع الوسائل المالية الداعمة لاقتصاد السوق.
- إنشاء الهياكل التنظيمية الداعمة لإطلاق حرية الخدمات المالية.

مبادرة التجارة:

إن حجم التبادل التجاري في الشرق الأوسط متدن جدًا، إذ لا يشكل سوى 6% من كل التجارة العربية. ومعظم بلدان الشرق الأوسط الكبير تتعامل تجاريًا مع بلدان خارج المنطقة، وتوصلت إلى اتفاقات تجارية تفضيلية مع أطراف بعيدة جدًا بدلاً من جيرانها. ونتيجة لذلك، أصبحت الحواجز الجمركية وغير الجمركية هي الشيء المعتاد، فيما لا تزال التجارة عبر الحدود شيئًا نادرًا. ويمكن لمجموعة الـ 8 أن تنشئ مبادرة جديدة مصممة لتشجيع التجارة في الشرق الأوسط الكبير، تتألف من العناصر التالية:

الانضمام/ التنفيذ على صعيد منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة

يمكن لمجموعة الثمانية أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان في المنطقة إلى منظمة التجارة العالمية . وستتضمن برامج محددة للمساعدة التقنية توفير مستشارين يعملون في البلد ذاته في شأن الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية وتحفيز التزام واسع من مجموعة الـ8 لتشجيع عملية الانضمام، بما في ذلك تركيز الاهتمام على تحديد وإزالة الحواجز غير الجمركية. وحالما ينجز الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية، سيتحول مركز الاهتمام إلى توقيع التزامات إضافية لمنظمة التجارة العالمية، مثل "الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية" و"اتفاق مشتريات الحكومة" وربط استمرار المساعدة التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصة بمنظمة التجارة العالمية.

ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط أيضا ببرنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة الـ8 بشأن التسهيلات والجوانب اللوجستية المتعلقة بالرسوم الجمركية للحد من الحواجز الإدارية والمادية بوجه التبادل التجاري بين بلدان المنطقة.

المناطق التجارية:

ستنشئ مجموعة الـ8 مناطق في الشرق الأوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجاري في المنطقة والممارسات المتعلقة بالرسوم الجمركية. وستتيح هذه المناطق مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم النشاط التجاري للقطاع الخاص والصلات بين المشاريع الخاصة، بما في ذلك" التسوق من منفذ واحد" للمستثمرين الأجانب، وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذي يستغرقه إنجاز معاملات النقل، ضوابط موحدة لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة.

مناطق رعاية الأعمال:

بالاستناد على النجاح الذي حققته مناطق التصدير ومناطق التجارة الخاصة في مناطق أخرى، يمكن لمجموعة الـ8 أن تساعد على إقامة مناطق محددة خصيصًا في الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات. ويمكن لمجموعة الـ8 أن تعرض منافذ محسّنة إلى أسواقها لهذه المنتجات، وتقدم خبراتها في إنشاء هذه المناطق.

منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير:

تشجيع التعاون الإقليمي المحسّن يمكن لمجموعة الـ8 أن تنشئ "منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط" الذي سيجمع مسئولين كبارًا من مجموعة الـ8 والشرق الأوسط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعات جانبية لمسئولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي.

ويمكن للمنبر أن يستند في شكل مرن على نموذج رابطة آسيا - المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي (أبك)، وسيغطي قضايا اقتصادية إقليمية، من ضمنها القضايا المالية والتجارية وما يتعلق بالضوابط.

1- يشير "الشرق الأوسط الكبير" إلى بلدان العالم العربي، بالإضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

2- تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات.

3- البلدان التي قدمت طلبًا للانضمام إلى منظمة التجارة الدولية (شكلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. بلدان قدمت طلبًا للانضمام (لم يُنظر بعد في الطلب): أفغانستان وإيران وليبيا وسورية والعراق[1]. بلدان طلبت منحها صفة مراقب.

وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام الغرب وبالأخص الولايات المتحدة من خلال ما سميت بعملية السلام في الشرق الأوسط كان على أساس ضمان المصالح والتي ارتبطت كليا بالدعم اللامحدود لدولة إسرائيل فقط على حساب الشعب الفلسطيني والعالم الإسلامي، باعتبار فلسطين تحتل مكانة دينية سامية ومقدسة لكل من يشعر مجرد شعور - بانتمائه إلى أمة الإسلام، وظل ذلك الملف في يد واشنطن إلى أن بدا للجميع فشله تمامًا وإن لم يعلن ذلك من قبل القوة العظمى[2].

وتباينت ردود الأفعال العربية بخصوص هذا المشروع حيث وصف كاتب وصحفي عربي مشروع "الشرق الأوسط الكبير" بأنه علاج أمريكي بالصدمة

(1) الحياة اللندنية 13/ 2/ 2004 (إلى هنا ينتهي نص مشروع الشرق الأوسط الجديد).

(2) جريدة الأفق الجديد: قراءة في الجانب السياسي من مشروع الشرق الأوسط، الاثنين، أغسطس 2006، مقال منشور على الأنترنت من خلال الموقع التالي:

http://www.newufuq.com/index.ph p.2

وتدخل أبوى لتولي أمر منطقة قاصر. ووصفت الصحافة العربية المشروع بأنه "شراكة دون شريك" وقال آخرون بأن المشروع "فزاعة أمريكية". لإدخال الرعب في قلوب بعض الحكام العرب. وقد نزل المشروع الأمريكي المقترح للإصلاح السياسي[1] ودمقرطة الأنظمة العربية نزول الصاعقة على رءوس المسئولين العرب على اختلاف مواقفهم وأيديولوجياتهم الاقتصادية والسياسية وتباينت ردود فعل الأنظمة الظاهرية بين مستسلم وبين متربص وجل وبين معارض حذر.

لقد تصرفت الولايات المتحدة دون اعتبار لأصدقائها العرب في المنطقة حتى أنه لم يسلم أي نظام عربي مهما كانت حالة الديمقراطية فيه دون أن تستهدفه انتقادات المسئولين الأمريكيين، إن السياسة الأمريكية لا تعترف بوجود أصدقاء دائمين لها في المنطقة، باستثناء إسرائيل، ولكنها تتبنى براجماتية[2]، وهي إن هناك مصالح دائمة وليس هناك صداقة دائمة[3].

والمتأمل لمشروع "الشرق الأوسط الكبير" أنه بلا شك إنه مشروع يشبع طموحات واشنطن وتل أبيب، كما يعتقد البعض أن هذا المشروع هو بمثابة مشروع شامل ومتكامل يشمل النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية إلى الجانب السياسي ويظهر للقارئ العادي من خلال نص المشروع أنه بصدد تحليل وتقييم للأوضاع غير المرضية التي تتطلب تغيرًا جذريًا لابد منه تقوم به القوى الكبرى بزعامة الولايات المتحدة ولكن الواقع غير ذلك كما تأكده مجريات الأمور.

(1) أي خضته باللهجة العامية المصرية من الخوف والفزع.

(2) هي مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل هو المعيار الوحيد للحقيقة. فالسياسي البراجماتي يدعي دائمًا أنه يتصرف ويعمل من خلال النظر إلى النتائج العملية المثمرة التي قد يؤدي إليها قراره. وهو قراره بوحي من فكرة مسبقة أو أيديولوجية سياسية محدودة بل من خلال أخذه بعين الاعتبار للنتيجة العملية المنشودة والبرجماتية هنا تعني اتخاذ الذرائع لتبرير موقف من المواقف.

(3) سليمان عربيات "تداعيات مشروع "الشرق الأوسط الكبير" عن رأي لجريدة الرياض العربية مقال منشور على شبكة الإنترنت بتاريخ 28 / 1 / 2007 على موقع منتديات المهدي.

ومن خلال عرض وثائق المشروع ورصده تساءل بعض الكتاب العرب عن العلاقة بين مشروع " الشرق الأوسط الكبير" الذي أعلنت الولايات المتحدة طرحه على مجموعة الدول الثماني الصناعية في يونيو 2004 وبين تقرير التنمية الإنسانية العربية لعامي 2002، 2003، وما مغزي الاقتباس الانتقائي والمكثف والمبتذل لما جاء في التقريرين الذي عج به نص المشروع المذكور، بداية يمثل المشروع انعطافة مهمة وخطرة في السياسة الأمريكية والدولية تجاه المنطقة العربية.

فجغرافية المشروع تتجاوز المنطقة لتضم إليها أيضًا إيران وباكستان وأفغانستان وإسرائيل. وهو خلط غير بريء أساسًا، وابتداع جديد في تحديد الجغرافيا السياسة. أما إستراتيجية المشروع؛ أي نقطة انطلاق الأساسية، فهي "إستراتيجية الأمن الوقائي" إذ نظر إلى المنطقة باعتبارها مملوءة بالأزمات السياسية والأمنية والاجتماعية التي ستشكل أخطارًا وتهديدات كبيرة على المصالح الأمريكية تحديدًا، والغربية عمومًا، ما يفرض تدخلاً من "فوق" على قاعدة عدم جدوى ترك المنطقة لأصحابها الذين فشلوا في إدارتها. يقول المشروع تسطيرًا وتضمينًا، إن مخاطر النمو الديموجرافي الكبير، بما ينتج عنه من معدلات بطالة كبيرة، تليها هجرات واسعة إلى الغرب، ومخاطر التطرف الديني، وانتشار الفقر، واتساع نطاق الأمية، بالإضافة إلى عيوب ونواقص كبيرة أخرى، تعني أن جنوب المتوسط وشرقه سيظلان منطقة تصدير للأزمات نحو العالم ؛ أي نظرية قوس الأزمات المعروفة نفسها التي كانت تشمل العالم الإسلامي برمته وتبدأ من باكستان وأفغانستان وتمر بالعالم العربي وآسيا الوسطى لتنتهي في المغرب العربي. ولكن الأهم أن المشروع أي مشروع "الشرق الأوسط الكبير" قد أغفل تمامًا ما ذكره تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2003 م أي التقرير الثاني والذي تناول أثر العوامل الخارجية وسياسات الهيمنة في إحباط أي تطور وتنمية كانت المنطقة العربية تحكم بها[1].

(1) خالد الحروب: عن المشروع الأمريكي لدمقرطة المنطقة وتقريري التنمية العربية، عن الحياة اللندنية 8/ 3/ 2004، مقال منشور على شبكة الإنترنت.

والخلاصة أن اسم المشروع اسم مريب، والإشارة إلى المشروع الأمريكي الذي اختارت له واشنطن اسم "الشرق الأوسط الكبير"، وقد يتساءل البعض هل هناك شرق أوسط كبير وآخر صغير؟ ولماذا لم يقع الاختيار الأمريكي على اسم "العالم الإسلامي"؟ ببساطة؟ الإجابة لا تحتاج منا إلى عناء وتفكير، فمشكلة واضعي المشروع في واشنطن قالت: كيف يمكن إدماج إسرائيل مع العالم الإسلامي في مشروع واحد؟ هذا هو ما يوحي به تعريف "الشرق الأوسط الكبير" كما ورد في صلب وثيقة المشروع، حيث تنص الوثيقة على أن "الشرق الأوسط الكبير" يتكون كما سبق أن ذكرنا من العالم العربي بالإضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل[1].

وأخيرًا ينبغي أن نشير إلى أن معظم المشاريع الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط كانت مشاريع فاشلة، ابتداء من مشروع ترومان، وامتدادًا إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير" بدليل التحول الأمريكي الراهن عن هذا المشروع إلى مشروع آخر يحمل اسم "الشرق الأوسط الجديد".

رابعًا: الشرق الأوسط الجديد:

مصطلح "الشرق الأوسط الجديد" قدمته إلى العالم وزيرة الخارجية الأمريكية "كوندليزا رايس" في تل أبيب في يونيو 2006 م تلك التي منحتها وسائل الإعلام الغربية براءة اختراع هذا المصطلح، ليحل محل المصطلح الأقدم والأكثر تعسفًا؛ أي "الشرق الأوسط الكبير" وتصادفت هذه الانتقالة في تعابير السياسية الخارجية الأمريكية مع تدشين مسار خط النفط (باكو – تبليسي – سيحان) (BTC) في شرق البحر المتوسط، ولاحقًا يشر بهذا المصطلح، وتحويل "الشرق الأوسط الجديد" إلى مفهوم وزيرة الخارجية الأمريكية ورئيس الوزراء الإسرائيلي" في ذروة الحصار

(1) أحمد عمران: الشرق الأوسط الكبير، جريدة البيان الإماراتية 25/ 2/ 2004.

الإسرائيلي للبنان المدعوم أنجلو – أمريكيا فقد قال رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "أولمرت" ووزيرة الخارجية رايس أمام وسائل الإعلام الدولية أن مشروعًا لـ "شرق أوسط جديد" كان يبدأ انطلاقه من لبنان.

وكان هذا الإعلان تأكيد على وجود "خريطة عسكرية" أنجلو – أمريكية – إسرائيلية في الشرق الأوسط. ويتضمن هذا المشروع الذي كان يخطط لمراحله طيلة بضع سنوات، خلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى يمتد من لبنان، فلسطين، فسوريا، فالعراق، فالخليج، فإيران، وصولا لأفغانستان، حيث تعسكر قوات حلف الناتو. حين قدمت واشنطن وتل أبيب مشروع "الشرق الأوسط الجديد" علنا ترافق هذا التقديم مع توقع أن لبنان سيكون منطقة الضغط المرتفع التي تهب منها الرياح على الشرق الأوسط كله، وبهذا تطلق قوي" الفوضى البناءة" وستستخدم هذه "الفوضى البناءة" التي توليد شروط العنف والحرب في أرجاء المنطقة، من جانبها، كي تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسرائيل بوساطتها من إعادة لرسم خريطة الشرق الأوسط وفقًا لحاجات هذا التحالف الجغرافية – السياسية وأهدافه[1].

وهذا المشروع الجديد الذي طرحته أمريكا ليس بجديد على إسرائيل فقد سبق لإسرائيل أن طرحت هذا المشروع في رؤية رئيس وزرائها الأسبق وزعيم حزب العمل الحالي "شيمون بيريز" في أوائل التسعينيات لـ "الشرق الأوسط الجديد" التي عنون بها كتابه الشهير (the New Middle East) الذي نشر في عام 1993م، والتي كانت تطمح في التظاهر إلى جمع دول الشرق الأوسط في سوق مشتركة، بعد

(1) مهدي داريوش نزيم رويا: خطط إعادة رسم الشرق الأوسط، الشرق الأوسط الجديد في العين الأمريكية، حروب طائفية وإثنية شاملة، مركز أبحاث العولمة، أوتاوا كندا- مقال منشور على الإنترنت من خلال الموقع الإلكتروني التالي:

www. Global research.ca/ printarticle. Ph.p?

تحقيق السلام المزعوم، بحيث يعزز قيام هذه السوق المصالح الحيوية ويصون السلام على المدى البعيد، ولكنها تخفي أجندة أخرى كانت تدور في مخيلة "بيريز" وهي دمج إسرائيل في المنطقة بعد إعادة صياغتها وتشكيلها لتصبح " الشرق الأوسط" وليست " المنطقة العربية" وتصبح إسرائيل هي الدولة المهيمنة والمسيطرة على مقدرات المنطقة كونها رأس الجسر للمشروع الغربي الاستعماري منذ إقامتها في عام 1948م.

وقد كشف بيريز عن نياته وأهدافه الحقيقية في مقابلة صحفية نشرتها (فصلية الشرق الأوسط) في مارس 1995 م ، حين رد على سؤال حول قول سابق له مفاده (أن هدف إسرائيل المقبل أن يكون الانضمام إلى جامعة الدول العربية) قائلاً: " أعتقد أن جامعتهم العربية يجب أن تسمي جامعة (الشرق الأوسط) ، وعندئذ يمكن لإسرائيل أن تنضم إليها. نحن لن نصبح عربًا، ولكن الجامعة يجب أن تصبح شرق أوسطية..لقد أصبحت الجامعة العربية جزءًا من الماضي "[1].

خامسًا :الملامح الجغرافية للخريطة السياسية المقترحة للشرق الأوسط الجديد:

الخريطة السياسية للشرق الأوسط والتي بين أيدينا في هذا الكتاب، هي خريطة نشرت في موقع مجلة القوات العسكرية Armed forces Journal في شهر يونيه عام 2006 م تحت عنوان" حدود الدم" حددت ملامح جديدة لخريطة شرق أوسط جديد، والتقرير يفترض إن الحدود بين الدول غير، مكتملة وغير نهائية، خصوصًا في قارة أفريقيا التي تكبدت ملايين القتلى وبقيت حدودها الدولية دون تغيير، والشرق الأوسط الملتهب والمتوتر منذ عقود، هذه الحدود التي شكلت أوروبيًا بواسطة. (الفرنسيين والبريطانيين) في أوائل القرن العشرين بين الدولتين

(1) سيد محمد الدعوار: الشرق الأوسط الكبير أم الجديد، 6 / 9/ 2004، مقالة منشورة على الإنترنت من خلال موقع الكتروني: Http: ll wwww.alquma. net/vb/show thread.

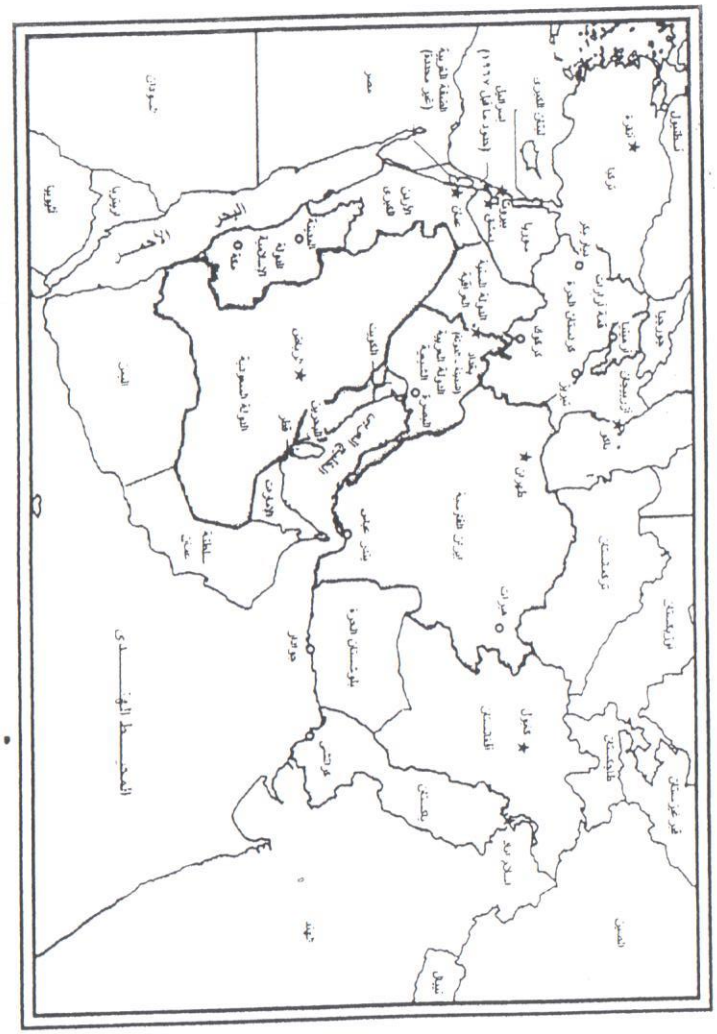

شكل (52): خريطة الشرق الأوسط الجديد (حدود الدم) حسب تصورات الولايات المتحدة الأمريكية

المصدر: رالف بيترز

اللتين كانت تعانيان من هزائمهما في القرن التاسع عشر فكان التقسيم عبئًا عليهما، وجاء من عدم الإدراك لخطورة هذا التشكيل الذي قسم قوميات على جانبي الحدود، وأصبحت كتلا قومية كبيرة ومبعثرة على جوانب الحدود بعدة دول، وقد يضم الكيان السياسي المستقل إثنيات وطوائف متناحرة.

إن حدود الشرق الأوسط تسبب خللاً وظيفيًا داخل الدولة نفسها وبين الدول من خلال أعمال لا أخلاقية تمارس ضد الأقليات القومية والدينية والإثنية، أو بسبب التطرف الديني أو القومي والمذهبي. إن لم الشمل على أساس الدين والقومية في دولة واحدة لن يجعل الأقليات سعيدة ومتوافقة. إن القومية الخالصة أو الطائفة وحدها يمكن أن تجد مبررًا لتغيير الحدود ولتشكيل كيان سياسي لها كما يفترض التقرير، وللمقارنة أنظر هذه الخريطة السياسية قبل التقسيم في هذه الرؤية إن التقسيمات ليست على أساس خرائط معدة مسبقًا بل أعدت على أساس وقائع ديموغرافية (الدين والقومية والمذهبية). ولأن إعادة تصحيح الحدود الدولية تتطلب توافقًا لإدارة الشعوب التي قد تكون مستحيلة في الوقت الراهن، ولضيق الوقت لابد من سفك الدماء للوصول إلى هذه الغاية التي يجب أن تستغل من قبل الإدارة الأمريكية وحلفائها. يفترض إن إسرائيل لا يمكنها العيش مع جيرانها ولهذا جاء الفصل عن جيرانها العرب، ولذا فإن الطوائف المتباينة التي لا يمكن التعايش فيما بينها من الممكن تجمعها بكيان سياسي واحد[1].

وتجدر الإشارة إلى أن " زبجينيو بريجنسكي" مستشار الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) للأمن القومي قد دعا في كتاب بعنوان " بين جيلين " وبعيدًا عن المعلومات المغلوطة التي حملها هذا الكتاب إلى إعادة تشكيل خريطة العالم العربي، وقال بوضوح: إن الشرق الأوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة يجمعها إطار إقليمي، فسكان مصر ومناطق البحر المتوسط غير عرب، أما داخل سوريا

(1) http: II www.dreams -city . net

فهم عرب ، وفي ضوء هذه المزاعم دعا "بريجنسكي " إلى وضع شرق أوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة ، تتحول إلى " كانتونات"[1] عرقية وطائفية يجمعها إطار إقليمي " كونفيدرالي".

ويمضي " بريجنسكي " في أطروحته قائلاً وهكذا سيسمح للكانتون "الإسرائيلي" ، أن يعيش في المنطقة بعد أن تصفي فكرة القومية.

وقد لخص " بريجنسكي " رؤيته لتحقيق ذلك من خلال إعادة الدعوة لتبني المخططات القديمة، وضرورة استخدام القومية العربية كسلاح لإفشال الوحدة الإسلامية ونهضة الأمة، واستمرار تمزيق هذه الأمة إلى دويلات صغيرة، فلخص نظريته بتبني أسلوب (نسف التوجه القومي من الداخل من خلال تأجيج الصراعات الطائفية واتخاذ الدين نقيضًا للقومية على أساس من الديمقراطية والعدالة الاجتماعية بالشكل الذي لا يمكنها من الانبعاث والنهوض وأداء دورها الحضاري من جديد)[2].

ويبدو أن خريطة " الشرق الأوسط الجديد" قامت على أساس بضع خرائط أخري، بما في ذلك خرائط أقدم للحدود الممكنة في الشرق الأوسط تعود إلى عهد الرئيس الأمريكي " وودرو ولسون " والحرب العالمية الأولى. وقد ظهرت هذه الخريطة وقدمت بوصفها بنات أفكار الكولونيل " رالف بيترس" الذي يؤمن بأن الحدود المعادة صياغتها في الخريطة ، ستحل حلاً جذريًا مشاكل الشرق الأوسط المعاصر. وكانت هذه الخريطة عماد كتاب هذا الكولونيل المتقاعد "لا تمتنع عن القتال أبدًا " الذي نشر في 10 يوليو 2006م ، ثم نشرت أيضًا تحت عنوان " حدود الدم : كيف سيبدو الشرق الأوسط أفضل " في مجلة القوات المسلحة التابعة للجيش الأمريكي مع تعليقات واضعها.

(1) الكانتون: إقليم أو منطقة جغرافية صغيرة المساحة وهو مسمى مستخدم في الكثير من دول أوروبا.

(2) علي أبو الخير : خريطة " حدود الدم" وأثرها على الحجاز المستقل ، منتدي القرآن الكريم، 2007 من خلال الموقع الإلكتروني الآتي http: II www . montada alqyran . com / index . php.

وتجدر ملاحظة أن آخر منصب احتله هذا الكولونيل كان في مكتب الاستخبارات التابع لنائب هيئة الأركان في وزارة الدفاع ،وهو أحد كبار كتاب البنتاجون الذين كتبوا عددًا هائلاً من المقالات في الإستراتيجية للمجلات العسكرية والسياسية الخارجية. وكتب عن أن لديه أربعة كتب سابقة في الإستراتيجية تمتلك نفوذًا واسعا في الدوائر الحكومية والعسكرية ، ولكن يمكن أن يقدر الإنسان إذا سأل عما إذا كان العكس تمامًا مما هو مخطط له هو الذي سيحدث، هل يمكن أن يكون " رالف بيترس" كاشفًا عما تعد له واشنطن ومخططوها الإستراتيجيون للشرق الأوسط[1].

كما لمح " بريجنسكي" في كتابه "رقعة الشطرنج العظمى: سيادة أمريكا ومتطلباتها الجغرافية – السياسية " إلى الشرق الأوسط المعاصر كرافعة للسيطرة على منطقة أطلق عليها اسم " البلقان الأورور آسيوية " وتحتوي هذه البقان الأورو آسيوية على دول القوقاز (جورجيا وإذربيجان وأرمينيا) وأواسط آسيا (كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان وطاجكستان وتركمانستان وأفغانستان) وإلى حد معين إيران وتركيا على حد سواء ، وإيران وتركيا تشكلان أقصى شمال مدرج الشرق الأوسط (فيما عدا القوقاز) التي تحاذي أوروبا والاتحاد السوفيتي السابق.

وأخيرًا تبقى كلمة اتركوا العالم العربي والإسلامي وشأنه وكفى وصاية وإن إعادة رسم الحدود في المنطقة ؛ أي منطقة الشرق الأوسط سوف تزيد من المشكلات والنزاعات في المنطقة بل وتفجرها[2].

(1) مهدي دار بوش نزيم رويا: خطط إعادة رسم الشرق الأوسط، الشرق الأوسط الجديد في العين الأمريكية حروب طائفية وإثنية شاملة، مرجع سبق ذكرة ، ص ص 2 – 3 .

(2) مهدي داربوش نزيم رويا: خطط إعادة رسم الشرق الأوسط ، الشرق الأوسط الجديد في العين الأمريكية ، مرجع سبق ذكره .

أن المتأمل للخريطة السياسية للشرق الأوسط الجديد أو ما يطلق عليها خريطة حدود الدم يتضح له الحقائق الآتية:

1- أن خريطة الشرق الأوسط الجديد تضم الدول العربية بالإضافة إلى إيران وأفغانستان ، وباكستان وتركيا والدول الإسلامية في وسط أسيا والمستقلة عن الاتحاد السوفيتي وإسرائيل.

2- أن الخريطة الدموية المذكورة ستشهد انقسام بعض الدول وظهور دول جديدة وبقاء البعض الآخر كما هو.

وفيما يلي عرض لما تحمله هذه الخريطة من مقترحات:

الدول المستهدفة بالتقسيم والاستقطاع هي إيران، تركيا ، العراق، السعودية ، باكستان ، سوريا ، والإمارات ، ودول ستوسع لأغراض سياسية بحتة، وهي اليمن ، الأردن .

الدولة الكردية:

كما إن الأكراد على سبيل المثال أكبر قومية موزعة على عدة دول دون كيان سياسي وبناءً عليه فإن الولايات المتحدة وحلفائها لا تريد أن تفوت فرصة تصحيح (الظلم) بعد احتلال بغداد مستفيدة من فراغ القوة التي كان يشكلها العراق الذي أصبح مؤكدًا الآن بأنه الدولة الوحيدة في العالم التي كانت الحاجز العظيم أمام تنفيذ المخطط الأمريكي للمنطقة. لذلك تقتضي الخطة المذكورة إقامة دولة كردية مستقلة للأكراد البالغ عددهم ما بين 27 – 36 مليون كردي يعيشون في مناطق محاذية لبعضها البعض في الشرق الأوسط لذلك سوف يقسم العراق إلى ثلاث دويلات (كردستان وسنيستان وشيعستان).

دولة كردستان الكبري: تضم كردستان العراق وضمنها طبعًا كركوك النفطية وأجزاء من الموصل وخانقين وديالي، وأجزاء من تركيا وإيران وسوريا وأرمينيا واذربيجان ، وستكون أكثر دولة موالية للغرب لأمريكا.

دولة شيعستان: وتضم جنوب العراق والجزء الشرقي من السعودية والأجزاء الجنوبية الغربية من إيران (الأهواز) وستكون بشكل حزام يحيط بالخليج العربي.

دولة سنيستان: ستنشأ على ما تبقي من أرض العرق وخاصة في الوسط وربما تدمج مع سوريا.

- ظهور **دولة بلوشستان الجديدة** والتي لم تظهر على خريطة الشرق الأوسط الحالية وسوف تقوم هذه الدولة بعد استقطاع أراضيها من الجزء الجنوبي الغربي لباكستان والجزء الجنوبي الشرقي من إيران.

إيران الفارسية: ستفقد أجزاء منها لصالح الدولة الكردية وأجزاء منها لصالح دولة الشيعة العربية في جنوب العراق وأجزاء لصالح أذربيجان الموحدة، وستحصل على أجزاء من أفغانستان المتاحة لها لتكون دولة قارية تحل محل الجمهورية الإيرانية الحالية.

أفغانستان: ستفقد جزءًا من أراضها الغربية إلى إيران القارية وستحصل على أجزاء من باكستان وستعاد إليها منطقة القبائل من باكستان.

السعودية: ستعاني أكبر قدر من التقسيم مثل باكستان وتركيا وستقسم السعودية إلى دولتين، دولة دينية والدولة الإسلامية المقدسة، على غرار الفاتيكان تضم كل المواقع الدينية المهمة لمسلمي العالم وعلى رأسها مكة المكرمة والمدنية المنورة، ودولة سياسية (السعودية) وسيقتطع أجزاء منها لتمنح إلى دول أخري (اليمن والأردن والدولة العربية الشيعية).

الأردن الكبرى: ستنشأ دولة جديدة على الأردن القديم بعد أن تقطع أراضي لها من السعودية وربما من فلسطين المحتلة لتشتمل على كل فلسطيني الداخل وفلسطيني الشتات.

أما الكويت وقطر وسلطنة عمان والإمارات: ستبقي هذه الدول على الأرجح بشكلها الحالي دون زيادة أو نقصان مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإمارات قد تشهد بعض التغييرات، وذلك تبعًا للتغير الذي سيصيب بعض الدول المجاورة لها، سواء لناحية إيران أو لناحية دولة الشيعة العربية.

يتضح مما سبق وبالنظر إلى خريطتي الشرق الأوسط الحالية والجديدة مدى الاستهتار وفرض الهيمنة على الآخرين بالقوة فيما يدعي الأمريكيون أن إعادة رسم خريطة -- الشرق الأوسط الجديد هي عمل إنساني وخيري على الرغم من بعض الوحشية التي سوف يستخدمونها. ويعبر عن ذلك الكولونيل" رالف بيترس" حيث يذكر أن مفهوم إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط يقوم بوضعها تنظيمًا "إنسانيًا" و " خيريًا" ذا فائدة لشعوب الشرق الأوسط وأطرافها كما يقول لتخليصها من " الحدود الظالمة" و" الركود الثقافي". ولكن يجب ملاحظة أنه إلى جانب قناعته هذه يعترف بأن مقترحاته "وحشية" بطبيعتها، إلا أنه يصر أنها آلام ضرورية لشعوب الشرق الأوسط، وتماثل هذه النظرة إلى الألم الضروري والمعاناة الوحشية مماثلة صارخة اعتقاد وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس بأن تخريب الجيش الإسرائيلي للبنان كان ألمًا ضروريًا أو "الآم مخاض " من أجل خلق "شرق أوسط جديد" تراه واشنطن ولندن وتل أبيب[1].

(1) http :// www. Dreamscity. Net.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل هذا الحل ممكن للتخلص من المشاكل التي تواجه إستراتيجية الولايات المتحدة للسيطرة على العالم وعلى مصادر الطاقة؟ أم أنها ستكون بؤر جديدة للتوتر ونوعًا جديدًا من الحروب بين الكيانات القديمة والجديدة (المثال الكوري) والاقتتال الداخلي والتوتر غير المحسوب العواقب (تيمور الشرقية). إن محاولة تقسيم العراق بأيدي عملاء عراقيين باتت معروفة وكشفت معظم خيوطها، فهل يمكن أن تجر الدول الأخرى بنفس الطريقة[1].

ربما يكون طرح الفكرة والخريطة التقسيمية مجددًا هو ورقة ضغط على:

1- **تركيا**: في حالة معارضتها لمشروع الدولة الكردية في كردستان العراق المقترح خلقها في حال فشل المشروع الأمريكي السياسي والعسكري في العراق لتكون كردستان المكان الآمن لقواتها في حالة انسحابها.

2- **إيران**: كتهديد مباشر على تدخلها السافر في العراق وتجاوزها الخطوط حمراء، وضمنها الإدارة الأمريكية لها.

3- **السعودية**: لمنعها من دعم (المتمردين) أو الفيدرالية شيعية في الجنوب.

4- **باكستان**: لضمان عدم ترددها بضرب طالبان والعناصر الإسلامية المتشددة (تبيا يعرف بتنظيم القاعدة) وضمان بقائها ضمن المشروع الأمريكي.

5- **اليمن والأردن**: لإغرائهم بحلم التوسع والأكراد بحلم خلق دولة جديدة لهم، كمكافئة غنية لمدى دعمهم للمشروع الأمريكي.

هذا هو الحلم الأمريكي، وحلم الانفصاليين والتابعين والسائرين ضد أحلام ومستقبل شعوبهم[2].

Ibid.

http://www.dreamscity.Net.

وأخيرًا تجدر الإشارة إلى أن نقطة الانطلاق في تنفيذ المشروع (أي الشرق الأوسط الجديد) وفقًا لما يذكره التقرير هي العراق، فإذا نجح المشروع الأمريكي في العراق، تم الانتقال إلى دولة أخرى، وإذا أخفق سقطت هذه الخرائط الأمريكية برمتها[1].

---

(1) المتتبع للأحداث في العراق يرى فشل الجيش الأمريكي في العراق في تحقيق أهدافه وبالتالي فشل المشروع الأمريكي تبيا يعرف باسم مشروع الشرق الأوسط الجديد أو مشروع خريطة الدم.